سلسلة النبي والعترة

سيد الجنة

الإمام الحسن بن علي عليه السلام

فوزي آل سيف

دار المحجة البيضاء

سيّد الجنّة

الإمام الحسن بن علي عليه السلام

الرويس - خلف محفوظ ستورز بناية رمال

هاتف: ٠٣/٢٨٧١٧٩ - تلفاكس: ٠١/٥٥٢٨٤٧ - ٠١/٥٤١٢١١
ص.ب: ٥٤٧٩ / ١٤ - E-mail:almahajja@terra.net.lb
www.daralmahaja.com / info@daralmahaja.com

سيّد الجنّة

الإمام الحسن بن علي عليه السلام

فوزي آل سيف

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدِّمة

نشهد هذه الفترة اهتمامًا حسنًا بشؤون الإمام الحسن عليه السلام، فمنذ نحو ثلاثين سنة، تمَّ القيام بعدد من الدراسات الخاصة بالإمام الحسن، كان منها ما قام به المرحوم المحقق السيد جعفر مرتضى العاملي، فإنه أضاف إلى موسوعتي الصحيح من سيرة النبي والصحيح من سيرة الإمام علي، كتابًا بعنوان: سيرة الإمام الحسن عليه السلام في الحديث والتاريخ في اثني عشر مجلدًا مطبوعًا.

وتلاه عالمان من جبل عامل هما الشيخ جعفر عتريس والشيخ أحمد قبلان فكتبا كتابًا بعنوان الإمام الحسن ثاني الثقلين في 15 مجلدًا.

هذا فضلًا عن عدد كبير من الكتب التي ألفت حول شخصية الإمام الحسن المجتبى عليه السلام.

وفي نفس السياق فقد أسست العتبة الحسينية مركزَ الإمام الحسن للدراسات التخصصية، وقد أصدر عددًا من الكتب من بينها: كتاب الإمام الحسن في كتب الحديث في عشرة أجزاء.

هذه جهود طيبة ونتاج حسن ولكن شخصية الإمام الحسن وما تعرض له صلوات الله عليه من حملات ظالمة لا تزال آثارها مستمرة، حتى في الصورة النمطية المرسومة له في أذهان بعض المسلمين بل لدى بعض الشيعة، تستحق مقدارًا أكبر من الجهود على المستوى الثقافي والاجتماعي والولائي.

إن تنظيم يوم أو أيام خاصة لزيارة قبر الإمام الحسن والقصد إليه، كما يصنع الشيعة ـ ونعم ما يصنعون ـ للإمام الحسين عليه السلام، هو من الأمور المطلوبة، كأن تنظم في مناسبة شهادته حملات لزيارته، أو تعقد الندوات والمحاضرات والمجالس لعدة أيام في نفس تلك الذكرى.

وهكذا ما يرتبط بالنشر الثقافي من توزيع الكتب ونشر المحاضرات عن شخصيته، لعلنا نقوم ببعض ما يستحقه أول السبطين وسيد شباب أهل الجنة.

الإمام الحسن عليه السلام هو جد الأئمة المعصومين من بعد علي زين العابدين إلى المهدي المنتظر عليهم السلام، فالأئمة من بعد السجاد هم نتاج الفرعين النبويين الحسن والحسين، فزوجة الإمام السجاد وهو الحسيني فاطمة بنت الإمام الحسن، وهي الصديقة التي لم يكن في آل الحسن مثلها كما ورد عن الإمام الصادق عليه السلام فانتسل المعصومون عليهم السلام بدءًا من الإمام الباقر من الحسين أبًا ومن الحسن أمًّا.

هذا الكتاب مساهمة بسيطة تجاه الاهتمام بموضوع الإمام الحسن المجتبى عليه السلام، لئن فاتني فيها التوسع والتفصيل في حياته، أو الأفكار الجديدة عنه، أو البحث العميق في بعض الروايات والحوادث التاريخية، فأرجو ألا يفوتني حسن النية، وإعلان المودة به لهذا الإمام العظيم.

* * * *

كان ببالي أحد عنوانين لهذه الصفحات: سيد المسلمين، وأمير الجنة. وكانت عادتي أن استشير الإخوة والأخوات الذين لهم تواصل معي، في بعض عناوين الكتب، فاستشرتهم في هذا، وفيما رأى البعض أن عنوان سيد المسلمين هو مناسب خصوصًا مع وجود روايات لا سيما في مدرسة الخلفاء تشير إلى أنه «سيد» وأخرى في مدرسة أهل البيت تشير إلى أن النبي قد ورثه «سؤدده»، وأن السيادة الدينية والمعنوية تتناسب مع الإمامة، بغض النظر عن السيادة الظاهرية بمعنى الحكومة، وأن الإمام الحسن في مدرسة الخلفاء هو (خامس الخلفاء الراشدين) فهو سيد للمسلمين، ولا يختص ذلك بطائفة دون أخرى.

فيما رأى آخرون وهم الأكثر كثرة غالبة؛ بأن عنوان أمير الجنة منطلق من حديث رسول الله فيه وأخيه: سيدا شباب الجنة وليس فيها غير الشباب فهما سيداها، وكلٌّ منهما أمير لها، بالإضافة إلى

أنه عند القياس بين السيادة على المسلمين والسيادة والإمارة على الجنة التي تحوي كل أتقياء البشر من آدم إلى النبي الخاتم، وهي محل كرامة الله لأوليائه فلا مجال للمقايسة في الأهمية. بالإضافة إلى الانطباع الديني عن هذا العنوان.

وأيًّا تكن المبررات في العنوانين فقد وجدت نفسي أميل إلى الثاني لا سيما وأن كثيرًا ممن شاركني في الاقتراح من العلماء والمثقفين رجحوه. وحتى يكون العنوان أقرب إلى الحديث المعروف بين الفريقين من أن الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة، فقد تمَّ تركيب العنوان من العنوانين فصار (سيد الجنة) هو العنوان الأخير.

أذكر ملاحظة قد لا تخفى على القارئ والقارئة الكريمين؛ وهي أن تحرير هذه المواضيع جاء في فترات مختلفة وبالإضافة إلى ذلك فإن بعضها تمَّ تقديمه في وقت الإخراج على بعض لضرورات ارتباطها موضوعيًا فربما ذكرنا في الأثناء أن الملاحظة الكذائية أو الحاشية الفلانية تقدمت في صفحات سابقة أو تأتي في مواضيع لاحقة، بينما لسبب ما تقدم فإن الأمر اختلف للجهات المذكورة فربما تكون الملاحظة التي فرض أنها تقدمت، صارت متأخرة أو بالعكس فيرجى التنبه لذلك.

* * * *

سوف أخص بشكر خاص ـ كما شكرت من ساهم في آخر الكتاب ـ أسرتي؛ أهلي وأولادي حفظهم الله ورعاهم، فإنني أرى أن كثيرًا من الوقت الذي صرفته في هذا وغيره، ربما كان من وقت الاجتماع بهم، والسفر والمصاحبة لهم، وهم جزاهم الله خيرًا يتحملون ذلك ويتقبلونه بنفس راضية، فأسأل الله أن يشركهم في ثواب كل كلمة ينتفع بها، وقبلهم وبعدهم والديّ فهما رحمهما الله الأساس في الوجود ومنهما نعمة التربية والدعاء، أسأل الله سبحانه أن يجعل لهما ولي ولمن يقرأ، دخول الجنة بغير حساب ببركات سيد شبابها وأميرها، كريم أهل البيت، الحسن الزكي عليه السلام.

رصفت آخر كلمات هذا الكتاب في مناسبة يوم الغدير أكرمنا الله بشفاعة النبي والوصي عليهما وآلهما صلوات الرب العلي.

فوزي بن المرحوم
محمد تقي آل سيف
يوم الخميس
1442/12/18 هـ
تاروت ـ القطيف

الإمام الحسن عليه السلام
من ميلاده حتى شهادته

ولادة الحسن سِبط[1] رسول الله

كان زفاف فاطمة الزهراء عليها السلام ودخول عليٍّ عليه السلام بها في شهر ذي الحجة من السنة الثانية لهجرة النبي صلى الله عليه وآله وسلم، إلى المدينة المنورة. وفي منتصف شهر رمضان من السنة الثالثة لهجرته ولد لهما أول مولود في البيت العلوي الفاطمي.

وهنا يوجد كلام في أنه هل أن الإمام الحسن هو الذي ولد لستة أشهر أو هو أخوه الحسين؟ فمما يؤيد الثاني هو وجود روايات[2] تشير إلى أن بينهما ستة أشهر وطهرًا، وفي أخرى تشير لجهات الشبه والمماثلة بين الحسين وبين يحيى بن زكريا؛ ومنها

(1) سِبْط الرجل بكسر السين: ابن بنته في المشهور.

(2) الكليني، محمد بن يعقوب (ت 329 هـ) الكافي 1/ 511 عدة من أصحابنا، عن أحمد بن محمد، عن علي بن الحكم، عن عبد الرحمن العرزمي، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: كان بين الحسن والحسين عليهما السلام طهر وكان بينهما في الميلاد ستة أشهر وعشرا.

بالإضافة إلى الشهادة والقتل بالسيف على يد طاغوت زمانه، كذلك ذكر فيها أنهما كانا أبناء ستة أشهر، وأن الحمل بهما كان بهذا المقدار.

غير أن ما يعارض هذا هو ما اشتهر من أن ميلاد الإمام الحسين عليه السلام هو في الثالث من شهر شعبان للسنة الرابعة للهجرة، وأنه لم يكن يفصل بين ولادة الحسن والعلوق بالحسين سوى طهر واحد، وهذا لا يتفق مع كون الميلاد في شهر شعبان!.

ذلك أنه مع فرض كون ميلاد الحسن في منتصف رمضان ومرور طهر واحد وأقله عشرة أيام، يعني أن يكون العلوق بالحسين قد حصل في أواخر شهر رمضان، ومع كون الحمل به هو أقل أشهر الحمل وهي ستة كما ذكر من المشابهة بينه وبين النبي الشهيد يحيى يقتضي ذلك أن يكون ميلاده في ربيع الثاني[1]، بعد مرور ستة أشهر! بينما ميلاده في الثالث من شهر شعبان هو المشهور، فإما أن يكون هذا التاريخ غير دقيق أو

(1) وذلك هو الذي اختاره المفيد في المقنعة، والشيخ في التهذيب، والشهيد في الدروس، والبهائي في تاريخه، وصاحب كشف الغطاء. كما عن الشيخ عباس القمي في الأنوار البهية / 97، أقول: اختاره أيضًا الشيخ ابن طوق القطيفي في رسائله 4/ 76 مصرًّا على أن ولادة الحسن هي في نصف شهر رمضان ذاكرًا «أن الإجماع والنصّ الَّذي عليه عمل العصابة وفتاواهم في عامّة الأصقاع والأزمان عليه».

أن يكون التحديد بالستة أشهر غير ثابت[1] أو أن يكون تحديد العلوق بأنه بعد طهر واحد غير دقيق![2] أو أن يكون تحديد مولد الحسن بالنصف من شهر رمضان غير ثابت[3].. فلا بدَّ من التخلّي عن أحد هذه الثوابت![4].

(1) وهو ما يستفاد من كلام الشيخ محمد هادي معرفة في كتابه التفسير الأثري الجامع، ج 1/ 232، حيث شكك في رواية للعزرمي واستطرد في القول: وللعزرمي هذا أيضًا أحاديث قد يشنّع عليه، [م/ 335] منها ما رواه بشأن الحسنين عليهما السلام: كان بينهما طهر، وكان بينهما في الميلاد ستة أشهر وعشر (4). [م/ 336] وقد اشتهرت الرواية عند الشيعة الإماميّة بأنّ الحسن عليه السلام ولد في النصف من رمضان في سنة ثلاث من الهجرة. وولد الحسين عليه السلام لخمس خلون من شعبان سنة أربع من الهجرة بعد أخيه بعشرة أشهر وعشرين يوما. نصّ على ذلك ابن شهرآشوب في المناقب والمفيد في الإرشاد. وهكذا الشيخ في المصباح. ويظهر من الشيخ الغروي في كتابه موسوعة التاريخ الإسلامي 2/ 441 اختياره حيث قال: «ورواه الطبراني في (المعجم الكبير)وعنه في (الحسين والسنّة) بسنده عن حفص بن غياث عنه عليه السلام أيضًا قال: كان بين الحسن والحسين عليهما السلام طهر من دون الزيادة: وكان بينهما في الميلاد ستّة أشهر وعشرا. وهذا ينسجم مع المدّة الطبيعيّة للحمل التي ذكرها ابن شهرآشوب في (المناقب) بلا منافاة».

(2) ويظهر من الشيخ الكرباسي في السيرة الحسينية 1/ 140 اختياره حيث رأى «أن انعقاد نطفة الحسين عليه السلام كان في نصف صفر بعد ولادة الإمام الحسن بمائة وخمسين ليلة، وأن ما جاء من الأقوال بأنه بعد خمسين ليلة هو من التصحيف وسقط كلمة مائة». لكن الشيخ لم يتعرض لموضوع أن بينهما طهرًا واحدًا وهو ما تفيده رواية العزرمي المتقدمة.

(3) وهو ما اختاره المرحوم السيد جعفر العاملي في كتابه سيرة الحسن 1/ 90 حيث لم يقبل كون ولادة الحسن المجتبى في منتصف شهر رمضان لأنها لم تأت بطريق معتبر، بخلاف تلك التي تشير إلى أنه ابن ستة أشهر. ويظهر أنه اعتمد نفس ما قاله العلامة المجلسي في مرآة العقول 5/ 366 «ولكن مع ورود هذه الأخبار يمكن ترك القول بكون ولادة الإمام الحسن عليه السلام في شهر رمضان لعدم استناده إلى رواية معتبرة».

(4) تمت مناقشة الموضوع أيضًا في كتابنا: أنا الحسين بن علي / 106 عند الحديث عن ولادة الإمام الحسين عليه السلام فليراجع.

واحتمل البعض أن يكون التحديد بالستة أشهر ليس مرتبطًا بالحسين عليه السلام وإنما بأخيه الحسن المجتبى، وقد يكون حصل تصحيف لتشابه الاسمين في الرسم!.

من السنن النبوية في ميلاد الحسن

قيل: إنه لما ولد الحسن السبط لُفَّ في خرقة صفراء، وجيء به إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لكي يجري عليه السنن المستحبة؛ بأن يؤذن في أذنه اليمنى، ويقيم في اليسرى ويحنكه بريقه أو بماء زمزم أو شيء من التمر. فلما رآه النبي في خرقة صفراء، رمى بها عنه، وفي بعض الروايات أنه نهى عن لف المولود الا في الأبيض [1].

(1) الطبراني: ابو القاسم (ت 360): أخبار الحسن بن علي بن أبي طالب عليه السلام ص 34: عن سورة بنت مشرح قالت: كنت فيمن حضر فاطمة عنها حين ضربها المخاض في نسوة، فأتانا النبي صلى الله عليه وسلم فقال: كيف هي؟ قلت: إنّها لمجهودة يا رسول الله. قال: فإذا هي وضعت فلا تسبقيني فيه بشيء. قالت: فوضعت فسَرّوه ولفّفوه في خرقة صفراء. فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: ما فعلت؟ قلت: قد ولدت غلامًا وسررته ولففته في خرقة. قال: عصيتني! قلت: أعوذ بالله من معصية الله ومن غضب رسوله! قال: ائتيني به! فأتيته به فألقى الخرقة الصّفراء ولفّه في خرقة بيضاء وتفل في فيه بريقه.
ومثله في مصادر الإمامية ما نقله الشيخ محمد تقي التستري (الشوشتري)، في الأخبار الدخيلة1/ 17: ما رواه (الصدوق في) العيون بأسانيد ثلاثة عن أحمد بن عامر الطائيّ، وعن أحمد بن ـ عبد اللّه الشيبانيّ، وعن داود بن سليمان الفرّاء، عن الرّضا، عن آبائه، عن السجّاد عليهم السّلام قال: حدّثتني أسماء قالت: حدّثتني فاطمة عليها السّلام أنّها لمّا حملت بالحسن عليه السلام وولدته جاء النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم فقال: يا أسماء هلمّي ابني، فدفعته إليه في خرقة صفراء =

ويشير بعض الباحثين بأن البياض هو أفضل الألوان للمولود، بل به تتضح سائر الألوان، ويمكن للتنظير فيه بما يصنعه المصورون ـ خصوصًا في التصوير المتحرك ـ أنهم يجعلون ورقة بيضاء أمام الكاميرا ثم يرفعونها عنها، وتقوم الكاميرا بعدها بفرز الألوان بشكل طبيعي.

أو ربما يكون ذلك إشارة إلى أثر الألوان ـ بشكل أو بآخر ـ على الصحة البدنية أو النفسية خصوصًا للطفل[1]، فهل قام النبي صلى الله عليه وآله وسلم بإبدال الأصفر بالأبيض لهذه الجهة أو لتلك الجهة أو أنه أمر تعبدي لا نهتدي لسببه؟.

= فرمى بها النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم وأذن في أذنه اليمنى وأقام في أذنه اليسرى، ثمّ قال لعليّ عليه السلام: بأيّ شيء سميّت ابني؟ قال: ما كنت أسبقك باسمه يا رسول اللّه، وقد كنت أحبّ أن اسميّه حربا، فقال النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم: ولا أنا أسبق باسمه ربّي، ثمّ هبط جبرئيل فقال: يا محمّد العليّ الأعلى يقرؤك بالسلام ويقول: عليّ منك بمنزلة هارون من موسى ولا نبيّ بعدك، سمّ ابنك هذا باسم ابن هارون، فقال النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم: وما اسم ابن هارون قال: شبّر، قال النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم: لساني عربيّ، قال جبرئيل: سمّه الحسن، قالت أسماء:

فسمّاه الحسن، فلمّا كان يوم سابعه عقّ النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم عنه بكبشين أملحين وأعطى القابلة فخذا ودينارا، ثمّ حلق رأسه وتصدّق بوزن الشعر ورِقًا، وطلى رأسه بالخلوق ثمّ قال: يا أسماء الدّم فعل الجاهليّة.

(1) بل ربما زاد بعضهم هذا الكلام إلى الحديث عن العلاج بالألوان. واستشهد على ذلك باختيارهم ألوانا خاصة في المستشفيات وغرف العمليات بل وألوان ملابس الأطباء.. ويحتاج الأمر إلى تحقيق أكثر ولكن بشكل عام يستطيع الانسان أن يجد في نفسه أن بعض الألوان تصيبه بالاكتئاب والانقباض بينما تصنع ألوان أخر شعورًا بالسعة والفرح والانطلاق.

مع أننا لا نميل إلى إلقاء الأمر على الجانب التعبدي دائمًا فإن بعض المستحبات كالمكروهات يمكن الاهتداء إلى شيء من عللها أو حِكَمها، فإن الأذان والإقامة في الأذنين قد نستطيع ملاحظة أنه يراد تثبيت مبادئ معينة وهي خلاصة الدين كأول ملف في ذاكرة الإنسان وقبل أن يسمع أي شيء ولا ريب أن هذا قد يكون مؤثّرًا على مستقبل حياته.

وهذا يختلف بلا شك عما لو كان سمعه وحافظته مملوءة بالضجيج أو الموسيقى أو ما شابه!.

وكذلك نشير إلى الأدب في (تسمية) المولود، فبينما تكون التسمية في بعض العوائل منشأ لخصومات ونزاعات حيث تريد الأم أن تسميه باسم والدها، لأنها هي التي تعبت فيه، ويريد الأب أن يكون باسم والده لأنه سيحمل اسمه.. وهكذا تتحول الفرحة إلى ترحة! فقد قال الإمام عليه السلام ما كنت لأسبقك يا رسول الله!.

وتشير الأحاديث إلى استحباب انتخاب اسم حسن[1] للمولود! لا لأنه يعجب الوالد أو الوالدة ثم يتأذى هذا المولود طيلة حياته بهذا الاسم فلا هو يستطيع تغييره ولا تقبله!.

(1) إذا صحت روايات قول النبي أو الإمام في رده اسم ابني هارون: لساني عربي، فهي تشير إلى أن الاسم لا يكفي أن يكون حسنا بذاته بل ينبغي أن يكون حسنا في بيئته أيضا.

ملاحظة في اسم ابن هارون

إننا نلحظ أن في بعض الروايات يوجد تشبيه وتنظير لمقام أمير المؤمنين عليٍّ عليه السلام بمقام هارون النبي عليه السلام، ولأبنائه بأبناء هارون، ولما جرى عليه في الاخلال ببيعته بما حصل لهارون. ونرى أن هذا مقصود لكي يبقى ضمن الذاكرة العقدية للمسلمين، فإنهم يقرأون القرآن ويعرفون منزلة هارون من موسى،[1] وما ورد هنا يأتي في هذا السياق.

كما أن ما جاء في الرواية هو من جملة ما يشير إلى استحباب العقيقة عن المولود واستحباب الصدقة وكراهة التلطيخ بالدم على طريقة الجاهليين.

النبي وأحاديثه في الحسن

في كنف المصطفى محمد سيد الأنبياء تربى الحسن المجتبى وتحت عين رعايته، وهداياته بتنفيذ الوصي المرتضى وفاطمة الزهراء، ولعمري ماذا سينتج بعد ذلك؟ إننا نلحظ مسألة ربما كانت لبداهتها وتكررها غير ملفتة للنظر بينما يجب أن يتوقف عندها كل من يلاحظها! تلك هي أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قد قال في الحسن

(1) ﴿يَفْقَهُوا۟ قَوْلِى (*) وَٱجْعَل لِّى وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِى (*) هَٰرُونَ أَخِى (*) ٱشْدُدْ بِهِۦٓ أَزْرِى (*) وَأَشْرِكْهُ فِىٓ أَمْرِى (*) كَىْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا (*) وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا﴾[طه: 28 ـ 34].

(وأخيه الحسين) أحاديث كثيرة هي في كتب مدرسة الخلفاء بالعشرات[1]، وهي أضعاف ذلك في مصادر الإمامية.. واللافت للنظر في هذا أن الحسنين عليهما السلام في أحسن الفروض كانا في الثالثة أو الرابعة أو الخامسة من العمر ونحوها، وذلك أن الحسن عندما توفي جده النبي كان في السابعة من عمره، فما هي فلسفة كل تلك الروايات والأحاديث؟ وما هي الغاية من ذكرها أمام الناس؟.

وسوف نقف في صفحات لاحقة على بعض تلك الأحاديث ونشير إلى معانيها ولكننا نذكّر هنا بما سبق أن قلناه في مواضع أخر؛ أن أحاديث المناقب هي جزء من الدلالة على المنهج الصحيح الذي ينبغي أن تتبعه الأمة في حياتها بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وأن الأمة كان من الطبيعي ـ وهو ما حدث فعلًا ـ أن تفترق في اتجاهات مختلفة ومتخالفة، وأن كل فريق سيدعي أنه أولى برسول الله من غيره، وبعدما كان الأكثر من هؤلاء هم (أصحاب النبي) فإن الحاجة ستشتد إلى تعيين (امتداد النبي في علمه وسيرته ومنهجه) فكان دور (أحاديث الفضائل والمناقب)،

(1) أورد أبو القاسم بن عساكر (ت571 هـ) في ترجمته للإمام الحسن الزكي نحو 200 حديث أكثرها عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في فضائل ومناقب الحسن بن علي عليه السلام. وقريب من ذلك ما اورده في الطبقات الكبرى.

فوضعوا عليه ما هو متناقض مع الأحاديث الصحيحة عنه! فأصبح الضال المضل في أصحاب النبي هاديًا مهديًّا! ودعاة النار أصبحوا هداة إلى الحق! ومن الطبيعي أن كلام النبي لا يتناقض ولا يتخالف!.

1/ إننا عندما ننظر إلى أحاديث النبي في مناقب الحسن عليه السلام، نرى فيها خريطة طريق سليمة للنجاة إذا تشتت الطرق والآراء. وهو ما كان ينبغي على الأمة أن تلتفت إليه!.

إنه (سيد شباب أهل الجنة) وحين يكون كذلك فمن يعاديه ويحاربه لا يمكن أن يرى طريق الجنة! وإنه (أفضل الناس جدًّا وجدة وأبًا وأمًّا وعمًّا وعمّة وخالًا وخالة، وأنه وهؤلاء ومن يحبه في الجنة) وحين يكون كذلك فلا بدَّ أن يلتف الناس حول رايته ويسيرون خلفه!.

2/ إن النبي صلى الله عليه وآله وسلم، عندما ينادي سبطه الحسن (ومعه الحسين فيما بعد) ادعوا لي ابنيّ[1]، ويؤكد هذا المعنى مرارًا يستشف من

(1) الأميني؛ عبد الحسين: الغدير 7/ 133 وقد أورد فيه عشرات المواضع التي تمَّ فيها التعبير من النبي عن الحسنين أو أحدهما بابني أو ولدي، وتعبيرهما عنه بأنه أبوهما. فمن ذلك: قوله لعليّ: «أنت أخي وأبو ولدي» قوله: «أللّهمّ إنّ هذا ابني ـ الحسن ـ وأنا أحبّه فأحبّه وأحبّ من يحبّه» وقوله للحسن السبط: «ابني هذا سيّد» وقوله «هذان ابناي من أحبّهما فقد أحبّني» وقوله: «ادعوا ابني» فأتى الحسن بن عليّ، وقوله: «إنّ إبنيّ هذين ريحانتاي من الدنيا»؛ يعني الحسنين.

وراء حجاب الغيب أنه ستكون فئة في الأمة ستجهد بكل ما أوتيت من خصام وجدال لنفي بنوة الحسنين لرسول الله باعتبار أنهم كما قالوا:

بنونا بنو أبنائِنا وبناتُنا بنو هن أبناء الرجال الأباعد

تاركين في ذلك صريح القرآن الذي قال: ﴿فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ﴾[1] فلم يأت بغير الحسنين، وبالتالي فقد رفضوا كلام الله، ورفضوا كلام النبي، في مقابل كلام شاعر لا يتبعه إلا أمثاله من الغاوين!.

وإذا كان بعض السابقين ممن جادلوا أهل الإمامة بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير من أنصار بني أمية وبني العباس قد فعلوا ذلك طمعًا في دنيا أولئك السلاطين ووراء حطام الدنيا من الذهب والفضة، فما عذر هؤلاء البؤساء المعاصرين الذين ينافحون عن هذه الفكرة الخاطئة بعدما بان زيفها وتبدى عوارها؟ فترى أحدهم حتى يومك هذا لا يخرج من معركة إلا ليدخل أخرى لينفي فيها تلك العلاقة بين الحسنين وجدهما؟.

3/ إننا نلحظ تمييعًا لهذه الإشارات بل النصوص الصريحة في إمامتهما وقيادتهما، لتحويلها إلى أمور عاطفية هامشية، فبدلًا

(1) آل عمران: 61.

من التركيز على مثل «إمامان قاما أو قعدا» إلى درجة نفيه وتضعيفه، نجد في المقابل تأكيدًا على روايات أنه بال على ملابس النبي أو ما شابه.

إن في تلك الأحاديث إشارات واضحة مثل: حمل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الحسن والحسين على ظهره، الحسن على أضلاعه اليمنى والحسين على أضلاعه اليسرى، ثمّ مشى وقال: نعم المطيّ مطيّكما، ونعم الراكبان أنتما وأبوكما خير منكما».

أو ما روي عن سلمان عنه قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم للحسن والحسين: من أحبّهما أحببته، ومن أحببته أحبّه الله، ومن أحبّه الله أدخله جنّات النعيم، ومن أبغضهما أو بغى عليهما أبغضته، ومن أبغضته أبغضه الله، ومن أبغضه الله أدخله عذاب جهنّم وله عذاب مقيم» فهل كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم ناظرًا إلى مرحلة سيكون فيها (بغض أهل البيت) من علائمها الرئيسية؟.

4/ يلفت نظرَ الباحثين أمرٌ في تعامل النبي مع الحسن (وأخيه الحسين عليهما السلام أنه كان يتعامل معهما تعامل الكبار، وكأنه يلغي عامل صغر السن وهو (أي السن والعمر) في المجتمع العربي خصوصًا مهم جدا، حتى ليقدم الشخص فيه لا

لشيء إلا لأنه من ذوي الأسنان والأعمار[1]، فها هو النبي يأخذهم للمباهلة في أول وأعظم مناظرة بين الإسلام والمسيحية، ويثبت شهادتهما في اتفاقية بينه وبين ثقيف بالرغم من إمكانية الاستغناء عن شهادتهما ـ من الناحية النظرية ـ بشهادة عشرات من كبار السن من أصحابه، كما أورده المؤرخون «هذا كتاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لثقيف، كتب: أنّ لهم ذمّة الله الذي لا إله إلّا هو، وذمّة محمّد بن عبد الله النبي، على ما كتب عليهم في هذه الصحيفة: أنّ واديهم حرام محرّم لله كلّه... وشهد على نسخة هذه الصحيفة: علي بن أبي طالب وحسن بن عليّ وحسين بن عليّ، وكتب نسختها لمكان الشهادة»[2]. فهل يرتبط هذا السلوك بما سيأتي منه أو من الحسين عليهما السلام في الاعتراض على الخليفة عندما صعد على منبر أبيه؟ ويوجه بذلك رسالة أن شهادة الحسن التي قبلها رسول الله ينبغي أن يقبلها من هو دون الرسول؟.

(1) لقد احتج بعضهم في تأخير عليّ عليه السلام وتقديم سواه مع أن الإمام هو الاشجع والأعلم والاقدم اسلاما. بأن غيره أكبر سنا منه!! لاحظ محمد كرد علي: خطط الشام 1/ 112 فقد قال أبو عبيدة بن الجراح لعلي عليه السلام: «يا ابن عم إنك حديث السن وهؤلاء مشيخة قومك ليس لك مثل تجربتهم ومعرفتهم بالأمور، ولا أرى أبا بكر إلا أقوى على هذا الأمر منك، وأشد احتمالًا واضطلاعًا فسلّم لأبي بكر، فإنك إن تعش ويطل بك بقاء فأنت لهذا الأمر خليق وحقيق في فضلك ودينك وعلمك وفهمك وسابقتك ونسبك وصهرك».

(2) البغدادي؛ ابن سعد (ت 230 هـ) الطبقات الكبرى ط العلمية 1/ 217

لقد كانت وفاة رسول الله والحسن سبطه في حوالي السابعة من العمر، فكأن سقف العالم قد ارتفع عن حياته بموت جده المصطفى [1].

وزاد الطين بِلّة تنكّر قريش لأبيه، وإجماعها منازعته أمرًا هو أحق به من غيره، فكان أن طفق عليه السلام يرتئي بين أن يصول بيد جذّاء أو يصبر على طخية عمياء، فرأى أن الخيار الثاني أجدى واختياره أحجى، فصبر وفي العين قذى.

وما مرت أيام حتى رأى آثار ذلك التنمر القرشي على باب بيت النبي، وفي بدن الصديقة الطاهرة التي غادرت إلى ربها شاكية باكية. ليأتي الحسن ذات يوم إلى مسجد النبي ومنبره فيراه خاليًا من رسول الله وأبيه، مزحومًا بغيرهما فيعترض عليه قائلا: انزل عن منبر أبي واذهب إلى منبر أبيك!.

الحسن في زمان الخلفاء الثلاثة:

لم تتميز مواقف الحسن المجتبى عن مواقف أبيه عليّ عليهما السلام قيد أنملة، كيف وأبوه الواصف له بالقول «وجدتك بعضي بل وجدتك كلّي» لا سيما وأن الحسن في فترة الخليفتين كان في

(1) الكليني؛ الكافي 1/ 445:عن أبي جعفر عليه السلام قال: لما قبض رسول الله صلى الله عليه وآله بات آل محمد عليهم السلام بأطول ليلة حتى ظنوا أن لا سماء تظلهم ولا أرض تقلهم لأن رسول الله صلى الله عليه وآله وتر الأقربين والأبعدين في الله.

أوائل الشباب يحذو خطى أبيه في مشيته، وكما ذكرنا في موضع آخر، أن الإمام أمير المؤمنين ﷺ، بالرغم من عدم رضاه عمّن تولى الخلافة، وعن تخبطاتهم حيث «بُلي الناس لعمر الله بخبط وشماس وتلون واعتراض، فصبرت على طول تلك المدة وشدة المحنة» لكنه لم يكن ليعتبر الأمر من جهة شخصية فإن كل الخلافة والرئاسة عنده هي أهون من عفطة عنز بل عراق خنزير في يد مجذوم![1].

ومع ذلك سالم ما كانت أمور المسلمين، فلم يمنع أصحابه من المساهمة بما يستطيعون من تصحيح الاتجاه وتقويم الاعوجاج سواء في السلم علمًا وبصيرة أو في الحرب شجاعة وإدارة بل في سياسة الرعية والبلاد.

لكن هذا لا يعني أن نقبل ما نقله مؤرخون من أن الحسنين ﷺ قد شاركا في الحروب و(الفتوحات) التي رتبها الخلفاء. لما ذكرنا في موضعه[2] من عدم وجود أدلة على ذلك.

(1) نهج البلاغة، خطب الإمام علي ﷺ (تحقيق صبحي صالح)، ص 510 قَالَ ﷺ «واللَّه لَدُنْيَاكُمْ هَذِه ـ أَهْوَنُ فِي عَيْنِي مِنْ عِرَاقِ خِنْزِيرٍ فِي يَدِ مَجْذُومٍ» وعراق خنزير يعني اللحم المتعرق من الخنزير في يد شخص مصاب بمرض جلدي منفر هو الجذام كناية عن أكثر شيء تعافه النفس ولا تلتفت إليه.

(2) راجع كتابنا: أنا الحسين بن علي، طبع دار المحجة البيضاء بيروت.

وأبعد من ذلك عن الواقع ما ذكره مؤرخون وكتّاب من أتباع النهج الأموي من أن الحسن المجتبى كان عثماني الهوى! وهم بذلك يضربون عصفورين بحجر واحد فهم في نفس الوقت الذي يزكون عثمانَ بكون الحسن على طريقه، يذمون عليّا بزعمهم في أن ابنه خالف سياسته، ورآها خاطئة!.

وعثماني الهوى هو تعبير مخفف عن «أموي الهوى»! كيف والحسن هو الذي تجهز بعيد شهادة أبيه مباشرة لخوض القتال مع معاوية وأتباعه الامويين، مع كون ظروف الجيش في الكوفة غير مساعدة! وسيأتي حديث مفصل في مواجهته عليه السلام للنهج الأموي.

نعم كان الحسن وأخوه الحسين من جملة أشخاص بعثهم الإمام أمير المؤمنين عليه السلام لمنع الثائرين من قتل الخليفة وانتهاب داره أو الهجوم على عائلته! وفي هذا يتبين سمو الإمام الأخلاقي، فلم يقف موقف المتفرج من ذلك وكان يسعه ما وسع عشرات من الصحابة الموجودين في المدينة، حيث لم يحركوا ساكناً، مع أن عثمان قد أساء كثيرًا لأصحاب الإمام عليّ عليه السلام وآذاهم بالضرب والنفي والتشهير، بل لقد أساء للإمام نفسه ولم يحفظ شأنه كما ينبغي![1].

(1) للاطلاع على بعض كلماته وخطواته تجاههم، يراجع كتابنا: أصحاب النبي محمد / طبع دار المحجة البيضاء بيروت.

ومع كل ذلك فلم يستغل الإمام فرصة ثورة المسلمين على عثمان بتأجيجها بل حاول قدر الإمكان التوسط بينهم وبين الخليفة، وإصلاح ما يمكن إصلاحه. وفي أسوأ الفروض ألا تجر الأمور إلى اقتحام بيت عثمان وقتله، وفي هذا الإطار بعث الإمام الحسنين وغيرهما لمنع حدوث ذلك.

فكان الإمام الحسن عليه السلام وهو في مثل ذلك الوقت بحدود الثلاثين من العمر مؤتمرًا بأمر أبيه ومطيعًا لما أراده منه.

هل شارك الإمام الحسن عليه السلام في فتوحات الخلفاء؟

كأنّ أول من أشار إلى ذلك هو محمد بن جرير الطبري في تاريخه، فإنه ذكر ما نصه: «حدثني عمر بن شبة قال حدثني علي بن محمد عن علي بن مجاهد عن حبش بن مالك قال غزا سعيد بن العاص من الكوفة سنة ثلاثين يريد خراسان ومعه حذيفة بن اليمان وناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ومعه الحسن والحسين وعبد الله بن عباس وعبد الله بن عمر وعبد الله بن عمرو بن العاص وعبد الله بن الزبير..» وتبعه في ذلك من جاء بعده من مؤرخي مدرسة الخلفاء.

وبالرغم من أننا لا نرى مشكلة في ذلك لو ثبت حصول ذلك تاريخيًا، فإن ما يقال من المنع لأجل أن الوالي على الجيش

والقائد هو مثل سعيد بن العاص فكيف يكون الحسنان تحت إمرته؟ وأن الفتوحات تلك لم تكن على المنهاج القويم في أصل بدايتها وغايتها أو في أساليبها كما أشار إليه بعض المحققين فإنه يمكن الإجابة عن الأول بأنه لو فرض حصوله وقد أذن بذلك لهم أمير المؤمنين عليّ وهو الإمام الشرعي في ذلك فلا ضير فيه ويكون بإجازته ومن تقديم الأهم ـ لو فرض ـ على المهم. ويجاب على الثاني: لو فرض حصوله بأن وجود أمثالهم يكون الغرض منه تصويب الاتجاه والغزو قدر الإمكان وبما يستطاع وهو ما فسر به مشاركة بعض أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام في الفتوحات تلك ممن لا يتصور أنهم ينبعثون عن غير أمره وهم ليسوا بالقليل، وأنه لو كان الخيار بين الفساد الأكبر أو تخفيف ذلك الفساد بمقدار ما يستطاع لتم اختيار الثاني، مع أن الفتوحات لم تكن شرًّا مطلقًا وإنما كان فيها إيصال صوت الإسلام إلى سائر الشعوب وإن تخللها غايات مادية وشابها أخطاء وتجاوزات.

فنحن لا نرى مشكلة في ذلك لو فرضنا حصوله، إلا أن المشكلة كل المشكلة هي أنه لا يوجد ما يثبته بل القرائن تعارض مثل هذا الأمر، فمن ذلك:

أولًا: الاختلاف الذي أشار إليه ابن الأثير في الكامل في قضية

فتح طبرستان وأن فتحها هل تمَّ في سنة 18 هـ زمان عمر بن الخطاب؟ وقيل في سنة 30 هـ زمان عثمان بن عفان، فإذا كان الأول فلا معنى للفتح الثاني.

وكذلك فإن الخبر يثبت أن الغزو لطبرستان كان من الكوفة، ومن المعلوم أن الإمام الحسن عليه السلام كان في المدينة في سنة 30 للهجرة، وأنه لم يأت إلى الكوفة إلا مع أبيه عليهما السلام بعد الرجوع من حرب الجمل سنة 36 هـ، وقبل ذلك لا يذكر أن الحسن جاء إلى الكوفة أصلًا.

ثانيًا: أن العلاقة بين البيت العلوي الهاشمي وأتباع الإمام عليه السلام وبين الخليفة عثمان بن عفان في هذه السنة كانت سلبية للغاية بل صدامية، فإنه فيها شهد أهل الكوفة على الوليد بن عقبة أخ الخليفة عثمان من أمه أنه شرب الخمر ورفعوا أمره إلى الخليفة ولما لم يشأ الخليفة إقامة الحد عليه مع قيام الشهود عليه بذلك جلده أمير المؤمنين عليه السلام بنفسه أو بأحد أهل بيته، على كراهة من عثمان في ذلك.

وفي هذه السنة أيضًا تمَّ نفي أبي ذر الغفاري إلى الربذة من قبل الخليفة عثمان، وخرج الإمام علي والحسنان وبعض شيعتهم لتشييع أبي ذر على رغم المنع الرسمي.

إن هذه الأجواء العالية الحدة من العلاقة بين الخلافة الرسمية وبين أمير المؤمنين عليه السلام لا تسمح بأن يرسل الإمام أمير المؤمنين عليه السلام ابنيه الحسنين وهو الذي يقول في مثل حرب الجمل «املكوا عني هذين الغلامين لا يهدّنّي فإني أنفس بهما أن ينقطع نسل رسول الله» وهي حرب صافية الغاية والوسيلة، تحت راية إمام معصوم، ومع ذلك يخاف أن يقتلا فينقطع نسل النبي، أتراه يسمح لهما بأن يذهبا تحت راية سعيد بن العاص وهو ممن نعتوا بأنهم «إذا بلغ بنو العاص ثلاثين رجلًا اتخذوا مال الله دولًا وعباده خولا..» وفي ظل تلك الظروف التي بدأ فيها الخليفة يتواجه صراحة مع الإمام عليه السلام؟!.

وها هو الخليفة عثمان يشكو عبد الله بن عباس عند أبيه العباس بن عبد المطلب بأنه يمالئ معارضيه بل يؤلب الناس عليه، فكيف والحال هذه يذهب في فتوحاته وتحت إمرة قواده؟! حيث أن الخبر ذكر أن من جملة من كان في فتح طبرستان هو عبد الله بن عباس.

ثالثًا: أن بعض من هم في سلسلة سنده قد وصفوا بالكذب والوضع والاختلاق، كما مرَّ في الهامش، وأيضًا فإننا لا نجد هذا الخبر في أي مصدر قبله، مع أن هناك دوافع كثيرة لنقله لو كان،

فإن من المهم عند أتباع مدرسة الخلفاء أن يظهروا حالة الانسجام والتوافق بين الإمام علي والخلفاء لبيان مشروعية خلافتهم، والاجماع الإسلامي عليها، وأفضل شاهد يمكن أن يجدوه هو مشاركة الحسنين في فتوحات الخلفاء، ومع ذلك لم يوجد هذا الخبر في مصدر غير الطبري (المتوفى سنة 310 هـ)، وكذلك لا نجده في أي كتاب من كتب السيرة والحديث التي تعرضت لحياة الإمامين الحسنين لا في كتب مدرسة الخلفاء ولا في مصادر الإمامية، ومن المعلوم أن مصادر الإمامية تتتبع كل شاردة وواردة عن حياتهما، فكيف يكون حدث بهذه الأهمية ولا يذكر ولو بسطر واحد في أي كتاب حديثي أو كتاب سيرة وتاريخ؟!.

وأغرب من ذلك ما ذكره عبد الرحمن بن خلدون ـ وليست غرائبه قليلة ـ من قوله إن عثمان بن عفان لما أراد فتح افريقية ولى عبد الله بن سعد بن أبي سرح أخاه من الرضاعة على الجيش الذاهب في سنة 25 هـ، «ثم إن عبد الله بن أبي سرح استأذن عثمان في ذلك واستمده فاستشار عثمان الصحابة فأشاروا به فجهز العساكر من المدينة وفيهم جماعة من الصحابة منهم ابن عباس وابن عمر وابن عمرو بن العاصي وابن جعفر والحسن والحسين وابن الزبير وساروا مع عبد الله بن أبي سرح...» وكأن

الحسن والحسين عليهما السلام لا همَّ لهما ولا عمل إلا أن ينتظرا أي قائد يعينه الخليفة عثمان ليغزو شرق الأرض أو غربها حتى يسارعا للانضواء تحت لوائه.

ولم يذكر ابن خلدون (توفي 808 هـ) وهو صاحب المقدمة التي (همهم فيها ودمدم ونعى على المؤرخين في كتابة ما لا أصل له ولا شاهد عليه ولا عقل يقبله) لم يذكر مصدره في ذلك، حيث لا مصدر لقوله، بل إن من سبقه كابن الأثير الجزري صاحب الكامل في التاريخ (توفي 630 هـ) نقل خبر تعيين عثمان لسعد بن أبي سرح من دون أن يذكر أنه اصطحب معه الحسنين، ولا المسعودي (توفي 346 هـ) في مروج الذهب، ولا الطبري (توفي 310 هـ) في تاريخه ذكر ذلك، حيث اكتفى بالقول «وندب عثمان الناس إلى إفريقية فخرج إليها عشرة آلاف من قريش والأنصار والمهاجرين» بالرغم من أنه ذكر ما سبق عن طبرستان وقد رأيت الحال فيه! فإما أن يكون قد وهِم ابن خلدون في الأمر فنقل ما قاله الطبري في غزو طبرستان وجعله في أفريقية، (مع أنه ذكره في الموضعين) فهذا قلة تدقيق يحاسب عليه من كان مثله، وإما أن يكون قد تعمد إضافة ذلك من نفسه وهذا أشدّ وأنكى.

الحسن في عهد أبيه المرتضى عليهما السلام.

كالهيم العطاش ترد الماء البارد، جاء الناس إلى أمير المؤمنين يطلبون منه التصدي للخلافة، ويخبرونه ببيعتهم إياه، وحيث كان الإمام عليه السلام يخشى أن لا يطيعوه إن ركب بهم منهجه الصارم في تطبيق الدين[1]، وكان الازدحام كبيرًا حتى لقد وُطئ الحسنان[2] وشُق عطفا أمير المؤمنين، وكان الحسن يمين أبيه وصارمه الذي لا ينبو، فإذا كان الإمام أمير المؤمنين عليه السلام في قيادة الجيش متجها إلى البصرة فها هو الحسن مع الأشتر وعمار وسواهما في الكوفة لعزل أبي موسى الأشعري[3]، وتعبئة الأنصار لقتال الناكثين في الجمل[4].

وإذا كان ذلك من أدواره في حرب أبيه من كونه صاحب راية، وقد تقدم الصفوف حتى قيل إنه طعن الجمل الذي كان عليه مدار

(1) نهج البلاغة، خطب الإمام علي عليه السلام (تحقيق صبحي الصالح)، ص 136 «دَعُونِي والْتَمِسُوا غَيْرِي، فَإِنَّا مُسْتَقْبِلُونَ أَمْرًا، لَه وُجُوه وأَلْوَانٌ، لَا تَقُومُ لَه الْقُلُوبُ، ولَا تَثْبُتُ عَلَيْه الْعُقُولُ، وإِنَّ الآفَاقَ قَدْ أَغَامَتْ، والْمَحَجَّةَ قَدْ تَنَكَّرَتْ. واعْلَمُوا أَنِّي إِنْ أَجَبْتُكُمْ، رَكِبْتُ بِكُمْ مَا أَعْلَمُ، ولَمْ أُصْغِ إِلَى قَوْلِ الْقَائِلِ وعَتْبِ الْعَاتِبِ».

(2) سواء كان بمعنى الحسن والحسين أو بمعنى الإبهامين وقد فسر بعضهم الكلمة بالأول، لكن ابن أبي الحديد خطّأ هذا التفسير وأصر على أن المقصود هو اصبعا الإبهامين.

(3) ابن الأثير الجزري؛ أبو الحسن: الكامل في التاريخ 3/ 231: والحسن يقول له (أبي موسى الأشعري): اعتزل عملنا لا أمّ لك! وتنحّ عن منبرنا!.

(4) المصدر نفسه 3/ 260: بعث عليّ الحسن ابنه وعمار بن ياسر يستنفران الناس.

المعركة، ففي سلم أبيه أيضًا كان له التقدم، ويشهد لذلك تقديم الإمام أمير المؤمنين عليه السلام إياه في مواضع يطلب فيها الجواب منه كما نقل في الأسئلة التي وجهت لمعاوية من بلاد الروم فعجز عن الإجابة عليها ودس بعض أصحابه للكوفة لكي يسأل الإمام عليًا عنها بزعم أنه من شيعته، فينقلها لمعاوية ويكون لهذا فخر الإجابة عليها. فأحالها الإمام إلى ابنه الحسن وأجاب عليها بكاملها[1].

(1) الصدوق، محمد بن علي بن بابويه (ت 381 هـ): الخصال ص 454 حدثنا أبي عنه قال: حدثنا علي بن إبراهيم بن هاشم، عن أبيه عن عبد الرحمن بن أبي نجران، عن عاصم بن حميد، عن محمد بن قيس، عن أبي جعفر عليه السلام قال: بينما أمير المؤمنين عليه السلام في الرحبة والناس عليه متراكمون فمن بين مستفت ومن بين مستعدى إذ قام إليه رجل فقال: السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته فنظر إليه أمير المؤمنين عليه السلام بعينيه هاتيك العظيمتين ثم قال: وعليك السلام ورحمة الله وبركاته من أنت؟ فقال: أنا رجل من رعيتك وأهل بلادك قال: ما أنت من رعيتي وأهل بلادي، ولو سلمت عليَّ يومًا واحدًا ما خفيت علي، فقال: الأمان يا أمير المؤمنين، فقال أمير المؤمنين عليه السلام: هل أحدثت في مصري هذا حدثًا منذ دخلته قال: لا، قال: فعلك من رجال الحرب؟ قال: نعم، قال: إذا وضعت الحرب أوزارها فلا بأس، قال: أنا رجل بعثني إليك معاوية متغفلًا لك أسألك عن شيء بعث فيه ابن الأصفر (ملك الروم) وقال له: إن كنت أنت أحق بهذا الامر والخليفة بعد محمد فأجبني عما أسألك فإنك إذا فعلت ذلك اتبعتك وأبعث إليك بالجائزة! فلم يكن عنده جواب، وقد أقلقه ذلك فبعثني إليك لأسألك عنها فقال أمير المؤمنين عليه السلام: قاتل الله ابن آكلة الأكباد ما أضله وأعماه ومن معه والله لقد أعتق جارية فما أحسن أن يتزوج بها! حَكم الله بيني وبين هذه الأمة؛ قطعوا رحمي، وأضاعوا أيامي، ودفعوا حقي وصغروا عظيم منزلتي وأجمعوا على منازعتي، علي بالحسن والحسين ومحمد فاحضروا فقال: يا شامي هذان ابنا رسول الله وهذا ابني فاسأل أيهم أحببت فقال: أسأل ذا الوفرة (الشعر الطويل) يعني الحسن عليه السلام فقال له الحسن عليه السلام: سلني عما بدا لك!.

فقال الشامي: كم بين الحق والباطل، وكم بين السماء والأرض، وكم بين المشرق والمغرب، =

وقبيل حرب الجمل فقد كان الحسن لسان أبيه المرتضى وأعظم بأبيه بلاغة وفصاحة، ومع ذلك يرسل ابنه ليخطب في الناس بعدما حرضهم ابن الزبير، فقد نقل ابن اعثم الكوفي في الفتوح بأن عبد الله بن الزبير خطب في أهل البصرة وقال: «إن علي بن أبي طالب هو الذي قتل الخليفة عثمان بن عفان (!) ثم إنه الآن قد جاءكم ليبتز أمركم، فاغضبوا لخليفتكم وامنعوا حريمكم وقاتلوا على أحسابكم».

فلما بلغ الإمام عليًّا خطبتُه قال: «قد ذكر لهم أني أنا الذي

= وما قوس قزح، وما العين التي تأوي إليها أرواح المشركين، وما العين التي تأوي إليها أرواح المؤمنين، وما المؤنث، وما عشرة أشياء بعضها أشد من بعض؟ فقال الحسن بن علي عليه السلام: بين الحق والباطل أربع أصابع فما رأيته بعينك فهو الحق، وقد تسمع بإذنيك باطلًا كثيرًا، قال الشامي صدقت، قال: وبين السماء والأرض دعوة المظلوم ومد البصر فمن قال لك غير هذا فكذّبه قال: صدقت يا ابن رسول الله، قال:وبين المشرق والمغرب مسيرة يوم للشمس تنظر إليها حين تطلع من مشرقها وحين تغيب من مغربها، قال الشامي: صدقت فما قوس قزح؟ قال عليه السلام ويحك لا تقل قوس قزح فإن قزح اسم شيطان وهو قوس الله وعلامة الخصب وأمان لأهل الأرض من الغرق، وأما العين التي تأوي إليها أرواح المشركين فهي عين يقال لها: برهوت، وأما العين التي تأوي إليها أرواح المؤمنين وهي يقال لها: سلمى، وأما المؤنث فهو الذي لا يدري أذكر هو أم أنثى فإنه ينتظر به فإن كان ذكرًا احتلم وإن كانت أنثى حاضت وبدا ثديها، وإلا قيل له بل على الحائط فإن أصاب بوله الحائط فهو ذكر وإن انتكص بوله كما انتكص بول البعير فهي امرأة.وأما عشرة أشياء بعضها أشد من بعض فأشد شيء خلقه الله عز وجل الحجر، وأشد من الحجر الحديد الذي يقطع به الحجر، وأشد من الحديد النار تذيب الحديد وأشد من النار الماء يطفئ النار، وأشد من الماء السحاب يحمل الماء، وأشد من السحاب الريح تحمل السحاب، وأشد من الريح الملك الذي يرسلها، وأشد من الملك ملك الموت الذي يميت الملك، وأشد من ملك الموت الموت الذي يميت ملك الموت، وأشد من الموت أمر الله رب العالمين يميت الموت.

قتلت عثمان بن عفان، وزعم لهم أني أريد أن أبتز الناس أمورهم، وقد بلغني أنه شتمني، فقم يا بني فاخطب للناس خطبة بليغة موجزة ولا تشتمن أحدًا من الناس».

فوثب الحسن بن عليّ عليهما السلام فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: «أيها الناس! إنه قد بلغنا مقالة عبد الله بن الزبير، فأما زعمه أن عليًا قتل عثمان فقد علم المهاجرون والأنصار بأن أباه الزبير بن العوام لم يزل يجتني عليه الذنوب ويرميه بفضيحات العيوب، وطلحة بن عبيد الله راكز رايته على باب بيت ماله وهو حي، وأما شتيمته لعلي فهذا ما لا يضيق به الحلقوم لمن أراده، ولو أردنا أن نقول لفعلنا، وأما قوله إن عليًا ابتز الناس أمورهم، فإن أعظم حجة أبيه الزبير أنه زعم أنه بايعه بيده دون قلبه، فهذا إقرار بالبيعة، وأما تورد أهل الكوفة على أهل البصرة فما يُعجَب من أهل حق وردوا على أهل باطل، ولعمري ما نقاتل أنصار عثمان، ولعليٍّ أن يقاتل أتباع الجمل ـ والسلام ـ».

قال: فأنشأ رجل من الأنصار يقول أبياتا مطلعها:

حسن الخير يا شبيه أبيه

قمت فينا مقام أنهى خطيب[1]

(1) الكوفي، أحمد بن أعثم (ت314 هـ): الفتوح 2/ 200.

ويذكر ابن أعثم أن الإمام عليًّا عليه السلام بعدما انتهت حرب الجمل، بعث لعائشة زوجة النبي زيد بن صوحان وعبد الله بن عباس يحملان رسالة من الإمام لها أن ترحل عن البصرة وتعود للمدينة، ثم بعث إليها في يوم آخر ابنه الحسن عليه السلام، وكان لقاؤها مع الحسن هو الفاصل الذي عجل برجوعها إلى المدينة[1].

وفي صفين فقد كان الإمام الحسن ومعه الحسين على ميمنة جيش أبيه[2]، وكانا عينيه اللتين يرى بهما ويحميهما بيده، بمقدار ما كانا يقيانه ويدافعان عنه ولشدة إقدامهما[3] في القتال كان ينادي أصحابه املكوا عني هذين لا ينقطع بهما نسل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم. ومع ذلك كان الحسنان ينغمسان في الحرب ويرويان سيفيهما من دماء أعدائهما[4].

الحسن المجتبى ولي القوم وإمامهم:

مع استشهاد أمير المؤمنين عليه السلام بضربة غادرة من عبد

(1) المصدر نفسه 2/ 218.

(2) المصدر نفسه 3/ 24: وعبأ علي بن أبي طالب عنه أصحابه، فكان على خيل ميمنته الحسن والحسين سبطا النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وعلى رجالتها عبد الله بن جعفر بن أبي طالب ومسلم بن عقيل بن أبي طالب، وعلى خيل الميسرة محمد بن الحنفية.

(3) المصدر 3/ 299 وكان الحسن والحسين ومحمد بنو عليّ معه حين قصد الميسرة والنّبل يمرّ بين عاتقه ومنكبيه، وما من بنيه أحد إلّا يقيه بنفسه.

(4) المصدر نفسه 3/ 136: وأقبل الحسن والحسين ومحمد بن الحنفية وعبد الله بن جعفر ومحمد بن أبي بكر عنهم وغيرهم من أهل البيت وسيوفهم مخضوبة بالدماء.

الرحمن بن ملجم، تولى الحسن المجتبى الأمر بعده، بالتنصيب الأصلي الذي كان من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، في قوله المعروف «الحسن والحسين إمامان» وفي تعيين الإمام أمير المؤمنين عليه السلام له ونصه عليه[1]، وبكونه الأفضل بين المسلمين في زمانه، بتسالم كبار شيعة أبيه في الكوفة عليه[2]، ولم يتأخر الإمام الحسن عليه السلام في المضي في خطة أبيه المرتضى لمواجهة معاوية عسكريا، وقد نكث العهد الذي توافقوا عليه في دومة الجندل بعد صفين والتحكيم، وأخذ يبث الفرق العسكرية الخاطفة ترهب أتباع

(1) الخزاز القمي؛ علي بن محمد (ت 300 هـ): كفاية الأثر 241 فقد أفرد فصلاً في نص الإمام أمير المؤمنين على الحسن والحسين راويًا عن النبي قوله: «لما عرج بي إلى السماء نظرت إلى ساق العرش فإذا فيه مكتوب «لا إله إلا الله محمد رسول الله أيدته بعلي ونصرته بعلي ورأيت اثني عشر نورًا فقلت: يا رب أنوار من هذه؟ فنوديت: يا محمد هذه أنوار الأئمة من ذريتك. قلت: يا رسول الله أفلا تسميهم لي؟ قال: نعم أنت الإمام والخليفة بعدي تقضي ديني وتنجز عداتي، وبعدك ابناك الحسن والحسين، بعد الحسين ابنه علي زين العابدين، وبعده ابنه محمد..»

(2) اليوسفي الغروي؛ محمد هادي: موسوعة التاريخ الإسلامي 5/ 453: أما عدي بن حاتم الطائي فلما رأى تساهل البعض في تلبية دعوة الإمام الحسن لقتال معاوية. قام وقال: «أنا ابن حاتم، سبحان اللّه! ما أقبح هذا المقام! ألا تجيبون إمامكم وابن بنت نبيكم! أين المسلمون؟! أين خطباء مضر؟ أين الخوّاضون من أهل المصر الذين ألسنتهم كالمخاريق في الدّعة فإن جدّ الجدّ فروّاغون كالثعالب! أما تخافون مقت اللّه؟! ولا عيبها وعارها! ثمّ التفت إلى الإمام عليه السلام وقال له: أصاب اللّه بك المراشد، وجنّبك المكاره، ووفقك لما يحمد ورده وصدره، فقد سمعنا مقالتك، وانتهينا إلى أمرك، وسمعنا منك وأطعناك فيما قلت وما رأيت. ثمّ قال: وهذا وجهي إلى معسكري، فمن أحبّ أن يوافيني فليواف... فقام قيس بن سعد بن عبادة الأنصاري، ومعقل بن قيس الرياحي، وزياد بن خصفة التيمي، فأنّبوا الناس وحرّضوهم، وكلّموا الإمام بمثل كلام عديّ بن حاتم بالقبول والإجابة لأمره. وقال لهم الإمام عليه السلام: صدقتم ـ رحمكم الله ـ ما زلت أعرفكم بصدق النية والوفاء بالقول، والمودّة الصحيحة، فجزاكم الله خيرا!»

أمير المؤمنين في أطراف دولته وتقتل وتسرق، واستشهد الإمام بينما كان يحضر جيشه للقتال من جديد، فجاء الحسن المجتبى لمواصلة تلك المسيرة، وأعد العدة وخرج إلى النخيلة (معسكر خارج الكوفة) وتوافد إليه من كان يريد القتال.

لظروف معينة؛ سوف يأتي ذكرها عند الحديث عن صلح الإمام الحسن والنظريات المذكورة فيه، تمت المهادنة بين معاوية وأنصاره من أهل الشام وبين الإمام الحسن والمسلمين عموما، وكتبت في ذلك وثيقة صلح سيأتي ذكر بنودها وشروطها، وأهم ما فيها أن يكون الحكم لمعاوية على شرط أن يقضي بكتاب الله وسنة رسوله، وألا يتتبع أنصار أمير المؤمنين ﷺ أو يعاقبهم بجريرة انتمائهم إليه، وأن يكون الحكم بعده للحسن فإن قضى الحسن قبله فللحسين بن عليّ، وأمور أخر.

صلح الإمام الحسن مع معاوية

بالرغم من اختلاف وجهات النظر حول موضوع الصلح، إلا أن من الواضح أنه كان الخيار الأفضل للأمة الإسلامية عمومًا، ولشيعة أمير المؤمنين على وجه الخصوص، ولسيدهم الإمام الحسن ﷺ. وبالرغم من فوائده العاجلة لمعاوية وأنصاره إلا أنه على المدى البعيد لم يكن كذلك، الأمر الذي جعل معاوية يفكر

جديًا في التخلص من الإمام الحسن واغتياله، ومعاوية وإن لم يكن له خبرة في القتال ولا شجاعة المواجهة المباشرة، لكنه كان خبيرًا في الاغتيال الخفي، والمكر السري والقتل عن طريق السمّ وقد فعل ذلك مرارًا مع أعدائه ومنافسيه بل أصحابه![1].

فلِمَ لا يفعله مع الإمام الحسن ويتخلص منه؟ وما الذي يمنعه عن ذلك؟ التزام ديني؟ أو عهد أخلاقي؟ أو ميثاق ومعاهدة؟ كلُّ ذلك عنده لا يساوي شيئًا!.

وهذا ما حصل.. ليتم التنفيذ بواسطة جعدة بنت الأشعث بن قيس الكندي وكانت زوجة للإمام الحسن على أن تسمه في مقابل أن تصبح زوجة ليزيد![2].

(1) فقد أقدم على اغتيال مالك الأشتر النخعي بالسم كما سيأتي الحديث عنه، وهذا يصنف على أنه من أعدائه، بل أقدم على اغتيال عبد الرحمن بن خالد بن الوليد وهو من أشد أنصاره! فقد ذكر ابن عساكر في تاريخ دمشق 16/ 164 «أن عبد الرحمن بن خالد بن الوليد كان قد عظم شأنه بالشام ومال إليه أهلها لما كان عندهم بها من آثار أبيه خالد بن الوليد ولغنائه عن المسلمين في أرض الروم وبأسه حتى خافه معاوية وخشي على نفسه منه لميل الناس إليه فأمر ابن أثال أن يحتال في قتله وضمن له إن هو فعل ذلك أن يضع عنه خراجه ما عاش وأن يوليه جباية خراج حمص فلما قدم عبد الرحمن حمص منصرفا من بلاد الروم دس ابن أثال شربة مسمومة مع بعض مماليكه فشربها فمات بحمص فوفى معاوية بما ضمن له وولاه خراج حمص ووضع عنه خراجه» وسعد بن أبي وقاص وكان معتزلًا لكن مع ذلك فقد: «دس معاوية إليه (الإمام الحسن) حين أراد أن يعهد إلى يزيد بعده، وإلى سعد بن أبي وقّاص سمّا فماتا منه في أيام متقاربة» كما قال أبو الفرج في مقاتل الطالبيين 60.

(2) خدعها معاوية بن أبي سفيان كما خدع غيرها فاكتفى بإعطائها مقدارًا من المال، ولم يزوجها ابنه، فتزوجها العَبّاسُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبّاسٍ بَعْدَ الحَسَنِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طالِبٍ، كما في الطبقات الكبرى ط دار صادر 5/ 315.

فقامت تلك المرأة المجرمة بتشجيع مجرمين قبلها، بدس السم للإمام عليه السلام، في شهر صفر من سنة 50 للهجرة وقضى الإمام عليه السلام نحبه بذلك[1].

(1) فقد ذكر ذلك ابن سعد في الطبقات الكبرى والبلاذري (ت 279) في أنساب الأشراف 3/ 55 ـ وقد قيل: أن مُعاوِيَة دس إلى جعدة بنت الأشعث بْن قَيْس امرأة الحسن وأرغبها حتى سمّته وكانت شائقة له وأبو الفرج الأصبهاني (ت 356) في مقاتل الطالبيين 1/ 60 حيث قال: «ودس معاوية إليه حين أراد أن يعهد إلى يزيد بعده، وإلى سعد بن أبي وقّاص سمّا فماتا منه في أيام متقاربة. وكان الذي تولّى ذلك من الحسن زوجته [جعدة] بنت الأشعث بن قيس لمال بذله لها معاوية. وسنذكر الخبر في ذلك». وكذلك المطهر بن طاهر المقدسي (ت نحو 355) في كتابه البدء والتاريخ 6/ 5 «وقال آخرون أن معاوية دس إلى جعدة بنت الأشعث بن قيس بأن تسمّ الحسن ويزوجها يزيد فسمته وقتلته فقال لها معاوية إن يزيد منا بمكان وكيف يصلح له من لا يصلح لابن رسول الله وعوضها منه مائة ألف درهم» وابن عبد البر (ت 463 هـ) في كتابه الاستيعاب في معرفة الأصحاب 1/ 389 فقال «وقال قتادة وأبو بكر بن حفص: سم الحسن بن علي، سمته امرأته جعدة بنت الأشعث بن قيس الكندي. وقالت طائفة: كان ذلك منها بتدسيس معاوية إليها وما بذل لها في ذلك، وكان لها ضرائر، والله أعلم». وابن أبي الحديد في شرح النهج وقال ابن أبي الحديد (ت 656 هـ) ـ في شرح ج 16، ص 11:

قال أبو الحسن المدائني: وكانت وفاته في سنة تسع وأربعين، وكان مرضه أربعين يوما، وكانت سنه سبعًا وأربعين سنة، دسَّ إليه معاوية سمًّا على يد جعدة بنت الأشعث بن قيس زوجة الحسن وقال لها: إن قتلتيه بالسم فلك مائة ألف وأزوجك يزيد ابني! فلما (سمت الحسن) ومات (به) وفى لها بالمال ولم يزوجها من يزيد (و) قال (لها): أخشى أن تصنع بابني كما صنعت بابن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم! وذكره سبط ابن الجوزي (ت 654) في مرآة الزمان في تواريخ الأعيان 7/ 125 قال: وروى ابن سعد أن جَعْدَةَ بنت الأشعث بن قيس سَقَتْهُ السُّمَّ؛ فقال: حدَّثنا يحيى بن حمّادٍ بإسناده عن أُمِّ موسى أن جَعْدَةَ بنت الأشعث بن قيس سقته السُّمَّ، فاشتكى منه شَكاةً، فكان يُوضع تحته طَسْتٌ وتُرفَع أُخرى نحوًا من أربعين يومًا. وقال أبو اليقظان والهيثم بن عديّ: بعث معاوية بن أبي سفيان إلى جَعْدَة بنت الأشعث بن قيس: سُمِّي الحسنَ، ولكِ مئةُ ألف درهم وأُزوّجُك يزيد، فسَمَّتْهُ، فلما مات الحسنُ بعثت إليه تستنجز وعْدَه، فبعث إليها بالمالِ وقال: أما يزيدُ فإني أُحبُّ حياتَه. كما ذكره جمال الدين المزي (ت 742 هـ) في تهذيب الكمال في أسماء الرجال 6/ 253 «وقال مُحَمَّد بْن سلام الجمحي، عن ابْن جعدبة: كانت جعدة بنت الأشعث بْن قيس تحت الحَسَن بْن عَلِيّ، فدس إليها يزيد أن سمي حسنا إنني زوجك، ففعلت، فلما مات الحَسَن بعثت جعدة إلى يزيد تسأله الوفاء بما وعدها، فقال: إنا والله لم نرضك للحسن فنرضاك لأنفسنا؟ وغيرهم كثير.

ثلاث نظريات في صلح الإمام الحسن عليه السلام

أبرز قضية حصل الاختلاف في تقييمها، في حياة الإمام الحسن عليه السلام هي قضية الصلح أو المهادنة التي تمت بين الإمام من جانب ومعاوية بن أبي سفيان من جانب آخر.

ولا نعتقد بوجود فرق كبير في استعمال الكلمتين عند مستعمليها وإن كان ربما بالتدقيق يظهر للبعض فرق، جعل بعض الباحثين يتحفظ على عنوان الصلح، باعتبار أنه لا يوجد صلح بين الهدى والضلال، فالذي حصل هو مهادنة[1] وليس صلحًا. إلا أنه حتى الذين يستخدمون كلمة الصلح لا يقصدون هذا المعنى ولذلك نجد التعبير موجودًا حتى فيما يروى من كلمات الحسن المجتبى عليه السلام في تسمية ذلك بالمصالحة وأنه شبهه

(1) لعلنا نلاحظ من تأكيد المرحوم السيد العاملي في كتابه سيرة الحسن واصراره على كلمة الهدنة هذا المعنى.

بمصالحة النبي مع كفار قريش[1]، من الواضح أنه لا صلح بين الإسلام والكفر. كما أن الكثير من العلماء المدققين قد استعملوا كلمة الصلح[2] لوصف ما جرى.

ويمكن لنا أن نرصد ثلاث وجهات نظر أساسية، بالرغم من أنه يمكن أن يكون أكثر من ذلك، وأيضًا قد يحصل تداخل فيما بينها، لكننا سنفترض هذه النظريات كأساس وسنغفل ما سواها، وحتى بعض التداخل الذي يحصل بين بعضها بل وبين غيرها؛ الأموية، والعباسية، والإمامية.

1/ وجهة النظر الأموية[3]

وهذه تقريبًا هي السائدة اليوم في ثقافة عامة المسلمين من أتباع مدرسة الخلفاء وهي تسعى (ضمن إطار نظرية عدالة الصحابة تارة، أو فكرة نسكت عما شجر بينهم، وأن تلك نزاعات سلم الله

(1) الصدوق؛ محمد بن علي بن بابويه: علل الشرائع 1/ 249 «علة مصالحتي لمعاوية علة مصالحة رسول الله صلى الله عليه وآله لبني ضمرة وبني أشجع ولأهل مكة»

(2) من ذلك: كتاب صلح الحسن للمرحوم الشيخ راضي آل ياسين، وتوثيق هذا المعنى في مقدمته للمرحوم السيد عبد الحسين شرف الدين.

(3) أشار إليها العلامة السيد سامي البدري في كتابه الإمام الحسن في مواجهة الانشقاق الأموي / 27، وأن الروايات التي دونت في العصر العباسي كانت مصادرها ممالئة للأمويين كالروايات عن الزهري الذي كان من قضاة الأمويين ومقربًا منهم، وكذلك عوانة بن الحكم الذي عرف بوضعه الأخبار لهم.

أيدينا وسيوفنا منها فلنسلّم ألسنتنا عنها.. وإجمالًا فكرة الانسجام بين من عاش في القرن الأول الهجري هي التي تسوق إليها).

تعتمد هذه النظرية على أمور:

الأول: أن معاوية بن أبي سفيان، هو الذي سعى لموضوع الصلح، وعرضه على الإمام الحسن، إلى الدرجة التي أمضى له ورقة بيضاء يضع فيها الحسن ما شاء من الشروط[1]، وبذل أموالاً

(1) ليس هذا فحسب بل إن ابن الأثير في الكامل 3/ 405 قد هرف بأنه «لمّا رأى الحسن تفرّق الأمر عنه كتب إلى معاوية وذكر شروطًا وقال له: إن أنت أعطيتني هذا فأنا سامع مطيع وعليك أن تفي لي به. وقال لأخيه الحسين وعبد اللَّه بن جعفر: إنّني قد راسلت معاوية في الصلح. فقال له الحسين: أنشدك اللَّه أن تصدّق أحدوثة معاوية وتكذب أحدوثة أبيك! فقال له الحسن: اسكت، أنا أعلم بالأمر منك.

فلمّا انتهى كتاب الحسن إلى معاوية أمسكه، وكان قد أرسل عبد اللَّه بن عامر وعبد الرحمن بن سمرة بن حبيب بن عبد شمس إلى الحسن قبل وصول الكتاب ومعهما صحيفة بيضاء مختوم على أسفلها، وكتب إليه: أن اشترط في هذه الصحيفة التي ختمت أسفلها ما شئت فهو لك.

فلمّا أتت الصحيفة إلى الحسن اشترط أضعاف الشروط التي سأل معاوية قبل ذلك وأمسكها عنده، فلمّا سلّم الحسن الأمر إلى معاوية طلب أن يعطيه الشروط التي في الصحيفة التي ختم عليها معاوية، فأبى ذلك معاوية وقال له: قد أعطيتك ما كنت تطلب.

وكان الّذي طلب الحسن من معاوية أن يعطيه ما في بيت مال الكوفة، ومبلغه خمسة آلاف ألف، وخراج دارابجرد من فارس، وألا يشتم عليّا، فلم يجبه إلى الكفّ عن شتم عليّ، فطلب ألا يشتم وهو يسمع، فأجابه إلى ذلك ثمّ لم يف له به أيضا، وأمّا خراج دارابجرد فإن أهل البصرة منعوه منه وقالوا: هو فيئنا لا نعطيه أحدا، وكان منعهم بأمر معاوية أيضا.» وبالطبع فإن الذي يقرأ هذا النص الكاذب يخرج بنتائج:

1/ أن الإمام الحسن هو الذي ركض وراء الصلح بعد أن هزم!

2/ أن كل ما يهم الحسن المجتبي هو بيت المال والخراج ولذلك اشترط عليه أول الأمر ذلك واكتفى به، فهو شخص مادي يبيع السلم والحرب بالمال!! وأنه بينما سعى الحسن للصلح =

للإمام الحسن، في سبيل أن يتحقق هذا الصلح، وقد قبل الحسن هذا الصلح لما كان فيه من مصلحة، أشار إليها ما روي في مصادر مدرسة الخلفاء من حديث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في حق الحسن وأنه «سيصلح الله به بين فئتين من المسلمين»[1].

بطبيعة الحال لا بدَّ أن يستنتج قارئ النصوص التاريخية المتأثرة بالنظرة الأموية أن من يطلب الصلح مع كونه في موقع القوة والانتصار ـ معاوية كما يزعمون ـ أفضل ممن يسعى وراء الحرب[2]، إذ [الصُّلْحُ خَيْرٌ] وأفضل ممن يسعى إليه عندما يهزم ـ وهو الحسن المجتبى ـ كما يزعمون!.

= مضطرًا ومن موقع هزيمة فإن معاوية سعى للصلح مع أنه كان في موقع القوة، وأن لجوءه للصلح كان على خلاف طريقة أبيه على واعتراض أخيه الحسين!!

3/ أنه لا يفي بكلامه فقد كتب شرطين ماليين في أول الأمر فلما جاءت الرسالة الأخرى البيضاء من معاوية اشترط فيها شروطًا اضافية، فالقضية إذن عنده ليست سوى مساومات! وأنه لا يلتزم بما قاله.. ومعنى هذا أن معاوية لو لم يف له فيما بعد فإن الحسن لم يلتزم بكلمته قبل ذلك.. وفي هذه الكلمات القليلة من قلب الحقائق وإثبات الأكاذيب ما لا يخفى على المتأمل، وهذا نموذج واحد مما كتبه المؤرخون.

(1) رأى الشيخ محمد هادي اليوسفي الغروي في موسوعة التاريخ الإسلامي 5/ 504 أن الحديث مختلق وقال عند نقله احتجاج الإمام الحسن بأن النبي قال فيه وفي الحسين، إنهما إمامان قاما أو قعدا..» احتجّ الإمام عليه السلام هنا بهذا الحديث النبوي الشريف، ولم يحتجّ قط بما رووه عن الصحابي أبي بكرة الثقفي عنه صلى الله عليه وآله وسلم في قوله الحسن: «ابني هذا سيّد، وسيصلح الله به بين طائفتين أو فئتين من أمتي» ولو صحّ عنه ذلك لكان أولى بالاحتجاج به، ممّا يدلّ على اختلاقه ووضعه على لسانه كذبا».

(2) وكأن في ذلك إشارة مبطنة إلى انتقاد طريقة الإمام علي عليه السلام حيث خاض الحروب في خلافته.

الثاني: أنه كان في ذلك الصلح فوائد كبيرة للمسلمين، وأولها اجتماع حال المسلمين بعدما كانت مفترقة، وأنه حقن دماء المسلمين فيما بينهم[1]، ولذلك سمَّوا العام الذي حصل فيه الصلح بعام الجماعة.

لقد كان معاوية ـ حسب هذه النظرية ـ سخيًا في بذل المال للحسن بن عليّ، من أجل أن يتحقق الصلح، وكأنه يراد القول: إن معاوية اشترى وحدة المسلمين بأمواله[2]. وفي المقابل فإن الناظر سيستنتج أن الحسن ليس صاحب مواقف مبدئية وإنما تشترى

(1) صحيح البخاري 3/ 186 ـ البخاري: اسْتَقْبَلَ واللَّهِ الحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ مُعاوِيَةَ بِكَتائِبَ أمْثالِ الجِبالِ، فَقالَ عَمْرُو بْنُ العاصِ: إنِّي لَأرى كَتائِبَ لاَ تُوَلِّي حَتّى تَقْتُلَ أقْرانَها، فَقالَ لَهُ مُعاوِيَةُ وكانَ واللَّهِ خَيْرَ الرَّجُلَيْنِ: أيْ عَمْرُو إنْ قَتَلَ هَؤُلاَءِ هَؤُلاَءِ، وهَؤُلاَءِ هَؤُلاَءِ مَن لِي بِأُمُورِ النّاسِ مَن لِي بِنِسائِهِمْ مَن لِي بِضَيْعَتِهِمْ، فَبَعَثَ إلَيْهِ رَجُلَيْنِ مِن قُرَيْشٍ مِن بَنِي عَبْدِ شَمْسٍ: عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ سَمُرَةَ، وعَبْدَ اللَّهِ بْنَ عامِرِ بْنِ كُرَيْزٍ، فَقالَ: اذْهَبا إلى هَذا الرَّجُلِ، فاعْرِضا عَلَيْهِ، وقُولاَ لَهُ: واطْلُبا إلَيْهِ، فَأتَياهُ، فَدَخَلاَ عَلَيْهِ فتَكَلَّما، وقالاَ لَهُ: فَطَلَبا إلَيْهِ، فَقالَ لَهُما الحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ: إنّا بَنُو عَبْدِ المُطَّلِبِ، قَدْ أصَبْنا مِن هَذا المالِ، وإنَّ هَذِهِ الأُمَّةَ قَدْ عاثَتْ فِي دِمائِها، قالاَ: فَإنَّهُ يَعْرِضُ عَلَيْكَ كَذا وكَذا، ويَطْلُبُ إلَيْكَ ويَسْألُكَ قالَ: فَمَن لِي بِهَذا، قالاَ: نَحْنُ لَكَ بِهِ، فَما سَألَهُما شَيْئًا إلّا قالاَ: نَحْنُ لَكَ بِهِ، فَصالَحَهُ، فَقالَ الحَسَنُ: ولَقَدْ سَمِعْتُ أبا بَكْرَةَ يَقُولُ: رَأيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وآله وسلم عَلى المِنبَرِ والحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ إلى جَنْبِهِ، وهُوَ يُقْبِلُ عَلى النّاسِ مَرَّةً، وعَلَيْهِ أُخْرى ويَقُولُ: «إنَّ ابْنِي هَذا سَيِّدٌ ولَعَلَّ اللَّهَ أنْ يُصْلِحَ بِهِ بَيْنَ فِئَتَيْنِ عَظِيمَتَيْنِ مِنَ المُسْلِمِينَ»

(2) هذا مع أنهم في مدرسة الخلفاء يروون عن النبي «أن ابني هذا سيد وسيصلح الله به بين فئتين عظيمتين من المسلمين»، فبناء على هذه الرواية الموجودة عند مدرسة الخلفاء، النبي صلى الله عليه وآله وسلم يصف الحسن بالسيادة وبأنه سيصلح الله به، وهذا يعني أنه هو الذي سيكون أداة الإصلاح بين المسلمين. لسنا في صدد تصحيح الحديث الآن ولكن بحسب ما هو عندهم فإن سبب الإصلاح هو الحسن لا سواه.

مواقفه وتتغير بالمال، وفي هذا من الطعن الكبير في الإمام ما لا يخفى!.

الثالث: وهو مهم في هذه النظرية أن الصلح أنتج أن الأمة قد اجتمعت على معاوية بن أبي سفيان، وحين اجتمعت عليه فقد أصبح خليفة شرعيًا!.

2/ النظرية العباسية المتطرفة

إذا كانت النظرية الأموية تسعى غاية جهدها إلى الاستفادة من موضوع الصلح في تثبيت شرعية السلطة الأموية، والعبور منه إلى عنوان الخلفاء، فإن الرؤية العباسية ـ وبالذات التي صاغها المنصور العباسي ـ كانت في غاية التطرف والعدوانية. فإن أبا جعفر المنصور الذي كان يخوض حرب مشروعية في الخلافة مع بني الحسن، بل معركة عسكرية متعددة الجبهات مع كبارهم كمحمد بن عبد الله بن الحسن المثنى وأخيه إبراهيم، كان قد فتح أبواب المعارك كلها (سياسية وإعلامية وعسكرية واجتماعية)، فقد قام بسجن بني الحسن وأحفاده[1] ومات قسم منهم فيه، وخاض معركة عسكرية مع محمد النفس الزكية عندما

(1) سيأتي ذكر بعض أسمائهم في صفحات قادمة.

أرسل له جيشًا ثم بعد أن قضى على محمد وإبراهيم استقدم الطالبيين حتى لم يترك فيهم محتلمًا![1] وعلى المستوى السياسي والإعلامي فقد خاض حرب تشويه لرموز الطالبيين الكبرى بنحو لم يصنع عشر معشارها بنو أمية وهم الأعداء التقليديون لهم! فالذي ينظر في رسالته لمحمد النفس الزكية يجد فيها مقدارًا كبيرًا من عداوة أمير المؤمنين عليٍّ عليه السلام والحسن والحسين، والشاهد في ما نحن فيه هو ما يرتبط بالإمام الحسن وصلحه، فإن المنصور قد أغرق نزعًا في الإساءة له، باعتباره جدَّ من ثاروا ضده، وفي احدى خطبه العامة[2] ذكر الحسن بن عليّ وصلحه

(1) فإنه بعدما قضى على ثورة محمد بن عبد الله بن الحسن المسمى بالنفس الزكية في المدينة، وثورة أخيه إبراهيم بن عبد الله في البصرة، استقدم العلويين جميعًا وأخذ يهددهم، وكما نقل ابو الفرج الاصفهاني في مقاتل الطالبيين/ 301 عن الإمام جعفر الصادق ما يلي: لما قتل إبراهيم بن عبد الله بن الحسن بباخمرى حسرنا عن المدينة، ولم يترك فيها منا محتلم (بالغ)، حتى قدمنا الكوفة، فمكثنا فيها شهرًا نتوقع فيها القتل، ثم خرج إلينا الربيع الحاجب فقال: أين هؤلاء العلوية؟ أدخلوا على أمير المؤمنين رجلين منكم من ذوي الحجى. قال: فدخلنا إليه أنا والحسن بن زيد، فلما صرت بين يديه قال لي: أنت الذي تعلم الغيب؟.
قلت: لا يعلم الغيب إلا الله.
قال: أنت الذي يجبى إليك هذا الخراج؟.
قلت: إليك يجبى- يا أمير المؤمنين- الخراج.
قال: أتدرون لم دعوتكم؟ قلت: لا.
قال: أردت أن أهدم رباعكم، وأروع قلوبكم، وأعقر نخلكم، وأترككم بالسراة، لا يقربكم أحد من أهل الحجاز، وأهل العراق فإنهم لكم مفسدة.. إلى آخر الخبر.

(2) المسعودي؛ علي بن الحسين (346 هـ): مروج الذهب ومعادن الجوهر 3/ 300: ولما أخذ المنصور عبد الله بن الحسن (المثنى) وإخوته والنفر الذين كانوا معه من أهل بيته صعد المنبر بالهاشمية، =

بأسوأ ما يمكن من الذكر، ولا ريب أن هذا النحو من تقييمه لفعل الإمام الحسن بل لفعل أبيه وأخيه، سينعكس في شعر شعراء البلاط، وحديث خطباء صلوات الجمع وهكذا.

وفي رسالة من رسائله لمحمد النفس الزكية لخص ما حدث بين معاوية والإمام الحسن بقوله «ثم كان حسن فباعها من معاوية

= فحمد الله وأثنى عليه، وصلى على محمد صلى الله عليه وسلم، ثم قال: يا أهل خراسان، أنتم شيعتنا وأنصارنا، وأهل دعوتنا، ولو بايعتم غيرنا، لم تبايعوا خيرًا منا، إن ولد ابن أبي طالب تركناهم والذي لا إله إلا هو والخلافة فلم نعرض لهم لا بقليل ولا بكثير. فقام فيها علي بن أبي طالب فما أفلح، وحكم الحكمين، فاختلفت عليه الأمة، وافترقت الكلمة، ثم وثب عليه شيعته وأنصاره وثقاته فقتلوه، ثم قام بعده الحسن بن علي فوالله ما كان برجل، عُرِضت عليه الأموال فقبلها، ودسَّ إليه معاوية إني أجعلك وليّ عهدي، فخدعه وانسلخ له مما كان فيه، وسلمه إليه، وأقبل على النساء يتزوج اليوم واحدة ويطلق غدًا أخرى، فلم يزل كذلك حتى مات على فراشه..

اقول: ترى من الأكاذيب في هذه الكلمات ما يحتاج إلى صفحات (وقد نذكره في تاريخنا لسيرة الإمام الصادق عليه السلام والتعرض لشخصية المنصور العباسي)، بدءا من كلامه وقوله في أن ولد أبي طالب قد تركناهم، والحال أنه هو مطلوب لهم ببيعة ملزمة، حين بايع النفس الزكية قبل أن يغدر به، كما غدر بغيره، ثم سعى يطلب أبناء وأحفاد الحسن تحت كل حجر ومدر، حتى شهد تاريخ المسلمين إلى ذلك الوقت أول حالة من منع التجول العام في المدينة والتفتيش على البيوت بيتا بيتا للبحث عن أبناء عبد الله بن الحسن.. فهذا هو تركهم كما يقول المنصور؟ وكلامه الأسوأ حول أمير المؤمنين عليه السلام الذي زعم بأنه ما أفلح وحكم الحكمين واختلفت عليه الأمة ووثب عليه (شيعته!!) فقتلوه!! ويصدق القول هنا إذا لم تستح فقل ما شئت.

وأسوأ منه كلامه الكاذب عن الحسن الزكي في قوله «فو الله ما كان برجل» فبينما يقول النبي المصطفى عنه أنه سيد شباب أهل الجنة، يخالفه هذا الطاغية فيقول ليس برجل، وبناء على ما نقله محدثو مدرسة الخلفاء: إن ابني هذا سيد» بينما يقول عنه المنصور ذلك الكلام!.

وقد نقل المسعودي في النص السابق الترضي منه على الإمام علي والحسن.. وأظنه إضافة من المسعودي لميوله الشيعية فإن سياق الخطبة من الذم والشتم لا يتناسب معه الترضي بحال! والشاهد على ذلك أن من نقل النص كالطبري 8/ 9 نقله خاليًا من الترضي وهو المناسب للمنصور كشخص، وللخطبة في سياقها الزمني والسياسي.

بخرق ودراهم ولحق بالحجاز، وأسلم شيعته بيد معاوية ودفع الأمر إلى غير أهله، وأخذ مالًا من غير ولائه ولا حله، فإن كان لكم فيها شيء فقد بعتموه وأخذتم ثمنه»![1].

ولا أجد كلمات تستطيع أن تحيط بمقدار هذا التجني منه على الإمام الحسن عليه السلام، الذي في رأيه باع الخلافة بخرق ودراهم! ولحق بالحجاز! وأسلم شيعته لمعاوية! وأخذ مالًا من غير حِلِّه!.

ولا أرى في ذلك غرابة منه! فإن الذي يقول لمثل الإمام جعفر الصادق وهو يعلم أنه لم يشارك بني الحسن في حركتهم: «أتدرون لم دعوتكم؟ أردت أن أهدم رباعكم، وأروع قلوبكم، وأعقر نخلكم، وأترككم بالسراة، لا يقربكم أحد من أهل

(1) الطبري؛ محمد بن جرير (ت 310هـ): تاريخ الرسل والملوك 7/ 570؛ كما ذكرنا فإن المنصور العباسي تجاوز كل الخطوط الحمراء في (نصبه العداء) لعلي وأهل بيته، وقال فيهم كلامًا كاذبًا لم يقله أشد أعدائهم الأمويون: «وأما ما فخرت به من علي وسابقته، فقد حضرتْ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وآله الوفاة، فأمر غيره بالصلاة، ثم أخذ الناس رجلًا بعد رجل فلم يأخذوه، وكان في الستة فتركوه كلهم دفعًا له عنها، ولم يروا له حقًا فيها، أما عبد الرحمن فقدم عليه عثمان، وقتل عثمان وهو له متهم، وقاتله طلحة والزبير، وأبى سعد بيعته، وأغلق دونه بابه، ثم بايع معاوية بعده ثم طلبها بكل وجه وقاتل عليها، وتفرق عنه أصحابه، وشك فيه شيعته قبل الحكومة، ثم حكم حكمين رضي بهما، وأعطاهما عهده وميثاقه، فاجتمعا على خلعه ثم كان حسن فباعها من معاوية بخرق ودراهم ولحق بالحجاز، وأسلم شيعته بيد معاوية ودفع الأمر إلى غير أهله، وأخذ مالًا من غير ولائه ولا حله، فإن كان لكم فيها شيء فقد بعتموه وأخذتم ثمنه ثم خرج عمك حسين بْن علي على ابن مرجانة، فكان الناس معه عليه حتى قتلوه، وأتوا برأسه إليه..

الحجاز، وأهل العراق فإنهم لكم مفسدة»! لا يستغرب منه أن يتكلم بهذا السوء عن مثل الحسن بن عليّ الزكي.

وللقارئ الكريم أن يتأمل في المسافة البعيدة بين كلام هذا الحاكم الطاغية عن الإمام الحسن وبين كلام رسول الله في حقه حيث اعتبره «سيد شباب أهل الجنة» وأن «من أحبه فقد أحبني ومن أبغضه فقد أبغضني» وأمثالها من الأحاديث التي تمَّ ذكرها في صفحات أخر.

سوف نرى أيضًا أن أسوأ كلمات المستشرقين في شأن الإمام الحسن المجتبى عليه السلام كأنه نسخ حرفي لكلمات المنصور العباسي.

3/ الرؤية الشيعية تجاه الصلح

تنطلق هذه الرؤية بمختلف تعبيراتها من أرضية أن الحسن بن عليّ إمامٌ حكيم ومعصوم[1]، ومع كونه كذلك فلا يعقل أن يكون اختياره للصلح أو بنوده خارج إطار الحكمة والمصلحة للدين والأمة.

لا سيما وقد تحدث الإمام عن ذلك وبين فوائده في مناسبات

(1) وإذا كان هذا المعنى غير واضح بعض الشيء فيما مضى عند بعض الشيعة، فإنه في العصور الحديثة أصبح واضحا من الناحية العقائدية ومحل اتفاق.

مختلفة، فمن ذلك تشبيهه صلحه مع معاوية بصلح رسول الله مع قريش كما جاء في علل الشرائع للشيخ الصدوق؛ فعن أبي سعيد عقيصًا قال: «قلت للحسن بن عليّ بن أبي طالب يا بن رسول الله لم داهنت معاوية وصالحته وقد علمت أن الحق لك دونه وان معاوية ضال باغ؟.

فقال: يا أبا سعيد ألستُ حجة الله تعالى ذِكرُه على خلقه وإمامًا عليهم بعد أبي عليه السلام؟ قلت: بلى! قال: ألستُ الذي قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لي ولأخي: الحسن والحسين إمامان قاما أو قعدا؟ قلت: بلى! قال فأنا إذن إمامٌ لو قمتُ وأنا إمامٌ لو قعدتُ، يا أبا سعيد: علة مصالحتي لمعاوية علة مصالحة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لبني ضمرة وبني أشجع ولأهل مكة حين انصرف من الحديبية أولئك كفار بالتنزيل ومعاوية وأصحابه كفار بالتأويل، يا أبا سعيد إذا كنت إمامًا من قبل الله تعالى ذكره لم يجب أن يسفَّه رأيي فيما أتيته من مهادنة أو محاربة وإن كان وجه الحكمة فيما أتيته ملتبسًا! ألا ترى الخضر لما خرق السفينة وقتل الغلام وأقام الجدار سخط موسى عليه السلام فعله لاشتباه وجه الحكمة عليه حتى أخبره فرضي؟ هكذا أنا! سخطتم عليَّ بجهلكم بوجه الحكمة فيه ولولا ما أتيت لما ترك من شيعتنا على وجه الأرض أحد إلا قتل»![1].

(1) الصدوق، علل الشرائع 1/ 249

وبالتأمل نجد أن الإمام عليه السلام قد انطلق من إلزام السائل بما جاء عن النبي في إمامته وفي أنها لا تتأثر بفعله الخارجي (من قتال أو مسالمة) بل الفعل الذي يتأثر بموقع الإمامة فيكون سليمًا، وإلا كان الإمام مطالَبًا بتفسير كل خطوة يخطوها أو عمل يقوم به. وهذا يجعله مأمومًا لا إمامًا! وقد نظّر لفكرته بما كان بين الخضر وموسى ـ مع كونه نبيًّا ـ لكنه لم يكن يعلم حكمة فعل الخضر وخلفياته، فلما عرفها أقرّ له بالحكمة.

كما نظّر له بمصالحة النبي لقريش، مع كونها كافرة بالتنزيل حين الصلح.. ومعاوية كافر بالتأويل.

وفي نص آخر مروي عن الإمام محمد الباقر عليه السلام، يُجمِل القول بأن صلح الإمام هو خير للأمة مما طلعت عليه الشمس![1].

وسيأتي في صفحات قادمة، بعض الذكر عن بنود الصلح وشروطه، والتزام (أو عدم التزام) معاوية بها.

إنما الكلام الآن هو في أصل موضوع الصلح، فقد كان كما في رواية الإمام خيرًا للأمة مما طلعت عليه الشمس.

1/ نعتقد في هذا أن الإمام الحسن، وسائر المعصومين وفي

(1) الكليني؛ الكافي 8/ 354 عن الإمام محمد الباقر عليه السلام أنه قال: «والله للذي صنعه الحسن بن علي عليه السلام كان خيرًا لهذه الأمة مما طلعت عليه الشمس».

طليعتهم رسول الله صلى الله عليه وعليهم لم يكونوا يسارعون إلى القتال والحرب لما لذلك من آثار مدمرة من إزهاق النفوس وإتلاف أموال الأمة وتشتيت العوائل والأسر بفقد رجالها، فإذا كان الإمام علي عليه السلام مثلًا يحاسب على دراهم عندما تفقد من بيت المال، فمن الأولى أنه يحسب ألف حساب لما تجر الحرب من خسارة الأموال الطائلة، فضلًا عن الدماء السائلة.

نعم هذا لا يقتضي أن يتخاذل عن أعداء الله عندما يعلنون عليه الحرب ويستهدفون عباد الله بالقتل وأرزاقهم بالإتلاف وأراضيهم بالأخذ والمصادرة، لكنه لا يلجأ لهذا الأمر كأول الخيارات، وإنما يسعى مقتديًا في ذلك برسول الله في رد الحرب ما أمكن بالموعظة والكلام والرسائل المتبادلة وأمثالها حتى لا تصل الأمور إلى الاشتباك العسكري.

كما لم يكن دفاعهم العسكري وقتالهم الناكثين والقاسطين والمارقين، لأجل دنيا يصيبونها أو رئاسة يتطعمونها وإنما كما قال عليه السلام «اللهم إنك تعلم أنه لم يكن ما كان منا تنافسًا في سلطان ولا التماسًا من فضول الحطام ولكن لنري المعالم من دينك ويظهر الإصلاح في بلادك ويأمن المظلومون من عبادك ويعمل بفرائضك وسننك وأحكامك»[1].

(1) الكاشاني؛ محسن الفيض (ت 1091 هـ) الوافي15/ 179 عن الإمام الحسين عليه السلام.

وفي مقابل ذلك وجدنا أعداءهم من قادة حرب الجمل وصفّين وغيرهم، لا مانع لديهم من خوض حروب وسفك دماء من أجل أن يكون فلان حاكمًا! فلا غرابة أن يعترك بعضهم مع البعض الآخر قبل أن يتم لهم الأمر![1].

بينما منطق المعصومين هو «والله لأسلّمن ما سلمت أمور المسلمين ولم يكن فيها جور إلا عَليَّ خاصة التماسًا لأجر ذلك وفضله، وزهدًا فيما تنافستموه من زخرفه وزبرجه»[2].

وبناء على هذا فإن المصالحة والمسالمة لم تكن شيئًا استثنائيًا أو بدعة منكرة!.

2/ إن مصالحة النبي صلى الله عليه وآله وسلم مع قريش مع كونها على الباطل، والنبي على الحق، لم تكن عند بعض أصحابه متفهمة، ولذلك تمَّ الاعتراض عليه بصراحة من بعض المسلمين، وتمَّ عصيان أمره في التحلل من الإحرام من كثير منهم! حتى تبيّن

(1) البغدادي؛ ابن سعد (ت 230): الطبقات الكبرى ط دار صادر 5/ 54 «ولَمّا قَدِمُوا البَصْرَةَ، فَأَخَذُوا بَيْتَ المالِ خَتَماهُ جَمِيعًا طَلْحَةُ والزُّبَيْرُ وحَضَرَتِ الصَّلاةُ فَتَدافَعَ طَلْحَةُ والزُّبَيْرُ حَتّى كادَتِ الصَّلاةُ تَفُوتُ، ثُمَّ اصْطَلَحا عَلى أنْ يُصَلِّيَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الزُّبَيْرِ صَلاةً ومُحَمَّدُ بْنُ طَلْحَةَ صَلاةً، فَذَهَبَ ابْنُ الزُّبَيْرِ يَتَقَدَّمُ فَأَخَّرَهُ مُحَمَّدُ بْنُ طَلْحَةَ، وذَهَبَ مُحَمَّدُ بْنُ طَلْحَةَ يَتَقَدَّمُ فَأَخَّرَهُ عَبْدُ الله بْنُ الزُّبَيْرِ عَنْ أوَّلِ صَلاةٍ، فاقْتَرَعا، فَقَرَعَهُ مُحَمَّدُ بْنُ طَلْحَةَ، فَتَقَدَّمَ».

(2) الإمام علي عليه السلام: نهج البلاغة1/ 124

لهم فيما بعد وجوه الحكمة والآثار والفوائد المترتبة على هذه المصالحة.

فلا غرابة أن تتكرر الواقعة من دون أن يستفيد البعض من الدرس السابق، فتم الاعتراض على الإمام كما اعتُرض يوم الحديبية[1] على النبي صلى الله عليه وآله وعلى الإمام علي عليه السلام في قضية التحكيم. وكان الجواب هو الجواب.

3/ إن الصلح والمهادنة وإن كان مطلوبًا في ظروفه لكن لا يعني ذلك أن يعطَى الطرف الباغي (الخيط والمخيط) فإن هناك معركة أخرى قد لا تقل صعوبة عن المعركة العسكرية وهي صياغة شروط الصلح بنحوٍ تؤمن لأهل الحق حقهم، بغض النظر عن مدى التزام الطرف الباغي. وهذا ما فعله الإمام الحسن المجتبى عليه السلام عندما دون شروط الصلح بالنحو الذي

(1) ابن أبي شيبة؛ أبو بكر (ت 235) مصنف ابن أبي شيبة 7/ 558 ذكر أنه لما صار التحكيم واعترض عليه الخوارج: فقامَ سَهْلُ بْنُ حُنَيْفٍ فَقالَ: أَيُّها النّاسُ، اتَّهِمُوا أَنْفُسَكُمْ، لَقَدْ كُنّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وآله وسلم يَوْمَ الحُدَيْبِيَةِ ولَوْ نَرى قِتالًا لَقاتَلْنا، وذَلِكَ فِي الصُّلْحِ الَّذِي كانَ بَيْنَ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وآله وسلم وبَيْنَ المُشْرِكِينَ، فَجاءَ عُمَرُ فَأتى رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وآله وسلم فَقالَ: يا رَسُولَ اللَّهِ، أَلَسْنا عَلى حَقٍّ؟ وهُمْ عَلى باطِلٍ؟ قالَ: «بَلى قالَ: أَلَيْسَ قَتْلانا فِي الجَنَّةِ وقَتْلاهُمْ فِي النّارِ؟ قالَ: بَلى، قالَ: فَفِيمَ نُعْطِي الدَّنِيَّةَ فِي دِينِنا ونَرْجِعُ ولَمّا يَحْكُمِ اللَّهُ بَيْنَنا وبَيْنَهُمْ؟ فَقالَ: يا ابْنَ الخَطّابِ، إنِّي رَسُولُ اللَّهِ ولَنْ يُضَيِّعَنِي اللَّهُ أَبَدًا.

يراه نافعًا في تحقيق مصلحة الأمة والإسلام. وسيأتي ذكر ذلك في تعداد بنود وشروط الصلح.

4/ إن هناك رؤيتين في الساحة الشيعية حول الصلح بعدما اجتمعتا على فكرة واحدة وهي أن الصلح كان أفضل الخيارات أمام الإمام الحسن المجتبى عليه السلام، وهذا ما أكدته الروايات المروية عنه وعن غيره من المعصومين، ولكنهما تختلفان في جهات؛ سنبينها من خلال بيان كل من الرؤيتين.

الرؤية الأولى التقليدية هي التي تبناها أغلب من كتبوا عن الصلح بدءًا من الشيخ المفيد ثم تلميذه المرتضى وبعدهما الطبرسي وهكذا إلى عصورنا الحاضرة وقد تجلت بأفضل تحقيق وأوسعه عند الشيخ راضي آل ياسين في كتابه صلح الحسن والشيخ باقر شريف القرشي في كتابه حياة الإمام الحسن.

ويمكن أن يلحظ في هذه الرؤية ما يلي:

- أنها دفاعية، وكأنها في مقابل الهجمة الشديدة من قبل أعداء أهل البيت ضد الإمام الحسن كشخص وقد أشرنا إلى النظرية العباسية وما رافقها من كلام سيء بحق الحسن المجتبى، من المنصور العباسي ثم ورثة هذه الأفكار الباطلة، وصولًا إلى حملة بعض المستشرقين البعيدة كل البعد عن الانصاف، فكان

أن انبرى علماء الطائفة قديمًا للرد على أولئك وحديثًا لتفنيد مقالة هؤلاء، وبيان وجوه الصحة في هذا الصلح وتنزيه صورة الإمام الحسن عما ألصق بها.

- كما أنها تنتهي إلى أنها المقدار الممكن في ذلك الوقت بالنظر إلى ظروف الجيشين وخيانات بعض قادة جيش الإمام عليه السلام وعدم اتفاقهم على ثقافة واحدة (ويدل عليه وجود الخوارج في الجيش، بل والطامعين الذين لم يكن يهمهم أمر الإمامة أو الأمة كثيرًا بالإضافة إلى شيعة الإمام الخلص)، فضمن تلك الظروف والأوضاع كانت هي المقدار الممكن[1]، وكأنّ هذا يستبطن فكرة أن الصلح لم يكن هو

(1) وقد نقل الشيخ المحمودي في حاشيته على ترجمة الإمام الحسن عليه السلام، ابن عساكر، ص 129 جزءا من منظومة السهم الثاقب للسيد الطباطبائي في شرح ظروف الإمام عليه السلام في صلحه، فقال: «وما أحلى وأجدر للمقام ما أفاده العلامة الطباطبائي في الشطر (433) وتواليه من المنظومة السهم الثاقب حيث قال:

ولـيـس فـي صـلـح الإمـام الـحسن ... بـأس فـإنـه لـسـر مـكـمـن
كـصـلـح جـده نـبـي الـرحـمـة ... صـلـحـا رأى فـيـه صـلاح الأمـة
وقـد رأى بـالأمـس خـيـر نـاصـح ... صـلـح بـنـي الأصـفـر لـلـمـصـالـح
لـقـد رآه وهـو أحـمـى حـام ... وحـافـظ لـبـيـضـة الاسـلام
لـمـا تـراءى مـرض الـقـلـوب ... مـن رؤسـاء الـجـنـد فـي الـحـروب
فـالـمـجـتـبى بـايـعـه كـرهـا كـمـا ... بـايـع خـيـر مـنـه مـن تـقـدمـا
ولا يـنـافـي كـثـرة الأصـحـاب ... يـومـئـذ عـنـد أولـي الألـبـاب
فـإنـه أدرى بـهـم وأخـبـر ... بـحـالـهـم وغـدرهـم لا ينكر
هـم الأولـى جـفـوا عـليَّ المرتضى ... فـضـاق ذرعًـا بـهـم حـتـى قضى =

الخيار الطبيعي وإنما هو خيار اضطر إليه الإمام وألجأته الأحداث لقبوله.

بينما الرؤية الثانية وهي التي يتبناها العلامة السيد البدري، تختلف اختلافًا كبيرًا عن الرؤية التقليدية، وقد أشار إلى تفاصيلها في كتابه: الإمام الحسن ومواجهة الانشقاق الأموي.

= كم بث فيهم من طرائف الحكم ... وكم كساهم من مطارف النعم
وكم أراهم معجزات باهرة ... فظلت الآراء فيها حائرة
ليخشعوا وما عسى أن يخشعا ... قلوبهم تبت يداهم أجمعا
لله من أجلاف كوفان الجفا ... تالله لا عهدٌ لهمُ ولا وفا
ومالهم في غدرهم من ثان ... كأنهم والغدر توأمان
هم أرسلوا رسائل شتى إلى ... ريحانة الرسول أن أقدم على
حتى إذ جاء إليهم عدلوا ... وانقلبوا وأنكروا ما أرسلوا
واستقبلوا وجه الإمام السامي ... بالعضب والرماح والسهام
فاستنطقوا الطف عن الذي جرى ... منهم مع الحسين تسمع خبرا
مما جرى في كربلا من الأولى ... جفوا عليًا والزكي المبتلى
وهل يقال بعد هذا للحسن ... لم لا يظن بهم ظن الحسن
هذا وبيعة الزكي الطيب ... شبل الوصي المرتضى سبط النبي
من فيه نص المصطفى كما ورد ... بأنه الإمام قام أو قعد
بيعته لابن أبي سفيان ... الملك المفرط في الطغيان
ولم يمت كما رواه ابن حجر ... فيه على سنة سيد البشر
قضت بأن بيعة الطهر علي ... لا تقتضي صحة فعل الأول
فلم يكن بينهما ملازمة ... ومنه بان القول في المسالمة
ومن يقل: إن ابن هند كعمر ... إمام حق وخليفة أبر
أفرط في الجور وخان السلفا ... ولم يصب فيما رماه الهدفا
إذ خبر التحديد للخلافة ... إلى ثلاثين اقتضى خلافه

قصة الصلح وشروطه

وقد أشار العلامة البدري إلى أن الرؤية التقليدية الموجودة بين المتأخرين تعتمد على ما جاء في كتاب الإرشاد للشيخ المفيد، من روايات وشرح لأحداث ومجريات الصلح، وروايات الإرشاد متأثرة بشكل كبير - يكاد يكون حرفيًا في بعض المواضع - بروايات أبي الفرج الأصفهاني في مقاتل الطالبيين[1] ولذلك وقف منها موقف المتأمل والمناقش[2].

ومختصر ما ذكره المفيد في الإرشاد هو أن «معاوية سار نحو العراق ليغلب عليه، فلما بلغ جسر منبج[3] تحرك الحسن عليه السلام وبعث حجرًا بن عدي فأمر العمال بالمسير، واستنفر الناس للجهاد فتثاقلوا عنه، ثم خف معه أخلاط من الناس بعضهم شيعة له ولأبيه عليهما السلام، وبعضهم محكمة (أي خوارج) يؤثرون قتال معاوية بكل حيلة، وبعضهم أصحاب فتن وطمع في الغنائم، وبعضهم شكاك، وبعضهم أصحاب عصبية اتبعوا رؤساء قبائلهم لا يرجعون إلى دين.

فسار حتى أتى حمام عمر، ثم أخذ على دير كعب، فنزل

(1) البدري: الإمام الحسن 63.

(2) المصدر 31.

(3) منبج منطقة سورية إدارية تتبع محافظة حلب وتبعد عنها حوالي 80 كيلومترًا وعن الفرات حوالي 30 كيلو.

ساباط دون القنطرة وبات هناك، فلما أصبح أراد عليه السلام أن يمتحن أصحابه ويستبرئ أحوالهم في الطاعة له، ليتميز بذلك أولياؤه من أعدائه، ويكون على بصيرة في لقاء معاوية وأهل الشام، فأمر أن ينادي في الناس بالصلاة جامعة، فاجتمعوا فصعد المنبر فخطبهم فقال: «الحمد لله بكل ما حمده حامد، وأشهد أن لا إله إلا الله كلما شهد له شاهد، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، أرسله بالحق وائتمنه على الوحي صلى الله عليه وآله وسلم.

أما بعد: «فو الله إني لأرجو أن أكون قد أصبحت ـ بحمد الله عنه ـ وأنا أنصح خلق الله لخلقه، وما أصبحت محتملاً على مسلم ضغينة ولا مريدًا له بسوء ولا غائلة، ألا وإن ما تكرهون في الجماعة خير لكم مما تحبون في الفرقة، ألا وإني ناظر لكم خيرًا من نظركم لأنفسكم فلا تخالفوا أمري، ولا تردوا على رأيي، غفر الله لي ولكم وأرشدني وإياكم لما فيه المحبة والرضا».

قال: فنظر الناس بعضهم إلى بعض وقالوا: ما ترونه يريد بما قال؟ قالوا: نظنه ـ والله ـ يريد أن يصالح معاوية ويسلم الأمر إليه، فقالوا: كفر ـ والله ـ الرجل، ثم شدوا على فسطاطه فانتهبوه، حتى أخذوا مصلاه من تحته، ثم شد عليه عبد الرحمن بن عبد الله بن جعال الأزدي فنزع مطرفه عن عاتقه، فبقي جالسا متقلدًا السيف بغير رداء.

ثم دعا بفرسه فركبه، وأحدق به طوائف من خاصته وشيعته ومنعوا منه من أراده، فقال: «ادعوا إليّ ربيعة وهمدان» فدعوا له فأطافوا به ودفعوا الناس عنه. وسار ومعه شوب من الناس، فلما مرَّ في مظلم ساباط[1] بدر إليه رجل من بني أسد يقال له: الجراح بن سنان، فأخذ بلجام بغلته وبيده مِغْوَل[2] وقال: الله أكبر، أشركت ـ يا حسن ـ كما أشرك أبوك من قبل، ثم طعنه في فخذه فشقه حتى بلغ العظم، فاعتنقه الحسن عليه السلام وخرَّا جميعًا إلى الأرض، فوثب إليه رجل من شيعة الحسن عليه السلام يقال له: عبد الله بن خطل الطائي، فانتزع المغول من يده وخضخض به جوفه، وأكب عليه آخر يقال له: ظبيان بن عمارة، فقطع أنفه، فهلك من ذلك. وأخذ آخر كان معه فقتل.

وحُمل الحسن عليه السلام على سرير إلى المدائن، فأنزل به على سعد بن مسعود الثقفي، وكان عامل أمير المؤمنين عليه السلام بها فأقره الحسن عليه السلام على ذلك، واشتغل بنفسه يعالج جرحه. وكتب جماعة من رؤساء القبائل إلى معاوية بالطاعة له في السر، واستحثوه على السير نحوهم، وضمنوا له تسليم الحسن عليه السلام إليه عند دنوهم من

(1) بلدة في المدائن في العراق.

(2) سيف قصير يخفى تحت الملابس يستعمل للاغتيال.

عسكره أو الفتك به، وبلغ الحسن ذلك. وورد عليه كتاب قيس بن سعد عنه وكان قد أنفذه مع عبيد الله بن العباس عند مسيره من الكوفة، ليلقى معاوية فيرده عن العراق، وجعله أميرًا على الجماعة وقال: إن أصبت فالأمير قيس بن سعد فوصل كتاب ابن سعد يخبره أنهم نازلوا معاوية بقرية يقال لها الحبونية[1] بإزاء مسكن، وأن معاوية أرسل إلى عبيد الله بن العباس يرغبه في المصير إليه، وضمن له ألف ألف درهم، يعجل له منها النصف، ويعطيه النصف الآخر عند دخوله الكوفة، فانسل عبيد الله بن العباس في الليل إلى معسكر معاوية في خاصته، وأصبح الناس قد فقدوا أميرهم، فصلى بهم قيس عنه ونظر في أمورهم. فازدادت بصيرة الحسن عليه السلام بخذلان القوم له، وفساد نيات المحكمة فيه بما أظهروه له من السب والتكفير واستحلال دمه ونهب أمواله، ولم يبق معه من يأمن غوائله إلا خاصة من شيعته وشيعة أبيه أمير المؤمنين عليه السلام، وهم جماعة لا تقوم لأجناد الشام.

فكتب إليه معاوية في الهدنة والصلح، وأنفذ إليه بكتب أصحابه التي ضمنوا له فيها الفتك به وتسليمه إليه، واشترط له

(1) لعلها منطقة الحبانية المجاورة الآن للرمادي في العراق وبإزائها على نفس الخط مسكن في الشام.

على نفسه في إجابته إلى صلحه شروطًا كثيرة وعقد له عقودًا كان في الوفاء بها مصالح شاملة، فلم يثق به الحسن عليه السلام وعلم احتياله بذلك واغتياله، غير أنه لم يجد بدا من إجابته إلى ما التمس (من ترك) الحرب وإنفاذ الهدنة، لما كان عليه أصحابه مما وصفناه من ضعف البصائر في حقه والفساد عليه والخلف منهم له، وما انطوى كثير منهم عليه في استحلال دمه وتسليمه إلى خصمه، وما كان في خذلان ابن عمه له ومصيره إلى عدوه، وميل الجمهور منهم إلى العاجلة وزهدهم في الآجلة.

فتوثق عليه السلام لنفسه من معاوية لتأكيد الحجة عليه، والإعذار فيما بينه وبينه عند الله عز وجل وعند كافة المسلمين، واشترط عليه ترك سب أمير المؤمنين عليه السلام والعدول عن القنوت عليه في الصلوات، وأن يؤمن شيعته عنهم ولا يتعرض لأحد منهم بسوء، ويوصل إلى كل ذي حق منهم حقه. فأجابه معاوية إلى ذلك كله، وعاهده عليه وحلف له بالوفاء به.

فلما استتمت الهدنة على ذلك، سار معاوية حتى نزل بالنخيلة[1]، وكان ذلك يوم جمعة فصلى بالناس ضحى النهار، فخطبهم وقال في خطبته: إني والله ما قاتلتكم لتصلوا ولا

(1) معسكر خارج الكوفة بحوالي عشرة كيلومترات.

لتصوموا ولا لتحجوا ولا لتزكوا، إنكم لتفعلون ذلك، ولكني قاتلتكم لأتأمر عليكم، وقد أعطاني الله ذلك وأنتم له كارهون. ألا وإني كنت منيت الحسن وأعطيته أشياء، وجميعها تحت قدمي لا أفي بشيء منها له[1].

ثم سار حتى دخل الكوفة فأقام بها أيامًا، فلما استتمت البيعة له من أهلها، صعد المنبر فخطب الناس، وذكر أمير المؤمنين عليه السلام فنال منه ونال من الحسن، وكان الحسن والحسين صلوات الله عليهما حاضرين، فقام الحسين ليرد عليه فأخذ بيده الحسن فأجلسه ثم قام فقال: «أيها الذاكر عليًّا، أنا الحسن وأبي علي، وأنت معاوية وأبوك صخر، وأمي فاطمة وأمك هند، وجدي رسول الله وجدك حرب، وجدتي خديجة وجدتك قتيلة، فلعن الله أخملنا ذكرًا، وألأمنا حسبًا، وشرَّنا قدمًا، وأقدمنا كفرًا ونفاقًا» فقال طوائف من أهل المسجد: آمين آمين[2].

وقد أورد الشيخ آل ياسين صورة مفترضة للمعاهدة التي وقعها

(1) وقد رد السيد البدري في كتابه الإمام الحسن في مواجهة الانشقاق الأموي / 114 رواية (وجميعها تحت قدمي) وما يظهر منها أن وقتها كان بعد الصلح مباشرة بتضعيف أسانيدها الثلاثة باعتبار أنه وإن نقلها الشيخ المفيد ـ مرسلة ـ لكنه قد اعتمد على ما نقله أبو الفرج في مقاتل الطالبيين. وبأن ما يصح الاحتجاج به لم يحدد وقت مخالفة معاوية الشروط.

(2) المفيد؛ محمد بن النعمان (ت 413 هـ) الإرشاد2/ 10.

الفريقان، بعد أن رأى أن موادها قد تناثرت في المصادر المختلفة، وجمعها بشكلها الذي ينبغي أن تكون قد وقعت عليه، فجاءت هكذا:

المادة الاولى: تسليم الامر الى معاوية، على أن يعمل بكتاب اللّه وبسُّنَّة رسوله صلى الله عليه وآله وسلم، وبسيرة الخلفاء الصالحين.

المادة الثانية: أن يكون الامر للحسن من بعده، فان حدث به حدث فلأخيه الحسين، وليس لمعاوية أن يعهد به الى أحد.

المادة الثالثة: أن يترك سبَّ أمير المؤمنين والقنوت عليه بالصلاة، وألا يذكر عليًّا إلا بخير.

المادة الرابعة: استثناء ما في بيت المال الكوفة، وهو خمسة آلاف ألف فلا يشمله تسليم الامر[1]. وعلى معاوية أن يحمل الى الحسين كل عام ألفي ألف درهم، وأن يفضّل بني هاشم في العطاء والصلات على بني عبد شمس، وأن يفرّق في أولاد من قتل مع أمير المؤمنين يوم الجمل وأولاد من قتل معه بصفين ألف ألف درهم، وأن يجعل ذلك من خراج دار أبجرد.

المادة الخامسة: على أن الناس آمنون حيث كانوا من أرض

(1) سيأتي ذكر وجه استثناء ما في بيت مال المسلمين في الكوفة، من تسليمه لمعاوية.

اللّه، في شامهم وعراقهم وحجازهم ويمنهم، وأن يؤمّنَ الأسود والأحمر، وأن يحتمل معاوية ما يكون من هفواتهم، وألا يتبع أحدًا بما مضى، وألا يأخذ أهل العراق بإحنةٍ.

وعلى أمان أصحاب عليّ حيث كانوا، وألا ينال أحدًا من شيعة عليٍّ بمكروه، وأن أصحاب عليٍّ وشيعته آمنون على أنفسهم وأموالهم ونسائهم وأولادهم، وأن لا يتعقب عليهم شيئًا، ولا يتعرض لأحد منهم بسوء، ويوصل إلى كل ذي حق حقه، وعلى ما أصاب أصحاب عليّ حيث كانوا.

وعلى أن لا يبغي للحسن بن عليّ، ولا لأخيه الحسين، ولا لأحد من أهل بيت رسول اللّه غائلةً، سرًا ولا جهرًا، ولا يخيف أحدًا منهم، في أفق من الآفاق»[1].

وقد علق الشيخ آل ياسين على صياغة الإمام عليه السلام نصوص المعاهدة بأنه: «من الحق ان نعترف للحسن بن عليّ عليهما السلام على ضوء ما أثر عنه من تدابير ودساتير هي خير ما تتوصل اليه اللباقة الدبلوماسية لمثل ظروفه من زمانه وأهل زمانه ـ بالقابليات السياسية الرائعة التي لو قدّر لها أن تلي الحكم في ظرف غير هذا

(1) آل ياسين؛ راضي: صلح الحسن 262.

الظرف، وفي شعب أو بلاد رتيبة بحوافزها ودوافعها، لجاءت بصاحبها على رأس القائمة من السياسيين المحنكين وحكام المسلمين اللامعين»[1].

الرؤية الثانية: وهي ـ كما ذكرنا ـ ما أشار إليه السيد البدري في كتابه، ولأن الكتاب كبير وهو موضوع للبرهنة على هذه الرؤية فلا يستوعب كتابنا هذا جميع ما أشار إليه المؤلّف، فسنقتصر على تلخيص لفكرته قدر الإمكان ونعرضها في نقاط:

1/ فقد رأى أنَّ مبرر الصلح وهو عبارة عن تنازل مشروط عن السلطة من جهة الإمام الحسن عليه السلام ليس راجعًا إلى طبيعة التخاذل والضعف في شخصية الحسن كما تبنى المستشرقون ذلك اعتمادًا على روايات موضوعة.

ولا إلى الخيانات والضَّعف والشك الذي عاشه جيش الحسن عليه السلام أو شَعبه كما تصوره لنا روايات أخرى كلها من وضع الإعلام العباسي[2].

بل مرده إلى تفكير موضوعي في الظرف الذي تمر به الرسالة والأمة ليحفظ مصالحهما.

(1) المصدر 264.

(2) البدري، سامي: الإمام الحسن في مواجهة الانشقاق الأموي 106.

وأضاف بأن البديل عن ذلك وهو الحرب كانت ستكرس الاعلام الأموي في حق أهل البيت مثلما كان بالنسبة للإمام عليٍّ عليه السلام.

2/ رأى أن الصلح بتلك الطريقة والبنود قد حقق مصلحة للرسالة الإسلامية وللأمة؛ أما مصلحة الرسالة فكما أراد الإمام علي عليه السلام أن يكون الكتاب والسنة ـ دون إضافة رأي أحد أو سيرته ـ هما الدستور الحاكم في البلاد، كما أصر عليه في قضية الشورى، وهنا أيضًا قرره الإمام الحسن كبند أساس.

وأما مصلحة الأمة في زمن الحسن عليه السلام فهي معالجة الانشقاق الذي استحكم فيها، وملاحقة الإرهابيين الذين نغصوا العيش الآمن، والاستعداد لمواجهة تهديد الروم على الجبهة الشمالية الشرقية.

وهكذا عالج الحسن عليه السلام الانشقاق المستعصي بأطروحة التنازل المشروط: بان تكون الدولة واحدة وان يكون معاوية أول رئيس لمبايعة أهل الشام له ثم يكون الحسن بعده لمبايعة أهل العراق بشروط يضعها الحسن لضمان مصالح شيعته دون المساس بمصالح أهل الشام.

وقال: كان أفضل حل لمعاوية أن يبقى على الشام فتكون أموية خالصة، ويبقى العراق للحسن، فيتكرس الانشقاق في

الأمة وتبقى الشام بعيدة عن الهدي العلوي، وقد رفض الإمام هذا الحل، بل لا بدَّ أن يكون العالم الإسلامي واحدا، منفتحا على بعضه. وأن يكون الحكم فيه بكتاب الله وسنة نبيه دون سيرة الشيخين، وأن يمتنع فيه عن لعن علي وشتمه بل أن لا يذكر إلا بخير، وأن يكون شيعته آمنين[1].

وضمن هذا الإطار يرى السيد البدري صحة تشبيه صلح الحسن بصلح جده رسول الله وأنه خير مما طلعت عليه الشمس، وفي التشبيه ينبغي أن يلحظ النتائج والفوائد التي حصلت للإسلام في عهد النبي وتقاس بها النتائج التي حصلت في صلح الحسن[2].

3/ اعتبر البدري في كتابه الإمام الحسن أن الأساس في الإشكال في فهم حقيقة الصلح هو ما تمَّ نقله من روايات مقاتل الطالبيين ـ وهي مهما كانت تبقى روايات عامية بعيدة عن فهم شخصية وتحركات الإمام عليه السلام ـ ولا يخرجها من هذا الاطار نقل الشيخ المفيد لها، وتلك الروايات كانت قد وضعت في أكثرها في زمان العباسيين على أثر الصراع مع الحسنيين، ولا سيما الرواية المشهورة: قول معاوية (كل

(1) المصدر نفسه 28.

(2) المصدر نفسه 25.

شرط شرطته للحسن فهو تحت قدمي)، ورأى أنها بعيدة عن التصديق لا سيما ومعاوية كان يواجه مجموعة من التحديات منها ثورات الخوارج من الداخل وتحدي الروم من الخارج فلم يكن معقولًا أن يفتح جبهة إضافية في نفس الوقت ضده ويجدد الحرب بعدما هدأت مع شيعة الإمام، لا سيما وهو المعروف بأنه يسيطر على غضبه ويكتم أحقاده للوصول للحكم المستقر[1].

4/ إنه بالنظر إلى بنود المعاهدة وهي التي كتبها الإمام حيث أرسل له معاوية ورقة بيضاء وكتب فيها الحسن عليه السلام شروطه، لا تتخطى الكتاب والسنة؛ كالعمل بالكتاب والسنة، وألا يذكر عليٌّ إلا بخير وهو ما يأمر به الكتاب والسنة، ومثل ذلك أن يؤمن شيعة علي على أنفسهم وأموالهم، بل وتفضيل بني هاشم على بني عبد شمس في العطاء فإنه مما يقضي به الكتاب والسُّنَّة. وألّا يسمي الحسن معاوية أمير المؤمنين فإنه لغير علي بن أبي طالب لقب مبتدع! وشكّك في روايات العطاء المالي.

5/ يركز السيد البدري على أنه ـ على خلاف المشهور عند

(1) المصدر نفسه 22.

المؤرخين الإمامية ـ تمَّ التزام معاوية بشروط الصلح وبنوده طيلة عشر سنوات[1] ما دام الإمام الحسن على قيد الحياة، وتحقق على أثر ذلك نتائج كثيرة فقد قُطِع الطريق على الانشقاق أن يستمر وتستمر معه لوازمه بالظهور. وتفرغت الدولة لملاحقة التكفيريين الخوارج[2]. وعاد الأمان لكل

(1) وقد سماها البدري في الكتاب سنوات الفتح المبين لمشروع الإمام علي ﷺ 114 ورأى أن رواية المدائني في مخالفة معاوية للبنود بعد عام الجماعة من دون تحديد متى! ويشهد لذلك قوله إن أشد الناس بلاء كان أهل الكوفة.. والحال أن ولاية زياد على الكوفة كانت بعد وفاة المغيرة بن شعبة، وهو مات بعد الحسن المجتبى. وهكذا

1/ فإن التهجير الذي حصل للشيعة (قيل بأنه حوالي 25 ألف) إنما تمَّ بعد سنة 50 للهجرة. بعد شهادته ﷺ.

2/ قتل حجر بن عدي وأصحابه كذلك كان بعد عشر سنوات. كما نقله عن الحاكم في المستدرك

3/ لعن الإمام علي إنما كان بعد عشر سنوات، ونقل ابن عبد ربه، أنه لما مات الحسن حج معاوية فأراد أن يلعن عليًا على منبر النبي فقيل إن هاهنا سعدا.. ولا نراه يرضى، فقال: إن فعلت لأخرجن من المسجد ثم لا أعود. فأمسك معاوية حتى مات سعد (بعد موت الحسن في نفس السنة). وفي الكوفة عرض الناس على السيف زياد بن أبيه وكان ذلك بعد موت المغيرة بن شعبة سنة 51 هـ

أيضًا عندما زار المدينة سنة 41 استقبلته عائشة بنت عثمان (زوجة مروان) مناشدة إياه ثار أبيها فقال لها يا ابنة أخي أن الناس أعطونا سلطاننا فاظهرنا لهم حلمًا تحته غضب اظهروا طاعة تحتها حقد فبعناهم هذا بهذا فان اعطيناهم غير ما اشتروا منا شحوا علينا بحقنا فإن نكثناهم نكثوا بنا ولكل شيعته.. نعم عندما مات الحسن بدأ بمطاردة أصحاب علي فلما طولب بما شرطه قال كل شرط شرطته للحسن تحت قدمي..

(2) نلحظ أن بعض هذه النتائج؛ كالتفرغ لقتال الخوارج، والعودة للفتوحات كما قيل قد أشار إليها بعض مؤلفي مدرسة الخلفاء كما نجده بشكل واضح في كتاب الحسن بن علي للدكتور علي الصلابي.

المسلمين في بلادهم شرقًا وغربًا[1]. كما تفرغت لمواجهة تهديد ملك الروم في الجبهة الشمالية الشرقية للشام.

وكُسِر الطوق الإعلامي الكاذب ضد عليٍّ عليه السلام. وعرفه أهل الشام وغيرهم مظلومًا ظلمته قريش المسلمة حقه وهو الإمام الهادي الذي شهدت له آيات الكتاب وأحاديث النبي صلى الله عليه وآله وسلم كما شهد له من عاشره بذلك. ووصلهم قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فيه يوم الغدير: من كنت مولاه فهذا علي مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه وانصر من نصره واخذل من خذله وحديث المنزلة، وحديث الكساء، ووصلتهم أخبار حج التمتع التي حاولت السلطات القرشية والإعلام الأموي الكاذب التعتيم عليها ووصف حركة علي عليه السلام باتجاه إحياء حج التمتع بالإفساد في الدين، وعرفوا أنَّ عليًا قد أحيا الحج الذي جاء به النبي صلى الله عليه وآله وسلم وهو حج التمتع، ووصلتهم أخبار أخرى كثيرة تتصل بسنن النبي صلى الله عليه وآله وسلم

(1) وذكر أيضًا أن قتل معاوية لأنصار أمير المؤمنين كحجر بن عدي وأصحابه وغيرهم إنما كان في سنة 50 للهجرة وما بعدها وهي سنة شهادة الإمام الحسن المجتبى عليه السلام ويستفيد ذلك من أن ولاية زياد بن أبيه على الكوفة إنما كانت بين 49 و50 هجرية. ويؤيد ذلك ما ورد عن الإمام الباقر عليه السلام كما «روى ابن أبي الحديد عنه وهو يستعرض ظلم قريش لأهل البيت ـ إلى أن قال ـ: «وكان عظم ذلك وكبره زمن معاوية بعد موت الحسن عليه السلام فقتلت شيعتنا بكلّ بلدة، وقطّعت الأيدي والأرجل على الظنة، وكان من يُذكر بحبنا والانقطاع إلينا سجن أو نهب ماله أو هدمت داره، وقال ابن الأثير وكان الناس يقولون: «أوّل ذل دخل الكوفة موت الحسن بن عليّ وقتل حجر بن عدي ودعوة زياد» عن موسوعة عبد الله بن عباس، السيد محمد مهدي الخرسان 5/ 141.

التي عملت قريش المسلمة على تغييرها أو التعتيم عليها، ووصلهم وصفُ ضرار له بل سمعوه منه في بلاط معاوية حين طلب منه أن يصفه[1]..

نظرة أخرى في وثيقة الصلح

لمعرفة ما جرى في وثيقة الصلح، نقدم بمقدمة هي أن البشر تطور في صراعاته من حالة إلى أخرى، فقد كانت طريقتهم في الأزمنة القديمة، أنهم يأخذون حقهم، بل وغير حقهم بقوتهم البدنية وبما يملكون من أسلحة. فمن كان يمتلك القوة كان هو صاحب الحق فيأخذه ويأخذ حق غيره، ومن كان ضعيفًا، كان مسلوب الحق عادة. ولعل ما قاله الشاعر:

ومن لم يذُدْ عن حوضه بسلاحه

يهدَّمْ ومن لا يَظلم الناس يُظلمِ

تطور هذا فيما بعد، من حالة فردية، إلى نظام قبائل ودول، فأصبحت القبيلة والدولة الأقوى تأخذ ما تريد من جيرانها، كأراض، وأموال، وغنائم، بعامل القوة، ونشب على أثر حروب كثيرة، كان عاملها الأساس، أن الأقوى يريد السيطرة على سائر المناطق، أراضي، وأموالًا، واستلابًا وما شابه ذلك.

(1) البدري، الإمام الحسن 110.

مع تقدم الإنسان في العلم والمعرفة، ومع سيادة شيء من التحضر، توصل البشر إلى أن أخذ الإنسان لمصالحه، وحقوقه بالقوة، يؤدي إلى خسائر عظيمة لدى الإنسانية، نظرًا لتطور الأسلحة، التي أصبحت تبيد مئات وألوفًا وعشرات الألوف. فلم يعد هذا الطريق، في نظر البشر منسجمًا ومتلائمًا مع الحالة الإنسانية، التي تطور إليها الإنسان، وأصبح هناك بديل آخر، وهو أن تسعى الجماعات والدول والقبائل للحصول على حقوقها من خلال التفاوض والتفاهم والاتفاق. فإن هذا كلفته قليلة وفي نفس الوقت، من كان أكثر ذكاء، وأكثر حكمة، وأكثر صبرًا وقدرة على إبداء حجته، هو الذي ينتصر في النهاية، فما عادت القوة إلا لخدمة المفاوضات، ما عادت القدرات العسكرية نافعة لو لم يكن وراءها، قدرة سياسية ودبلوماسية وقانونية، قادرة على أن تستفيد من الظرف، ولذلك، أصبح في عالم اليوم مثلًا وزير الخارجية، أكثر أهمية من وزير الدفاع، مع أن هذا وزير الخارجية، في كل بلد، لا يملك حتى مسدسا، ولكن وزير الدفاع، في كل بلد، لا سيما الدول العظمى، يمتلك مئات الطائرات وآلاف الدبابات وما شابه ذلك. ولكن دور ذلك الوزير المجرد عن السلاح أقدر على في نفع بلده من هذا الوزير المسلح.

وهذا راجع إلى أن البشر التفت إلى أن القوة الحقيقية هي قوة أن يقنع هذا الطرف ذاك الطرف، وأن يدير أمر المفاوضات معه بشكل سليم، لا تحل القضايا على طريقة البشر الأقدمين، من كان يملك سلاحا أقوى يستخدمه فورًا، فيبيد هذا الجنس، أو هذه الفصيلة أو هذا المجتمع.

لو أردنا أن نبني على هذه المقدمة، سوف نرى أن وثيقة الصلح التي عقدها الإمام الحسن المجتبى سلام الله عليه، مع معاوية بن أبي سفيان، من أكثر الوثائق ذكاء وحكمة، بدت فيها قدرة الإمام الحسن عليه السلام في أن يقرر ولو على سبيل النظرية والاتفاق القانوني، أن يستحصل كل ما كان يريد، وأن يمنع خصمه عن تحقيق ما كان يريد. لعلك تقول: لكن هذا لم يتم على أرض الواقع![1] لأن معاوية لم يفِ ولم يلتزم بما كان قد وقع عليه.

والجواب على ذلك: **هي مرحلتان:**

الأولى: أن تصوغ وثيقة قانونية وافية بما تريده من مطالب.

والثانية: أن يلتزم بها الخصم وأن يطبقها.

(1) هذا بالطبع وفقًا للنظرية المشهورة في التاريخ، دون النظرية التي قدمها السيد البدري والتي عرضناها في الصفحات الماضية والتي تشير إلى أنه حصل إلزام لمعاوية طيلة مدة حياة الإمام الحسن، وأنه لم يتم نقض معاهدة الصلح عمليًا بالمستوى الواسع إلا بعد شهادة الإمام الحسن المجتبى عليه السلام.

ولا شك أن الأمر الأول هو بيدك، لكن الأمر الثاني، ليس كذلك، فلا أحد يستطيع في أي مجتمع، أن يقول: أنا أستطيع أن أضمن أن الطرف الآخر، سيلتزم بهذا الاتفاق إلى آخر عمره. ذلك أنه بعدما وقع الاتفاقية قد تحصل ظروف يتغير رأيه. يتغير الحكم، تتغير الاتفاقية، يقوى ويرى نفسه كان مرغمًا على الاتفاق السابق فيسعى لتعديله أو نقضه. لا نريد أن نقول إن هذا مشروع دينيًا أو أخلاقيًا وإنما نقول هو أمر حاصل في الواقع.

هلمَّ عزيزي القارئ لنرَ ما حصل في وثيقة الصلح:

في الخبر التاريخي[1] دعا الحسن بن عليٍّ بكاتبه فكتب: هذا ما

(1) الكوفي؛ أحمد بن أعثم: الفتوح4/ 96 قال: ثم دعا الحسن بن علي بكاتبه فكتب: «هذا ما اصطلح عليه الحسن بن علي بن أبي طالب معاوية بن أبي سفيان، صالحه على:
وقد لاحظ المحقق لكتاب الفتوح أن بعض البنود المعروفة غير موجودة في نص ابن اعثم في الفتوح، فجمعها من مصادر أخرى وألف بينها وبين ما في الفتوح في هامشه، فليراجع.
وقد أورد الشيخ علي الكوراني العاملي في كتابه جواهر التاريخ (سيرة الإمام الحسن عليه السلام 3/ 58 ما وصفه بأنه الرواية المشهورة بين الكتاب المعاصرين وهي في الصواعق لابن حجر الهيتمي: 2 / 399 وينابيع المودة: 2 / 425 والغدير: 11 / 6 وغيرها، وننقل نصها من مطالب السؤول لابن طلحة / 357: بسم الله الرحمن الرحيم. هذا ما صالح عليه الحسن بن علي بن أبي طالب معاوية بن أبي سفيان، صالحه على أن يسلم إليه ولاية أمر المسلمين على أن يعمل فيهم بكتاب الله وسنة رسوله محمد صلى الله عليه وآله وسلم وسيرة الخلفاء الراشدين. وليس لمعاوية بن أبي سفيان أن يعهد لأحد من بعده عهدًا، بل يكون الأمر من بعده شورى بين المسلمين. وعلى أن الناس آمنون حيث كانوا من أرض الله، في شامهم وعراقهم وحجازهم ويمنهم. وعلى أن أصحاب علي وشيعته آمنون على أنفسهم وأموالهم ونسائهم وأولادهم، وعلى معاوية بن أبي سفيان بذلك عهد الله وميثاقه وما أخذ الله على أحد من خلقه بالوفاء بما أعطى الله من نفسه. وعلى أنه لا يبغي للحسن بن علي، ولا لأخيه الحسين، ولا لأحد من أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم غائلة سرًا ولا جهرًا، ولا يخيف أحدًا منهم في أفق من الآفاق. شهد عليه بذلك الله وكفى بالله شهيدًا، وفلان وفلان. والسلام.

اصطلح عليه الحسن بن عليّ بن أبي طالب، مع معاوية بن أبي سفيان.

أول ما نلاحظه: ذكاء الإمام الحسن وحكمته، دعته إلى أن يقوم هو بصياغة الاتفاقية، لا أن يكون الموقّع عليها. ذلك أن من يصوغ النص للاتفاق سوف يوجهه النحو الذي يريد ويعطي له روحا خاصة تختلف عما لو كان الذي يصوغه الطرف الآخر. لذلك يحرص الحكماء في مثل هذه الموارد، أن تكون الصياغة التي اختاروها، هي التي سوف يتم التوقيع عليها، حتى لو تمَّ التغيير في بعض تفاصيها.

نقطة أخرى وإن كانت في الظاهر شكلية إلا أنها مهمة، وهي تقديم وتأخير الأسماء، فالذي يرى نفسه، أولى بالحق، أو أعلى منزلة، يقدم اسمه، وهذا من المراسم المعروفة. بل قد يعاقب البعض عليها فيما لو قدم اسم من ينبغي تأخيره.

وأول النقاط في الاتفاق: أن يسلم إليه ولاية أمر المؤمنين على أن يعمل فيهم بكتاب الله وسنة نبيه محمد صلى الله عليه وآله وسلم.

فهنا تمَّ الاعتراف بأن ولاية أمر المؤمنين هي حق الإمام الحسن عليه السلام، وأنها خاصته لذلك يقوم بتسليمها وإلا فلا معنى لأن يسلم أحد شيئًا ليس له ولا يملكه!.

إن الحكم على المسلمين من جهة معاوية كان بحسب تلك

الظروف أشبه بتحصيل حاصل مع خيانة بعض قادة جيش الإمام وتراجع الحالة المعنوية العامة في الجيش، لكن مع ذلك فإن الإمام ربط هذا الحكم وهذا التسليم للإمرة بأنها مشروطة بالعمل بكتاب الله وسنة رسوله (وسيرة الخلفاء الصالحين/ أو الراشدين). وبقدر ما كان الأمر واضحا في كتاب الله وسنة رسوله، فقد تمَّ الابهام في القسم الثاني (الخلفاء الصالحين) ربما حتى لا يكسب معاوية وأنصاره اعترافا بصلاح بعض الخلفاء الذين لا يرى الإمام صلاح سياستهم.

وبالرغم من أن بعض الباحثين شكك في وجود هذه الجملة لأن ما رفضه والده أمير المؤمنين (من إضافة وسيرة الشيخين) في شرط عبد الرحمن بن عوف عليه ليرشحه للخلافة، ما كان الحسن ليقبله، لا سيما وأن سيرة الخلفاء السابقين لم تكن واحدة متفقة حتى يعمل بها بل كانت متخالفة إلى حد التناقض[1].

ولكن بناء على التوجيه الذي قدمناه لا مانع من قبولها. مع وجودها في بعض المصادر.

النقطة الثانية: أنه ليس لمعاوية بن أبي سفيان، أن يعهد لأحد

(1) فبعض الخلفاء ساوى بين المسلمين في العطاء، بينما بعضهم الآخر ميز بين المسلمين بحسب قدم اسلامهم وغنائهم في الجهاد، بل وبحسب قرابتهم من النبي! وبينما حرم بعضهم أقاربه أغرق البعض الآخر أقاربه في بحار أموال المسلمين.

من بعده عهدًا بل[1] يكون الأمر من بعد للحسن، فإن قضى، يكون للحسين، فإن قضى، يكون شورى بين المسلمين.

وبهذا أغلق الإمام الحسن الباب على الأسرة الأموية من الناحية القانونية. فإن معاوية بن أبي سفيان في ذلك الوقت عمره كان بحدود ستين سنة، وفي المقابل كان الإمام الحسن بحدود 38 سنة ودونه الإمام الحسين، فكم عسى أن يعمر معاوية بعد ذلك؟.

الثالثة: أن يترك سب أمير المؤمنين والقنوت عليه بالصلاة وأن لا يذكر عليًا إلا بخير[2].

المادة الرابعة: يسلم ما في بيت مال الكوفة[3] خمسة آلاف ألف للحسن وله خراج دار أبجرد. أن يحمل لأخيه الحسين في كل عام ألفي ألف ويفضل بني هاشم في العطاء والصلات على بني عبد شمس.

---

(1) الكوراني؛ علي: جواهر التاريخ 3/ 59 ناقلًا إياه عن تاريخ الخلفاء للسيوطي / 194 والإصابة 2 / 12 والإمامة والسياسة / 150.

(2) المصدر نقله عن الأصفهاني مقاتل الطالبيين / 26، شرح النهج: 4 / 15.

(3) هذا من الأمور التي جُنّ لها المستشرقون! وتلامذتهم، واعتبروا أن الحسن باع الخلافة من أجل بيت مال الكوفة! فهل كان ينبغي أن يتخلى الإمام عن كل ما كان يتصرف فيه إلى ما قبل لحظات من الاتفاقية لعدوه الذي سوف يبدأ خطة ممنهجة في إفقار شيعته والمؤمنين بأبيه؟ وهل كانت هذه الأموال إلا من حق الخليفة الشرعي وهو الحسن يصرفها في مواردها؟ لا من حق معاوية الذي ساعدته الظروف لكي يسيطر على الحكم من غير استحقاق شرعي ولا قبول شعبي.

إننا نعتقد أن هذا من ذكاء الإمام عليه السلام، فإن معاوية في سبيل أن يكون حاكمًا كان مستعدًا لإعطاء الإمام الحسن ما يريده ـ بحدود توقيع الاتفاقية ـ ولم تكن هذه الأموال من حق معاوية ولا هو مهتم بها كثيرًا!.

الخامسة: أن الناس آمنون حيث كانوا من أرض الله، في شامهم، وعراقهم، وتهامتهم، وحجازهم. الإمام الحسن هنا قرر في ضمن هذه الوثيقة، حالة الأمان العام، لكل أبناء الأمة. وهذه هي طريقة أهل البيت عليهم السلام، الأمة أمة جدهم. ليسوا فئة محصورة حتى يعتنوا بقسم دون قسم.

الأمان الأول، هو أمان لكل المسلمين، حتى الذين في الشام، في شامهم وحجازهم ويمنهم، وفي كل مكان، وعلى معاوية أن يطبق ذلك.

نعم سيأتي في فقرة أخرى ليؤكد أمانا خاصًا لشيعة الإمام حتى لا يستهدفوا بجريرة موقفهم من ولاء الإمام وعداوة بني سفيان! فلا تحرر دعاوى على هذا وذاك لأنه حرض بشعره أو قاتل بسيفه أو غير ذلك! «وعلى أن أصحاب علي وشيعته آمنون على أنفسهم وأموالهم ونسائهم وأولادهم»..

ثم أكد أمانا في خصوص دائرة الإمام الحسن، وأهل البيت،

فقال: وعلى أنه، أي معاوية، لا يبغي للحسن بن عليّ، ولا لأحد من أهل بيت النبي غائلة سرًّا ولا علانية، ولا يخيف أحدًا منهم في أفق من الآفاق.

صورة الإمام الحسن المجتبى في أحاديث مدرسة الخلفاء

الأحاديث الواردة في مصادر مدرسة الخلفاء عن الإمام الحسن عليه السلام تكاد ترسم صورة وصفية له ولدوره ومقامه، بالإضافة إلى ما ترسمه كتب التاريخ من صورة للسيرة والفعل، وبطبيعة الحال كما أن كتب التاريخ تتأثر بدوافع واتجاهات مؤلفيها الدينية، وحبهم وبغضهم وميولهم النفسية، بل وملاحظات أوضاعهم السياسية رغبة ورهبة. فكذلك هي الحالة بشكل أو بآخر بالنسبة لكتب الأحاديث، فبدءا من انتقاء الأحاديث التي تتلاءم مع اتجاهات المحدث والكاتب، إلى إغفال وإهمال بعضها، وإلى تنظيم الأحاديث في تسلسل زمني أو حدثي خاص، بحيث تعطي معنى معينًا وتوصل رسالة خاصة.. كلها تجعل من المشاكل التي نواجهها في كتب الحديث مشابهة لما يحدث في الكتابة التاريخية.

ولكن مع ذلك (لا بدَّ من صنعاء وإن طال السفر) سوف

نحاول أن نستل من كتب الأحاديث ما نراه مناسبًا ومشابهًا لشخصية الإمام عليه السلام وما تعضده الرواية التاريخية وكتب الحديث الأخرى لا سيما الإمامية منها، وسوف نتتبع ما جاء في ترجمة الإمام الحسن المجتبى عليه السلام، من تاريخ دمشق لابن عساكر، والذي طبع في كتاب خاص بتحقيق الشيخ محمد باقر المحمودي[1]. ونحيل القارئ الكريم إلى الأصل لما فيه من التعليقات المفيدة والنافعة.

وينبغي أن نشير إلى أن هناك ميلًا لدى بعض علماء المدرسة الأخرى لا سيما من أصحاب الاتجاه الأموي لتمييع الإشارات العقائدية الموجودة في بعض الأحاديث، و(ترقيقها) لتغدو بلا لون ولا طعم ولا رائحة، وفي المقابل (تعظيم) ما جاء في أحاديث قد لا يكون أصلها ثابتًا فلا تكون حجة في الأمور البسيطة فضلًا عن الاعتقادية الكبرى[2].

(1) محمد باقر المحمودي من علماء إيران (ت 1427 هـ) تلمذ على يد علماء كثيرين أهمهم السيد محسن الحكيم والسيد عبد الهادي الشيرازي، واشتغل بالتأليف والتحقيق وعرف بالتحقيق أكثر فقد حقق نحو 18 كتابًا من المصادر الأصلية لمدرسة الخلفاء ولا سيما تاريخ دمشق فقد استخرج منه ترجمات لعدة معصومين، وحقق أنساب الأشراف للبلاذري وشواهد التنزيل للحسكاني وفي كلها كان المدافع الصلب فيما يرتبط بأئمة الهدى عليهم السلام. كما يلحظ ذلك الناظر إلى تعليقاته على أحاديثها.

(2) فانظر إلى ما فعله ابن حجر العسقلاني في فتح الباري 13/ 67 عندما رتب آثارًا هائلة ونتائج كبيرة على حديث سيصلح الله به بين طائفتين، مع ما سيأتي من النقاش فيه، سندا ومتنا، حيث =

وعلى كل حال فسنعرض لبعض الأحاديث التي أوردها ابن

= قال: «في هذه القصة من الفوائد:

1. علم من أعلام النبوة.

2. ومنقبة للحسن بن علي، فإنه ترك الملك لا لقلة، ولا لذلة، ولا لعلة، بل لرغبته فيما عند الله، لما رآه من حقن دماء المسلمين، فراعى أمر الدين ومصلحة الأمة.

3. وفيها رد على الخوارج الذين كانوا يكفرون عليًا ومن معه، ومعاوية ومن معه، بشهادة النبي ﷺ للطائفتين بأنهم من المسلمين، ومن ثم كان سفيان بن عيينة يقول عقب هذا الحديث: قوله (من المسلمين) يعجبنا جدا، أخرجه يعقوب بن سفيان في تاريخه عن الحميدي وسعيد بن منصور عنه.

4. وفيه فضيلة الإصلاح بين الناس، ولا سيما في حقن دماء المسلمين.

5. ودلالة على رأفة معاوية بالرعية، وشفقته على المسلمين، وقوة نظره في تدبير الملك ونظره في العواقب.

6. وفيه ولاية المفضول الخلافة مع وجود الأفضل؛ لأن الحسن ومعاوية ولي كل منهما الخلافة وسعد بن أبي وقاص وسعيد بن زيد في الحياة وهما بدريان، قاله بن التين.

7. وفيه جواز خلع الخليفة نفسه إذا رأى في ذلك صلاحا للمسلمين، والنزول عن الوظائف الدينية والدنيوية بالمال، وجواز أخذ المال على ذلك وإعطائه بعد استيفاء شرائطه.

8. وفيه أن السيادة لا تختص بالأفضل، بل هو الرئيس على القوم، والجمع سادة، وهو مشتق من السؤدد، وقيل من السواد لكونه يرأس على السواد العظيم من الناس، أي الأشخاص الكثيرة، وقال المهلب: الحديث دال على أن السيادة إنما يستحقها من ينتفع به الناس لكونه علق السيادة بالإصلاح.

9. وفيه إطلاق الابن على ابن البنت.

10. واستدل به على تصويب رأي من قعد عن القتال مع معاوية وعلي، وإن كان علي أحق بالخلافة وأقرب إلى الحق، وهو قول سعد بن أبي وقاص وابن عمر ومحمد بن مسلمة وسائر من اعتزل تلك الحروب، وذهب جمهور أهل السنة إلى تصويب من قاتل مع علي لامتثال قوله تعالى: (وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا) الآية، ففيها الأمر بقتال الفئة الباغية، وقد ثبت أن من قاتل عليًا كانوا بغاة، وهؤلاء مع هذا التصويب متفقون على أنه لا يذم واحد من هؤلاء، بل يقولون: اجتهدوا فأخطأوا، وذهب طائفة قليلة من أهل السنة ـ وهو قول كثير من المعتزلة ـ إلى أن كلا من الطائفتين مصيب، وطائفة إلى أن المصيب طائفة لا بعينها «انتهى باختصار يسير من «فتح الباري» (13/ 66ـ68)

عساكر في ترجمته، التي احتوت بحسب ما فهرسه المحمودي للأحاديث ما يزيد عن أربعمائة حديث ترتبط بمناقب وسيرة وشهادة الإمام الحسن عليه السلام.

1/ **لزوم محبته وأخيه ووالديه وجده** للوصول إلى لقاء رسول الله في الجنة وهو ما:

ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «أخذ بيد الحسن والحسين فقال: من أحبني وأحب هذين وأبا هما وأمهما كان معي في درجتي يوم القيامة»[1].

2/ **أن حبهما يساوي حب النبي**، وبغضهما بغضه صلى الله عليه وآله وسلم، وبالتالي فإن هذا يلقي بالضوء على أن كل من واجه الحسن عليه السلام بالبغض ولا سيما من أظهره من حاشية معاوية بن أبي سفيان هو مبغض للنبي وإن أظهر خلاف ذلك.

يشير لذلك ما رواه أبو هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم للحسن والحسين: «اللهم إني أحبهما فأحبهما». وقال: «من أحب الحسن والحسين فقد أحبني ومن أبغضهما فقد أبغضني»[2].

(1) ابن عساكر؛ ابو القاسم (ت 571 هـ): ترجمة الإمام الحسن / 52.
(2) المصدر نفسه / 57.

3/ **سيد شباب الجنة** يعني بالضرورة سيد المسلمين والمؤمنين، إذ الجنة ليس فيها عجزة وكهول وكبار السن وإنما سكانها الشباب، فسيدهم هو سيد الكل، ولو استثنينا النبي المصطفى وأمير المؤمنين والحسين عليهما السلام فهو سيد الجميع.. هذا معنى سيد شباب أهل الجنة.

وبنفس المعنى تكون فاطمة الزهراء سيدة نساء أهل الجنة، فإن معناها تمامًا هو أنها سيدة نساء المؤمنين وسيدة المؤمنات وبالطبع فإن المؤمنات هن سيدات على من سواهن من غير المؤمنات، فتكون النتيجة أن فاطمة سيدة نساء البشر.

وإذا تصور البعض أن بإمكانهم محبة الحسن، وكراهة أبيه! وإعظام المجتبى والغض من المرتضى فهم واهمون بل هم أعداء الجميع، فإن الحسنين مهما علت منزلتهما وارتفع شأنهما فإن أباهما خير منهما.

رفض محاولة التفريق بينهما وبين أبيهما فهو خير منهما.

يشير إلى ذلك ما رواه حذيفة بن اليمان الصحابي رفع الله مقامه عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في تقريظ سبطيه وأبيهما وأمهما من أنه «نزل علي ملَك فبشرني أن الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة وأبوهما خير منهما، وأن فاطمة سيدة نساء أهل الجنة».

ويساويه في المعنى ما جاء عن النبي برواية حذيفة بن اليمان، من أن فضل الحسن مقدم على كل ولد آدم.

وهذا بالإضافة إلى ما يثبته في حق الحسن يثبت مقالة أخرى في شأن أبيه أن عليًا خير البشر؟ بعدما كان (وأبوهما خير منهما). لقد روى حذيفة عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «ألا إن الحسن بن عليّ قد أعطي من الفضل ما لم يعط أحد من ولد آدم ما خلا يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم خليل الله»[1].

4/ **كل من برز لحرب الإمام علي عليه السلام فقد حارب النبي صلى الله عليه وآله وسلم**، بغض النظر عن اسمه وشخصيته، وهكذا الحال بالنسبة للحسنين عليهما السلام، ولذلك يكثر التعجب من بعض (علماء) السلف عندما يأبى من القول عندما سئل عن الحق مع مَن يوم صفين؟ فأجاب بأنه لا ينبغي الخوض في ذلك! ولو تخلى عن طبع العناد واللجاج وسلك طريق الانصاف لأجاب السائل بما روي مكررًا وبأسانيد معتبرة ورواة عن النبي متكثرة أنه صلى الله عليه وآله وسلم قال: «أنا حرب لمن حاربكم وسلم لمن سالمكم»[2].

(1) المصدر نفسه / 121 وسيأتي ذكره مستقلًا أقول: نشك في كون الاستثناء الأخير (ما خلا يوسف) صادرًا عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فإن يوسف النبي عليه السلام ليس أفضل من النبي إبراهيم عليه السلام ولو كان هناك استثناء لكان ينبغي استثناء إبراهيم لا يوسف. وفي بعض المصادر جاء بلفظ: إن الحسين بن علي قد أعطي...

(2) المصدر نفسه 98.

5/ **الحسنان كما يزينان المكين يزينان المكان**، وكما أنهما سيدا سكانها، فإنهما زينة الجنة؛ فعن رسول الله ﷺ أنه: «لما استقر أهل الجنة في الجنة، قالت: يا رب أليس وعدتني أن تزينني بركنين من أركانك؟ قال: ألم أزينك بالحسن والحسين؟ قال: فماست الجنة ميسا كما تميس العروس»[1].

6/ **نسب وحسب لا مثيل له حتى عند النبي**: بالرغم من أن شرف الحسن نابع من شرف جده المصطفى وأمه فاطمة وأبيه المرتضى إلا أن له نسبًا وحسبًا لا يتوفر لأحد حتى لمن تشرف بهم!! فإنه لا النبي المصطفى ولا علي المرتضى ولا الصديقة الزهراء يملكون جدًّا أو جدة أو أبًا أو أمًّا أو عمًّا أو عمّة أو خالًا أو خالة كالذي يمتلكه الحسن والحسين عليهما السلام! ففي الرواية أن النبي جاء يحملهما على كتفيه وبعد أن استمع الناس قال: «أيها الناس ألا أخبركم بخير الناس جدًّا وجدَّة وأبًا وأمًّا وعمًّا وعمّة وخالًا وخالة؟ الحسن والحسين... جدهما في الجنة وجدتهما في الجنة، وأبوهما وأمهما في الجنة، وعمهما وعمتهما في الجنة، وخالاهما وخالاتهما في الجنة، وهما في الجنة، ومن أحبهما في الجنة»[2].

(1) المصدر نفسه 120.

(2) المصدر نفسه 121.

7/ **فضْلٌ لم ينله أحد من ولد آدم**: عَنْ رَبِيعَةَ السَّعْدِيِّ، عَنْ حُذَيْفَةَ بْنِ اليَمانِ، أنّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وآله وسلم، قالَ: «ألا إنَّ الحَسَنَ بن عليّ قَدْ أُعْطِيَ مِنَ الفَضْلِ ما لَمْ يُعْطَ أَحَدٌ مِن ولَدِ آدمَ ما خَلا يُوسُفَ بْنَ يَعْقُوبَ بْنِ إسْحاقَ بْنِ إبْراهِيمَ خَلِيلِ اللَّهِ»

8/ **حديث: يصلح الله به بين فئتين**: وقد نقل ابن عساكر في الترجمة ما رواه البخاري وغيره عن النبي من أنه قال: إن ابني هذا سيد يصلح الله به بين فئتين من المسلمين. (وقد اختلفت تعابير بعض الرواة بنحو بسيط لا يؤثر على هذا المضمون). وسنأتي على بحثه بعد استكمال هذه الأحاديث وفي نهاية الصفحات..

9/ **الحسن قضى شهيدًا بالسم**: إذا كان مجرد بغض الحسن الزكي يعتبر بغضًا لجده النبي، وحربه كحرب جده فما ظنك بقتله واغتياله؟ وماذا يصنع ابن حجر العسقلاني والجوقة المطبّلة خلفه والمتغنية بمعاني (طائفتين من المسلمين) في هذا الاغتيال الذي تمَّ بأمر معاوية بن أبي سفيان؟.

بلى لقد تمَّ تسميم الحسن الذي هو سيد المسلمين، وسبط النبي وأمير الجنة! وليس مرة واحدة وإنما مرات ـ لا نعلم من نفذها ـ لكن التاريخ يثبت أن الأخيرة والتي كانت القاضية عليه خطط لها وجهزها معاوية بن أبي سفيان.

فعن عمير بن إسحاق، قال: دخلت أنا ورجل من قريش على الحسن بن عليّ فقام فدخل المخرج ثم خرج فقال: لقد لفظت طائفة من كبدي أقلبها بهذا العود، ولقد سقيت السم مرارًا وما سقيته مرة هي أشد من هذه[1].

وعن أم بكر بنت المسور، قالت: كان الحسن بن عليّ سقي مرارًا كل ذلك يفلت منه حتى كان المرة الآخرة التي مات فيها فإنه كان يختلف كبده، فلما مات أقام نساء بني هاشم عليه النوح شهرًا[2]..

ولا ينفع البعض أن يرمي مسؤولية التسميم على يزيد بن معاوية، تبرئة لأبيه[3] مع أنه لو تمَّ لا يبرئه، ولا يتم فإنه حينها لم يكن مشغولًا بشيء غير القرود والفهود والشهوات، ولذلك فإننا لا نستطيع قبول رواية حمد بن سلام الجمحي قال: كانت جعدة بنت الأشعث بن قيس تحت الحسن بن عليّ، فدس إليها يزيد:

(1) المصدر نفسه 207.

(2) المصدر نفسه 209.

(3) ولا على جعدة لأسباب شخصية كما فعل ابن تيمية في منهاج السنة 4/ 470 حيث قال في تعليقه على كلام العلامة في أن معاوية سم الإمام الحسن: «ولا ريب أنه مات بالمدينة ومعاوية بالشام، فغاية ما يظن الظان [أن يقال]: إن معاوية أرسل إليها وأمرها بذلك. وقد يقال: بل سمته امرأته لغرض آخر مما تفعله النساء؛ فإنه كان مطلاقًا لا يدوم مع امرأة». ونحن نلحظ أنه بالإضافة إلى غمزه في الإمام (المطلاق الذي لا يدوم مع امرأة) فإنه نفى أن يكون قد سمّه بيده (!!) وهذا مضحك، وقال غاية ما يظن الظان أن معاوية أرسل إليها وأمرها بذلك! وكأنّه لو فعل ذلك فلا حرج عليه! أو أن العلامة الحلي عندما قال سمه كان يقصد أنه جاء إليه بالكأس وسقاه إياه!!.

أن سُمّي حسناً إني مزوجك. ففعلت، فلما مات الحسن بعثت إليه جعدة تسأل يزيد الوفاء بما وعدها فقال: إنا والله لم نرضك للحسن فنرضاك لأنفسنا؟[1].

والصحيح هو ما ذكره محقق الكتاب الشيخ المحمودي في حاشيته على قول صاحب الكتاب: «وقد سمعت بعض من يقول: كان معاوية قد تلطف لبعض خدمه أن يسقيه سُمًا».. بقوله: والظاهر أن هذا من كلام محمد بن عمر الواقدي، والظاهر أنه إنما عبر عن هذا الامر المحقق بقوله «سمعت بعض من يقول..» ولم يفصح عن شخصية القائل تقية عن بني العباس والمتحشدين حولهم من شيعة آل أمية فإنهم كانوا بالنسبة إلى الإمام الحسن وذريته أشر من معاوية!! وكيف كان فلهذا القول شواهد قطعية من طريق رواة آل أمية وشيعة بني العباس: فرواه البلاذري في الحديث (7) من ترجمة الإمام الحسن من أنساب الأشراف: ج 3 ص 55، ط1، قال: وقد قيل إن معاوية دس إلى جعدة بنت الأشعث بن قيس امرأة الحسن وأرغبها حتى سمته وكانت شائقة له.

ورواه أيضًا أبو عمر في أواسط ترجمة الإمام الحسن من كتاب الاستيعاب بهامش الإصابة: ج 1، ص 375 قال:

(1) المصدر نفسه 211.

وقال قتادة، وأبو بكر بن حفص: سم الحسن بن عليّ سمته امرأته بنت الأشعث بن قيس الكندي.

وقالت طائفة: كان ذلك منها بتدسيس معاوية إليها وما بذل لها في ذلك، وكان لها ضرائر.

ورواه أيضًا الطبراني في الحديث: (165) من ترجمة الإمام الحسن من المعجم الكبير 3/ 71. قال:

حدثنا محمد بن عبد الله الحضرمي قال: حدثنا محمد بن عبد الله بن نمير، حدثنا يحيى بن أبي بكير حدثنا شعبة:

عن أبي بكر بن حفص قال: إن سعدًا والحسن بن عليّ ماتا في زمن معاوية فيرون أنه سمه[1].

10/ **بنو أمية واستمرار ظلمهم الحسن**: وكأن الشجرة الملعونة وأغصانها الشائكة لم يكفها ارتكاب جريمة قتل سبط النبي، فزادت على ذلك منع دفن جثمانه الشريف في بيت جده والعائد له[2] ولأخيه في أكثره وهو ما رواه جابر بن عبد الله

(1) المصدر نفسه، حاشية 210.

(2) فإنه بناء على الصحيح يؤول كميراث باستثناء ثُمنه (أو ثُمن قيمة البناء دون الأرض عند الإمامية) إلى ابنته الوحيدة حين وفاته وهي فاطمة حيث تحوز كل البيت باستثناء الثُّمن، وثُمنه بناء على رأي باقي المذاهب، يكون لزوجاته، وهن حين وفاته تسع نساء على المشهور، فيكون نصيب الواحدة منهن تُسع الثُّمن يعني مترًا واحدًا من 72 مترًا!.

يقول: «شهدنا حسن بن عليّ يوم مات فكادت الفتنة أن تقع بين حسين بن عليّ ومروان بن الحكم، وكان الحسن قد عهد إلى أخيه أن يدفن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، فإن خاف أن يكون في ذلك قتال فليدفن بالبقيع، فأبى مروان أن يدعه ـ ومروان يومئذ معزول يريد أن يرضي معاوية»[1].

وبالفعل فقد أرسل مروان لمعاوية خبر ما جرى وأنه منع من دفن الحسن بجوار جده، فكافأه معاوية بأن عزل سعيدًا بن العاص والي المدينة وولى مروان بن الحكم عليها بدلًا منه.. نعم هكذا هم هؤلاء يبيعون كل شيء في سوق الدنيا والرئاسة ومن أجلها!.

11/ بقي أن نعود إلى الحديث الذي لا تكاد تجد أحدًا من مدرسة الخلفاء يكتب عن الإمام الحسن المجتبى سطرين إلا وفي أحدهما ما ينسب لرسول الله (إن ابني هذا سيد يصلح الله به بين فئتين من المسلمين).. فنناقشه بذكر نقاط:

الأولى: إنه بناءً على تماميته سنَدًا ـ وسيأتي خلافه وأنه ليس تامًّا ـ.

(1) نفسه 216.

- فإن الحديث قد أثبت بنوة الحسن المجتبى للنبي ﷺ، بقوله ابني فيضاف هذا النص إذا تمَّ لبقية النصوص من الآيات والأحاديث المثبتة لهذه القضية التي بقيت محل نزاع إلى وقت متأخر وتمت معاقبة القائلين بها ولا سيما أيام الحجاج الثقفي في عصر الأمويين وأيام المنصور والرشيد والمتوكل العباسيين. وربما يكون هذا دليلًا مضعفًا لصدور الحديث فإنه لو كان معروفًا بين الناس كما يفترض لكان يسهل الاستدلال به.
- إثبات السيادة للإمام الحسن عليه السلام من قبل النبي ﷺ، ولا ريب أنه ليس المقصود منه أنه سيد بمعنى الحر في مقابل العبد، فإن هذا بديهي لا يحتاج إلى بيان، وإنما هو معنى أكبر، ينبغي أن يتسق مع ما ورد من روايات أخر مثل إنه سيد شباب أهل الجنة أو أن النبي ورثه سؤدده.
- إثبات أن الإصلاح بين المسلمين وهي المهمة التي نهض بها أبوه المرتضى من قبله، وهي وظيفة الأنبياء ﴿إِنۡ أُرِيدُ إِلَّا ٱلۡإِصۡلَٰحَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُۚ﴾[1] كان من عمله هو لا سواه، فالحديث بناء على صحته يقول يصلح الله به لا به وبغيره!.

(1) هود: 88.

- وإذا أردنا أن نسلك طريقة ابن حجر العسقلاني، ولكن من موقع آخر فإننا نقول؛ إنه كان هناك مسلمون وبينهم حالة فساد، ولا ريب أنها لم تكن من طرفه إذ لا يعقل أن يأتي الإصلاح من الطرف الفاسد، فيتعين أن يكون الفساد من الطرف الآخر والفئه الأخرى! وهي نفسها التي وصفت بحديث رسول الله بأنها (الفئة الباغية).
- وكذلك فإنه كما نزل أبوه المرتضى[1] وهو مظلوم عن حقه من أجل صلاح حال المسلمين، فقد صنع نفس الصنع ابنه المجتبى، ونزل عن حقه لأجل حقن دماء المسلمين وصيانة ثرواتهم في مقابل فئة لم يكن يهمها أن تجري الدماء أنهارًا من أجل أن يبقوا على كرسي الحكم والرئاسة..
- إن هذا لا يدل كما قال ابن حجر على صحة ولاية المفضول مع وجود الفاضل، إذا كان ذلك هو حكم الضرورة ولا سيما على روايتهم وذكرهم لتخاذل جيش الحسن، ومحاولتهم اغتياله، فإن حكم الضرورة أحيانا يقضي بالخضوع لحكم الكافر مع عدم أهليته!.

(1) مر قريبًا ذكر كلمات الإمام علي عليه السلام في هذا المعنى.

- ولا أعلم من أين استدل ابن حجر بالحديث على «رأفة معاوية بالرعية، وشفقته على المسلمين، وقوة نظره في تدبير الملك ونظره في العواقب»؟ فهل عرف رأفته برعيته وشفقته على المسلمين من دس السم للإمام الحسن كما ذكرناه آنفا عن ابن عساكر؟ أو من قتل حجر بن عدي وأصحابه؟ أو من توليته مروان بن الحكم المدينة مكافأة له على إعلان الحرب على جنازة الإمام الحسن؟.

الثانية: هل الحديث تامٌّ أو غير تام؟ وفيه نقاط كذلك:

أ/ إننا لا نجد له أثرًا في المصادر الإمامية، فلم يروَ في أي من مصادرهم الأصلية، ولا غيرها إلا منقولًا عن مصادر مدرسة الخلفاء. والذي نقله من علماء الإمامية اعتمادًا على تلك المصادر، واحتج به إنما كان على طريق الإلزام للمدرسة الأخرى.

ب/ إن مدار الحديث الأصلي في مصادر مدرسة الخلفاء ولا سيما في صحيح البخاري، هو على أبي بكرة نفيع بن الحارث بن كلدة (أخ زياد بن أبيه من جهة أمه)، وإن كان قد روي عن غيره لكن أسانيدها ضعيفة كما صرح بذلك غير واحد من محدثيهم. وأما هذا فقد أشكل فيه بعض محققيهم قديمًا وحديثا، وقد أشار لذلك الشيخ صلاح الدين الإدلبي

بقوله: «هذا الحديث رواه الحسن بن أبي الحسن البصري التابعي الثقة رحمه الله عن أبي بكرة، والراجح عندي فيه ـ بعد الدراسة ـ أنه منقطع الإسناد، فهو ضعيف... وبعد أن ناقش تصحيحاته وردها.. انتهى إلى القول: وخلاصة الأمر أنه إذا كان سماع الحسن البصري من أبي بكرة غير ثابت وهو معروف بتدليس الرواية فالسند ضعيف»[1].

ج/ ناقش الشيخ الكوراني ما يرتبط بمتن الحديث ومقدماته بقوله: «وقال البخاري: 8 / 98: (باب قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم للحسن بن عليّ: إن ابني هذا لسيد ولعل الله أن يصلح به بين فئتين من المسلمين... الحسن (البصري) قال: لما سار الحسن بن عليّ عنهما إلى معاوية بالكتائب، قال عمرو بن العاص لمعاوية: أرى كتيبة لا تولي حتى تدبر أخراها! قال معاوية: من لذراري المسلمين؟ فقال: أنا. فقال عبد الله بن عامر وعبد الرحمن بن سمرة: نلقاه فنقول له الصلح). انتهى. ونحوه في مستدرك الحاكم: 3 / 174، وفيه: (فصالح الحسن معاوية وسلم الأمر له وبايعه بالخلافة على شروط ووثائق، وحمل

(1) يمكن مراجعة دراسته للحديث في موقعه الالكتروني:
https://idlbi.net/alhasan1/

معاوية إلى الحسن مالًا عظيمًا! يقال خمس مائة ألف ألف درهم، وذلك في جمادى الأولى سنة إحدى وأربعين، وإنما كان ولي قبل أن يسلم الأمر لمعاوية سبعة أشهر وأحد عشر يومًا). انتهى.

لقد اختار البخاري من بين عشرات الروايات التي حفلت بها المصادر ورواها شيوخ البخاري، عن خلافة الإمام الحسن عليه السلام وحربه وصلحه مع معاوية، هذه الرواية الكاذبة الخبيثة التي تصور الأمر وكأن فئتي الصراع على حق وليس فيهما فئة باغية وأن النبي صلى الله عليه وآله وسلم وصفهما بأنهما: (فئتين عظيمتين من المسلمين)!.

ثم صور البخاري جيش الإمام الحسن عليه السلام بأنه كتائب أمثال الجبال جاهزة للحرب، لكن معاوية فكر في حفظ دماء المسلمين لتقواه، فأرسل زعيمين من بني أمية إلى الإمام الحسن عليه السلام ليعطياه ما يريد، فوجداه يريد المال فأعطياه ملايين وتم الصلح!.

فهل بعد هذا مسخ وتزوير وافتراء على سبط رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وسيد شباب أهل الجنة، من أجل تلميع شخصية معاوية القاتل الدموي الطليق بن الطليق؟!.

أليس بخاري هو الذي روى عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أن عمارًا تقتله الفئة الباغية، يدعوهم إلى الجنة ويدعونه إلى النار! فكيف صار

معاوية الذي وصفه النبي صلى الله عليه وآله وسلم بأنه إمام ضلال يدعو المسلمين إلى جهنم حريصًا على دماء المسلمين ومصالحهم؟! وهل أخطأ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في وصفه لمعاوية فلم يذكر تقواه؟.

ومتى كانت قوات الإمام الحسن عليه السلام كأمثال الجبال التي فسرها شارح بخاري: (أي لا يرى لها طرف لكثرتها كما لا يرى من قابل الجبل طرفه) (فتح الباري: 13 / 53) ومتى كان الإمام الحسن عليه السلام بهذه الشخصية الضعيفة والمادية التي صورها الأمويون للناس! وسوقها بخاري ليغش بها أجيال المسلمين؟!.

قال ابن حجر في الفتح: 13 / 55: فقال معاوية: «اذهبا إلى هذا الرجل فاعرضا عليه، أي ما شاء من المال. وقولا له: أي في حقن دماء المسلمين بالصلح. واطلبا إليه: أي أطلبا منه خلعه نفسه من الخلافة وتسليم الأمر لمعاوية، وابذلا له في مقابل ذلك ما شاء..». انتهى. فالمسألة إذن مالية! وسبط الرسول سيد شباب أهل الجنة إنما هو عند هؤلاء تاجر بخلافة جده المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم!.

والعجيب أن ابن حجر روى بعد هذا وصحح سنده، أن الإمام الحسن عليه السلام قد شرط على معاوية أن تكون الخلافة له من بعده! واعترف بأن معاوية نقض الشروط ونكث العهود كلها ولم يفِ له بشيء أبدًا! فهل بقيت له شرعية؟!.

قال: «وأخرج يعقوب بن سفيان بسند صحيح... وقد أرسل إلى الحسن يسأله الصلح ومع الرسول صحيفة بيضاء مختوم على أسفلها وكتب إليه: أن اشترط ما شئت فهو لك... فلم ينفذ للحسن من الشرطين شيء!... وأخرج ابن أبي خيثمة من طريق عبد الله ابن شوذب قال: لما قتل عليٌّ سار الحسن بن عليّ في أهل العراق ومعاوية في أهل الشام فالتقوا، فكره الحسن القتال وبايع معاوية على أن يجعل العهد للحسن من بعده»[1].

(1) الكوراني؛ الشيخ علي: جواهر التاريخ (سيرة الإمام الحسن) 3/ 126

كيف نُعرّف الإمام الحسن عليه السلام

ورد في الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «الحسن والحسين إمامان قاما أو قعدا»، «الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة».

يتطلب التعريف بشخص أو شيء أن يكون المعرِّف عالمًا بحقيقة ذلك الشخص أو الشيء، وهذا الأمر يجعل مهمة الخطيب أو الكاتب عسيرة، عندما يريد أن يعرّف احدى الشخصيات المعصومة.

فقد يمكن للباحث في الطبيعة أن يراقب الشيء الذي يريد تعريفه ويحيط بأكثر أو جميع خصائصه كمن يدرس وردة مثلا، فإنه ينظر إلى بيئتها وإلى أوراقها ومنشئها ويلاحظ ما يرتبط بها ثم يقدمها معرفا بها.

لكن بالنسبة إلى المعصوم كرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فنحن لا نستطيع أن نعرف حقيقة رسول الله أو كنه صفاته أو أبعاده المختلفة، فكيف نستطيع تعريفه أو تعريفها بالكامل؟.

نعم نستطيع أن نتعرف على صفاته الظاهرية، كما نقلت لنا أو نتأمل في آيات القرآن الكريم التي تحدثت عنه، وهي بلا شك توفر ما تقوم به الحجة على الناس في معرفة النبي والرسول. أما حقائقه وكنه ذاته فكما قال الشاعر الأزري ونعم ما قال:

حاز من جوهر التقدس ذاتا
حارت الأنبياء في معناها
لا تُجل في صفات أحمد فكرًا
فهي الصورة التي لن تراها

هل نترك التعرف على هذه الشخصيات بناء على ذلك؟ أو أن هناك طريقًا للتغلب على هذه العقبة؟.

يمكن التغلب على هذه العقبة بأحد طريقين:

الأول: أن نقتنع بأننا نتعرف على شخصية المعصوم بمقدارنا لا بمقداره. مثلما أننا عندما نذهب إلى البحر المحيط فلا نستطيع أن نحمل البحر كله ويضيق الأمر علينا فنغرف من مائه غرفة ونقول هذا بمقدار ما تستطيع كف أيدينا أن تحمل!.

وبالطبع هذه الغرفة وإن كان فيها طعم ماء البحر، وملمسه، وكثافته إلا أنها لن يكون فيها كل ما في البحر من كنوز وكائنات حية وأسماك سابحة..

وعندما نأتي لشخصية المعصوم نتعرف على كلماته فنعرف شيئًا من علمه بمقدار استيعابنا، ونقرأ سيرته فنتعرف على أخلاقه وأدواره بمقدار قدرتنا، ونقوم بعد ذلك بتعريفها للآخرين بهذا المقدار.

والثاني: أن نستمع إلى من يعرف الشخصية معرفة دقيقة، فنتأمل في كلماته، مثلًا نَرجع إلى القرآن الكريم فنرى أن الله تعالى قد تكلم عن نبيه المصطفى محمد صلى الله عليه وآله وسلم، فقال: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾[1]، وقال: ﴿وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ﴾[2]، وقال: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَـٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَـٰلَمِينَ﴾[3]، هذه الصفات تحدّث عنها القرآن الكريم، والقرآن الكريم هو كلام الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، فهذا كلام الله الذي يعرف نبيّه تمام المعرفة بجميع أبعاده قدم لنا بعض الجوانب الأخلاقية في شخصية النبي، أو قدّم لنا بعض الأدوار التي قام بها النبي كما في قوله ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَـٰكَ شَـٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا (*) وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا﴾[4].

(1) القلم: 4.
(2) آل عمران: 159.
(3) الأنبياء: 107.
(4) الأحزاب: 45 ـ 46 .

ومن ذلك ما إذا تحدث المعصوم عن المعصوم وذكر أوصافه أو مقاماته ومنزلته. فإنه مع فرض عصمته لن يتعدى قولة الحق، ومع فرض علمه سيكون قادرًا على بيان الواقع للمعصوم الآخر. ومن هنا تنشأ القيمة الاستثنائية لكلام رسول الله عن أمير المؤمنين عليه السلام مثلًا أو عن الحسن أو الحسين أو المهدي وهكذا.

لذلك نورد حديث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ونتأمل فيه فيما يرتبط بتوصيفه للحسن وأخيه الحسين عليهما السلام. (وسيأتي في الصفحات القادمة هدف النبي من توصيفه سبطيه وأباهما مع كون السبطين في ذلك الوقت صغار السن وأن هذا من باب تعيين الحجج على المسلمين وتوضيح الصراط المستقيم بعده).

الحسن والحسين إمامان قاما أو قعدا

وهذا الحديث من أقوى الأحاديث في مضمونه فإنه يبين أمورًا:

أ/ أنهما إمامان بنص رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ومن الواضح أن نص النبي على أحد بالإمامة يجعل هذا الشخص واجب الاتباع وغير قابل للعزل، فإن النبي هنا لا يخبر عن واقع وإنما يوجب أمرًا يجب أن يكون، لا سيما مع ملاحظة أنه قال هذا الحديث والحسنان لا يزالان من ناحية العمر طفلين.

ب / إن فيه ردًا على ما صار قاعدة في مدرسة الخلفاء من أن الخليفة والإمام هو الذي يتولى الحكم ولو أن شخصين تنازعا في أول الاسبوع فإن الذي يمسك بيده السلطة في نهاية الأسبوع ويصلي الجمعة هو الإمام الذي يجب طاعته، ولذلك حدثت مشكلة أيام ابن الزبير حيث تنازع الخلافة متعددون؛ عبد الله بن الزبير، ومروان بن الحكم، والضحاك الفهري. ولم تحسم المسألة بينهم في أيام ولا اسابيع! أما ما عليه الإمامية من أن إمامة المسلمين متفرعة من النبوة ومقتبسة منها، ومن نص عليه رسول الله فهو إمام ومن لا نص عليه لا يكون إمامًا شرعيًا ولو سيطر على المشرق والمغرب!.

ج/ كذلك فإن فيه ردًا على من ربط الإمامة بالحركة المسلحة وحمل السلاح للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وهو الخطأ الذي وقعت فيه الزيدية، حينما ابتعدوا عن فكرة الإمامة الشيعية، فأصبح السيف والحرب والجهاد هو الذي يصحح إمامة مدعي الإمامة! والعجب من بعض أحفاد الإمام الحسن عليه السلام الذين اتخذوا الزيدية منهجا، فهم بذلك يعيبون جدهم الأكبر وهو الإمام الحسن المجتبى عليه السلام.

د/ لعلنا نكتشف أن السبب الذي جعل هذا الحديث (يضيع) في مصادر مدرسة الخلفاء هو مضمونه، فإنه بهذه الصورة دليل في الصميم على ما يعتقده الإمامية من أن الإمامة هي بالنص النبوي[1] وليست باختيار أهل الحل والعقد فضلاً عن أن تكون بالتغلب والقهر كما عليه مدرسة الخلفاء.. فهل يستطيع أتباع تلك المدرسة أن يحتفظوا بهذا الحديث في مصادرهم مع صراحته في خلاف عقيدتهم في هذا الأمر المهم؟.

نعم نقل بعض المتأخرين منهم ما يشبهه لكنه ليس في قوته، فقد نقل الصفوري في كتابه ما عن أمير المؤمنين عليّ عليه السلام حيث

(1) قد ذكر السيد محمد رضا الجلالي في حاشية كتاب النكت في مقدمات الأصول للشيخ المفيد، ص 48، في تخريج الحديث ما يلي: رواه الصدوق في علل الشرائع (1 / 211) من حديث الحسن عليه السلام والخزاز في كفاية الأثر (ص 117) من حديث أبي أيوب الأنصاري، والمفيد في الارشاد (ص 220) وابن شهرآشوب في مناقب آل أبي طالب (3 / 394) وقال: أجمع عليه أهل القبلة. ورواه الأمير الناصر في ينابيع النصيحة (ص 237) وقال: ولا شبهة في كون هذا الخبر مما تلقته الأمة بالقبول، وبلغ حد التواتر.
وأرسله في حاشية شرح الأزهار (4 / 522) عن (الرياض) ورواه السيد مجد الدين في التحف شرح الزلف (ص 22).
وقال بعض مؤلفي الزيدية ـ بعد أن نقل الخبر واحتج به، فإن قال قائل: لم قلتم: إن هذا الخبر قد وقع العلم بصحته فيصح الاحتجاج به؟ قيل له: لما بيناه فيما تقدم، وهو: أن كل خبر ظهر بين أهل العلم على اختلاف مذاهبهم واختلاف أقوالهم...
وكان جماعتهم بين مستدل بظاهره وبين متأول له... ولم يحك عن أحد منهم دفعه، كان ذلك إطباقًا منهم على تلقيه بالقبول. كتاب الزيدية، المنسوب إلى الصاحب ص 155.

قال: «قال عليٌّ كرم الله وجهه دخلت يومًا بيتي فرأيت النبي صلى الله عليه وآله وسلم والحسن عن يمينه والحسين عن يساره وفاطمة بين يديه فقال يا حسن يا حسين أنتما كفتا الميزان وفاطمة لسانه ولا تعدل الكفتان إلا باللسان ولا يقوم اللسان إلا على الكفتين أنتما الإمامان ولأمكما شفاعة..».

وكذلك ما نقله السيد المرعشي في شرح إحقاق الحق عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم من قوله مخاطبًا الإمام الحسين، فإن فيه نصًا على إمامته وإمامة أخيه وأبيه وأبنائه: «أنت سيد ابن سيد أخو سيد، أنت إمام ابن إمام أخو إمام، أنت حجة ابن حجة أخو حجة، وأنت أبو حجج تسعة تاسعهم قائمهم» وعقب عليه بالقول: رواه جماعة من العامة في كتبهم: فمنهم العلامة حسام الدين المردي الحنفي في (آل محمد) (ص 18) ونقل الحديث كذلك في كتاب المناقب لموفق أحمد الخوارزمي أخطب خطباء خوارزم والحموييني في كتاب مودة القربى. إلى آخر كلامه..

خير الناس جدًا وجدة وأبًا وأمًّا

أخرج الشيخ الصدوق في كتابه الأمالي بأكثر من إسناد، الحديثَ المشهور التالي الذي يقص فيه الأعمش كيف أن المنصور العباسي استدعاه في جوف الليل فظن أنه يريد قتله

لروايته فضائل علي أمير المؤمنين، لكنه سأله عن عدد الأحاديث التي يرويها فيه، فأجاب بأنها نحو عشرة آلاف، فذكر المنصور العباسي له كيف أنه كان هاربًا من بني أمية وكان يحدث بفضائل علي فيزوده الناس ويطعمونه حتى وصل الشام فذكر كيف أنه حدث بحديث: ألا أدلكم على خير الناس جدًّا وجدة وأبًا وأمًّا وجدًّا.. مما قاله في فضل الحسنين.. إلى أن قال: فقال رسول الله: أيها الناس: ألا أدلكم على خير الناس جدًّا وجدةً؟ قالوا: بلى يا رسول الله. قال: الحسن والحسين، فإن جدهما محمد، وجدتهما خديجة بنت خويلد. يا معشر الناس، ألا أدلكم على خير الناس أبًا وأمًّا؟ فقالوا: بلى يا رسول الله. قال: الحسن والحسين، فإن أباهما علي يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله، وأمهما فاطمة بنت رسول الله يا معشر الناس، ألا أدلكم على خير الناس عمًّا وعمة؟ قالوا: بلى يا رسول الله قال: الحسن والحسين، فإن عمهما جعفر بن أبي طالب الطيار في الجنة مع الملائكة، وعمتهما أم هانئ بنت أبي طالب يا معشر الناس، ألا أدلكم على خير الناس خالًا وخالة؟ قالوا: بلى يا رسول الله قال: الحسن والحسين، فإن خالهما القاسم بن رسول الله، وخالتهما زينب بنت رسول الله، ثم قال بيده هكذا يحشرنا الله. ثم قال: اللهم إنك تعلم

أن الحسن في الجنة، والحسين في الجنة، وجدهما في الجنة، وجدتهما في الجنة، وأباهما في الجنة، وأمهما في الجنة، وعمهما في الجنة، وعمتهما في الجنة، وخالهما في الجنة، وخالتهما في الجنة، اللهم إنك تعلم أن من يحبهما في الجنة، ومن يبغضهما في النار».

ونحن نلاحظ هنا ملاحظات:

1/ أن الرواية عن الأعمش والتي تنقل الحادثة الأولى عندما استدعاه المنصور العباسي تشير إلى أن المنصور كان يسترزق بذكر فضائل علي بن أبي طالب واهل البيت عليهم السلام، وذكر الحادثة التي حدثت للإمامين الحسنين عليهما السلام، وكيف أثنى عليهما رسول الله وبين مجدهما وحسبهما ولهذا نتعجب كيف لم يتذكر هذه الأحاديث حين شن الحملة على أمير المؤمنين علي وابنيه الحسنين في أوائل حكومته، فنعت الجميع بما لا يصح قوله مما نقلناه من خطبه في الناس ورسائله لمحمد بن عبد الله (النفس الزكية)؟ أو أن هذا شأن المرتزقة الذين يبيعون في كل سوق ما ينفق فيها من غير نظر إلى مبادئهم واتساقها مع ما يبيعون؟.

2/ إن في هذا الحديث ومثله الحديث الآخر الذي نقله ربيعة

السعدي عن حذيفة بن اليمان عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فيه كل ما يحتاجه الإمامية وشيعة أهل البيت من عبارات فضل فيها النبي صلى الله عليه وآله وسلم عترته على كل الناس، فالنبي وخديجة أفضل الناس، وعليٌّ وفاطمة كذلك، والحسن والحسين كذلك.. فلا معنى لما يقال من أن أفضل الناس بعد النبي فلان أو فلان! إلا إذا فرضنا ـ والعياذ بالله ـ التخالف في كلام النبي، وهذا ما لا يكون.

3/ إن هذه الصفات واجتماعها بحيث يكون شخص أفضل الناس من حيث جده وجدته وأمه وأبيه وخاله وخالته وعمه وعمته.. لم تجتمع لأحد حتى لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو أفضل الخلائق ولا لأمير المؤمنين وهو يليه في المرتبة والفضل، لكنها اجتمعت للحسنين عليهما السلام.

الجانب العلمي في حياة الإمام الحسن

نعتقد في مدرسة أهل البيت أن المعصومين عليهم السلام، لهم علم بالشريعة لا يماثله علم سواهم استيعابًا وعمقًا، وفي هذا لا يختلفون باعتبار أنهم حجج الله على العباد، وإنه أعدل من أن يفرض حجة على الناس ثم لا يكون عنده ما يحتاجون إليه.

نعم قد تتهيأ الظروف لأحدهم بشكل يخدمه في نشر ذلك العلم وتبليغ تلك الأحكام، من حيث طول فترة إمامته أو معاصرته لحكام مشغولين عن مضايقته بما يهمهم أكثر، أو بوجود نشاط علمي وفكري في فترة أيامه أو منطقة وجوده، أو غير ذلك.

وفي حياة الإمام الحسن المجتبى عليه السلام، فقد كانت الظروف التي عاشها لا تخدم انتشار العلم عنه بشكل واسع، نظرًا لأن أغلب حياته كانت مع وجود أبيه عليٍّ المرتضى (باب مدينة علم الرسول) وهو الشمس التي تغطي على كل من وما عداها. ومن الطبيعي أن الناس مع وجود أمير المؤمنين لن يعدوه إلى سواه، بل صرح بعضهم بذلك عندما أحالهم الإمام أمير المؤمنين إلى

ابنه الحسن! وأنهم يريدون الجواب منه شخصيًا لا من ابنه، لولا أن الإمام كان يؤكد أن جواب الحسن هو جوابه!.

نعم انفرد الإمام الحسن السبط بعشر سنوات بعد أبيه، وهي فترة ليست طويلة بالقياس إلى فترات إمامة سائر المعصومين التي امتد بعضها إلى نحو ثلاثين سنة. ومع ذلك فإن ما وصل إلينا من علم المجتبى عليه السلام ليس بالقليل.

1/ فإن الناظر إلى عدد الرواة والناقلين عن الإمام الحسن المجتبى عليه السلام يجد أن هناك (137) راويًا[1] وبعض هؤلاء الرواة يعدون من أعاظم علماء المسلمين من الفريقين.

ويلفت هذا الأمر نظرنا إلى أن الإمام عليه السلام بعمله هذا التوعوي والتبليغي فإنه يبطل سعي الاتجاه الأموي في مسخ ثقافة الأمة، من خلال منعهم نشر السنة النبوية، والمعاقبة على رواية فضائل أمير المؤمنين، وتعمدهم اصطناع الأحاديث المكذوبة على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم[2].

فممن ذكر من الرواة عنه: عبد الله بن عباس حبر الأمة، وجابر بن عبد الله الأنصاري، وسويد بن غفلة، والأصبغ بن نباتة وجنادة بن أمية وأبناه: الحسن المثنى وزيد بن الحسن.. وغيرهم.

(1) ذكر أسماءهم بالترتيب الشيخ العطاردي في كتابه مسند الإمام الحسن عليه السلام.
(2) أشار لذلك المدائني في كلامه المشهور عنه كما نقله ابن أبي الحديد.

ومن أتباع مدرسة الخلفاء: الحسن البصري، وأبو هريرة الدوسي، وعامر بن شراحيل (الشعبي).. وغيرهم.

2/ ولم يقتصر نشر العلم والمعرفة على خصوص أيام إمامته بل كان في أيام أبيه أيضًا يتصدى لذلك بتوجيه من أبيه المرتضى عليه السلام، لبيان فضله وعلمه، وللإشارة إليه بالإمامة من بعده، فقد رأينا في سيرة الإمام أمير المؤمنين ذلك مرارًا، **فمنها**: ما رواه الشيخ الكليني في الكافي بسنده عن أبي هاشم الجعفري عن الإمام الجواد عليه السلام؛ قال: أقبل أمير المؤمنين عليه السلام ذات يوم ومعه الحسن بن عليّ وسلمان الفارسي رضي اللّه عنه، وأمير المؤمنين عليه السلام متكئ على يد سلمان فدخل المسجد الحرام فجلس إذ أقبل رجل حسن الهيئة واللّباس، فسلم على أمير المؤمنين عليه السلام فردّ عليه السلام فجلس.

ثم قال: يا أمير المؤمنين أسألك عن ثلاث مسائل إن أخبرتني بهنّ علمت أنّ القوم ركبوا من أمرك ما أقضي عليهم إنّهم ليسوا بمأمونين في دنياهم ولا في آخرتهم وان تكن الأخرى علمت أنك وهم شرع سواء، فقال له أمير المؤمنين عليه السلام: سلني عما بدا لك؟ فقال: أخبرني عن الرّجل إذا نام أين تذهب روحه؟ وعن الرّجل كيف يذكر وينسى؟ وعن الرجل كيف يشبه ولده الأعمام

والأخوال؟ فالتفت أمير المؤمنين إلى أبي محمّد الحسن فقال: يا أبا محمد أجبه[1].

وفي موقع آخر تراه يجيب على أسئلة بعثت لمعاوية من جهة ملك الروم فلما عجز عنها أرسل شخصًا متنكرًا لأمير المؤمنين عليه السلام بها ليأخذ أجوبتها كما نقله الشيخ الصدوق في الخصال بسنده عن الإمام محمد الباقر عليه السلام، فقال: بينما أمير المؤمنين عليه السلام في الرحبة والناس عليه متراكمون فمن بين مستفت ومن بين مستعدٍ إذ قام إليه رجل. فقال: أنا رجل بعثني إليك معاوية متغفلًا لك أسألك عن شيء بعث فيه ابن الأصفر.. فقال له الإمام: هذان ابنا رسول الله وهذا ابني فاسأل أيهم أحببت فقال: أسأل ذا الوفرة يعني الحسن عليه السلام فقال له الحسن عليه السلام: سلني عما بدا لك، فقال الشامي: كم بين الحق والباطل، وكم بين السماء والأرض، وكم بين المشرق والمغرب، وما قوس قزح، وما العين التي تأوي إليها أرواح المشركين، وما العين التي تأوي إليها أرواح المؤمنين، وما المؤنث، وما عشرة أشياء بعضها أشد من بعض؟ فقال الحسن بن عليّ عليهما السلام: بين الحق والباطل أربع أصابع فما رأيته بعينك فهو الحق، وقد تسمع بأذنيك باطلًا كثيرًا،

(1) الكليني: الكافي1/ 574، والطوسي في الغيبة ص 182.

قال الشامي صدقت، قال: وبين السماء والأرض دعوة المظلوم ومد البصر فمن قال لك غير هذا فكذبه قال: صدقت يا ابن رسول الله، قال: وبين المشرق والمغرب مسيرة يوم للشمس تنظر إليها حين تطلع من مشرقها وحين تغيب من مغربها، قال الشامي: صدقت فما قوس قزح؟ قال عليه السلام ويحك لا تقل قوس قزح فإن قزح اسم شيطان وهو قوس الله وعلامة الخصب وأمان لأهل الأرض من الغرق، وأما العين التي تأوي إليها أرواح المشركين فهي عين يقال لها: برهوت، وأما العين التي تأوي إليها أرواح المؤمنين وهي يقال لها: سلمى، وأما المؤنث فهو الذي لا يدري أذكر هو أم أنثى فإنه ينتظر به فإن كان ذكرًا احتلم وإن كانت أنثى حاضت وبدا ثديها، وإلا قيل له بل على الحائط فان أصاب بوله الحائط فهو ذكر وإن انتكص بوله كما انتكص بول البعير فهي امرأة.

وأما عشرة أشياء بعضها أشد من بعض فأشد شيء خلقه الله عز وجل الحجر، وأشد من الحجر الحديد الذي يقطع به الحجر، وأشد من الحديد النار تذيب الحديد وأشد من النار الماء يطفئ النار، وأشد من الماء السحاب يحمل الماء، وأشد من السحاب الريح تحمل السحاب، وأشد من الريح الملك الذي يرسلها،

وأشد من الملك ملك الموت الذي يميت الملك، وأشد من ملك الموت الموت الذي يميت ملك الموت، وأشد من الموت أمر الله رب العالمين يميت الموت. فقال الشامي: أشهد أنك ابن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حقًا وأن عليًّا أولى بالأمر من معاوية[1].

(1) الصدوق: الخصال ص 454.

الإمام الحسن المجتبى وتفسير القرآن

1. حديث في منهج فهم القرآن

سنجد مساحة واسعة من حديث الإمام الحسن عليه السلام في الموضوع القرآني، فيها ما يتصل بالمنهج الصائب والخاطئ في الاستفادة من القرآن، فمن الأول التدبر ومن الثاني التفسير بالرأي، وفيها التعرض لتأويل بعض الآيات وتطبيقها على مصاديقها الخارجية، وفيها الاستنباط والاستدلال على المسائل الفقهية، ونتناول هنا بعض الشواهد على ما سبق:

أولًا: القرآن قائد للجنة أو سائق للنار؛ إن وجود القرآن عند قوم لا يعني أنهم يدخلون الجنة بالضرورة بسبب وجوده بينهم، بل قد يكون عند قوم دليلًا وقائدًا للجنة ونعيمها وقد يكون عند قوم سائقًا يدفع بهم إلى نار جهنم ويكون حجة عليهم وقاضيًا بشقائهم عندما يخالفون أوامره، ولا يطبقون أحكامه، وهذا هو مفاد كلام الإمام الحسن الذي هو رشحة من كلام جده النبي صلى الله عليه وآله وسلم، فعن سبط رسول الله أنه قال: «إن هذا القرآن يجيء

يوم القيامة قائدًا وسائقًا يقود قومًا إلى الجنة أحلوا حلاله وحرموا حرامه وآمنوا بمتشابهه، ويسوق قومًا إلى النار ضيعوا حدوده وأحكامه واستحلوا محارمه»[1].

وهو نفسه ما قالَ رَسُولُ الله ﷺ: «القُرْآنُ شافِعٌ مُشَفَّعٌ، وماحِلٌ مصَدَّقٌ، مَن جَعَلَهُ أمامَهُ قادَهُ إلى الجَنَّةِ، ومَن جَعَلَهُ خَلْفَهُ ساقَهُ إلى النّارِ»[2].

ثانيا: تعرض الإمام عليه السلام إلى موضوع المنهج في القرآن وأشار إلى قضية التفسير بالرأي، فقد نقل عنه: «مَنْ قَالَ في القُرآنِ بِرَأيِهِ فَأَصَابَ، فَقَدْ أَخْطَأَ»، وهي من الكلمات العجيبة، فقد فرض أنه أصاب ومع ذلك قال إنه مخطئ! لماذا؟.

لعل الإمام عليه السلام هنا يريد أن ينهى عن منهج خاطئ، وأن يحذفه من التداول، فالقرآن الكريم لا ينبغي أن يتعامل معه بمنهج خاطئ، وإن صادف في بعض الأحيان الإصابةَ، بل المطلوب أن يكون الطريق إليه طريقًا سليمًا لا يقوم على أساس احتمال أن يصيب الإنسان، أو لعله يصل إلى الحق. إنه مع النهي عن المناهج الخاطئة، مع ذلك لم تسلم الأمة من التفسير بالرأي

(1) عطاردي: مسند الإمام الحسن ص 568.
(2) الطبراني: المعجم الكبير 10/ 198.

والذي أورد أولها وآخرها المآزق والمهالك! هذا مع النهي عن هذه المناهج، فكيف لو لم يُنه عنها؟.

ولا سيما مع الإصابة النادرة في هذه المناهج، فإنها تشجع أصحاب المناهج على اتخاذها طريقًا دائمًا؛ لذلك ورد النهي مكررًا عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم، ومن المعصومين بعبارات شديدة، منها التوعد بدخول النار، ومنها تخطئة النتائج التي يتوصل إليها بهذه المناهج.

وشبيه هذا ما وجدناه في القضاء في تقسيم القضاة إلى قضاة في الجنة وآخرين في النار[1]، ومن الذين هم في النار من يقضي من غير علم، فهذا وإن صادف الواقع فإنه معاقب وليس مثابًا ولا ممدوحًا. إن مجرد إصابة الواقع في بعض الحالات لا تصنع صوابية للمنهج، بل لا بدَّ أن يكون منهجًا صحيحًا، وصاحب المنهج الصحيح وإن أخطأ أحيانًا فلا مشكلة فيه.

(1) البيهقي، أحمد بن الحسين: السنن الكبرى10/ 116 قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: القضاة ثلاثة اثنان في النار وواحد في الجنة رجل عرف الحق فقضى به فهو في الجنة ورجل قضى بين الناس بالجهل فهو في النار ورجل عرف الحق فجار فهو في النار
والسيد البروجردي في جامع أحاديث الشيعة 25 / 27 عن أبي عبد الله عليه السلام قال القضاة أربعة ثلاثة في النار وواحد في الجنة رجل قضى بجور وهو يعلم فهو في النار ورجل قضى بجور وهو لا يعلم (انه قضى بالجور ـ يب) فهو في النار ورجل قضى بالحق وهو لا يعلم فهو في النار ورجل قضى بالحق وهو يعلم فهو في الجنة.

2. حديث في عداوة أعدائهم لهم:

فيما يرتبط بأعداء أهل البيت، لماذا صاروا في طريق العداوة والبغضاء؟ وهل القضية كلها أمور دنيوية ومصلحية؟ أو هناك جهات أخر؟ يشير الإمام الحسن المجتبى إلى جهات غير واضحة للعامة، كما نقل ابن شهراشوب، في كتابه: مناقب آل أبي طالب، بسند إلى ابن عباس، في قول الله عز وجل، مخاطبًا الشيطان: ﴿وَشَارِكْهُمْ فِي ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ﴾[1]، «أنه جلس الحسن بن عليّ ويزيد بن معاوية بن أبي سفيان، فقال يزيد: يا حسن، إني منذ كنتُ (يعني منذ وجدت فإني) أبغضك!.

فقال الحسن عليه السلام: اعلم يا يزيد، إن إبليس شارك أباك في جِماعه، فاختلط الماءان، فأورثك ذلك عداوتي!!.

وموضوع مشاركة الشيطان لبعض الناس كأنه من القضايا المتسالم عليها في آراء المسلمين بعدما ورد في القرآن، فقد روي عن «أمير المؤمنين عليه السلام قوله: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: إن الله حرم الجنة علي كل فحاش بذئ قليل الحياء لا يبالي ما قال وما قيل له فإنك إن فتشته لم تجده إلا لغية أو شرك شيطان»[2]، وإن كان

(1) الإسراء: 64.

(2) الطباطبائي؛ محمد حسين: تفسير الميزان13/ 150 وذكر الريشهري؛ محمد: ميزان الحكمة 2/ =

المورد مختلفا لكن أصل القضية وهو مشاركة الشيطان وتأثيره في الانجاب بحيث يخرج المولود وللشيطان فيه نصيب..

طبق الإمام الحسن عليه السلام، هذه الآية المباركة: ﴿وَشَارِكْهُمْ فِي ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ﴾[1]، على يزيد بن معاوية. والذي عمله يزيد في حياته لا يعدو هذا، بالطبع هذا لا يسلب مسؤولية الإنسان نفسه بأن يقول ما دام الشيطان شارك أباه فيه، فلا بدَّ أن يسلك هذا السلوك.. كلا وإنما هذا مؤثر من المؤثرات، وليس حتميًا وإنما تبقى ارادة الإنسان واختياره في أن يسير في طريق الهداية أو يختار طريق الغواية..

3. الصلاة على النبي تعليم من الله:

نقل عن الإمام الحسن عليه السلام في تفسير الآية المباركة: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا﴾.[2] في خطبة من خطبه، أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم تعلم من ربه،

= 1458 نماذج من ما يكون شرك شيطان في الرواية عن الإمام الصادق عليه السلام: من لم يبال ما قال وما قيل فيه فهو شرك شيطان، ومن لم يبال أن يراه الناس مسيئًا فهو شرك شيطان، ومن اغتاب أخاه المؤمن من غير ترة بينهما فهو شرك شيطان، ومن شعف بمحبة الحرام وشهوة الزنا فهو شرك شيطان.
وفسرت المشاركة بمعان متعددة وقد حملها الطباطبائي بهذا النحو: «وما ذكر فيها على مشاركته (الشيطان) الرجل في الوقاع والنطفة وغير ذلك كناية عن أنّ له نصيبًا في جميع ذلك فهو من التمثيل بما يتبين به المعنى المقصود ونظائره كثيرة في الروايات».

(1) الإسراء: 64.

(2) الأحزاب 56.

وعلم الناس أمورًا كثيرة، ومن جملتها قال: «.. وعلم رسول الله الناس الصلوات فقال: قولوا: اللهمّ صلّ على محمد وآل محمد، كما صليت على إبراهيم وآل إبراهيم، إنك حميد مجيد، فحقنا على كل مسلم أن يصلي علينا مع الصلاة فريضة واجبة من الله»، وهذا كما تعلمون، يقر به عموم المسلمين، في التشهد، لا بدَّ من الصلاة على النبي وعلى آله، وإليه أشار الشافعي محمد بن إدريس:

يا آل بيت رسول الله حبكم
فرض من الله في القرآن أنزله
كفاكم من عظيم الشأن أنكم
من لم يصل عليكم لا صلاة له

وفي موضوع المودة في القربى، قال الله تعالى: ﴿قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًا إِلَّا ٱلۡمَوَدَّةَ فِي ٱلۡقُرۡبَىٰۗ وَمَن يَقۡتَرِفۡ حَسَنَةٗ نَّزِدۡ لَهُۥ فِيهَا حُسۡنًاۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ شَكُورٞ﴾،[1] ففي خطابه الأول بعد شهادة أبيه أمير المؤمنين عليه السلام، قال: «..أنا من أهل بيت فرض اللّه تعالى مودتهم وطاعتهم في كتابه فقال: ﴿قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًا إِلَّا ٱلۡمَوَدَّةَ فِي ٱلۡقُرۡبَىٰۗ وَمَن يَقۡتَرِفۡ

(1) الشورى:23.

حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُۥ فِيهَا حُسْنًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾،[1] فالحسنة مودّتنا أهل البيت»[2].

ومن اللافت للنظر أن غير واحد من الأئمة كانوا يؤكدون في تفسير الآية المباركة على نفس المعنى فقد ورد في مصادر مدرسة الخلفاء هذا المعنى عن الطبراني في التفسير وتفسير أبي حاتم والثعلبي وغيرهم. مرويًا عن أمير المؤمنين عليه السلام بتفصيل أو إجمال[3].

4. بعض آثار سور القرآن:

أكثر الإمام الحسن المجتبى من التأكيد على تكرار سورة

(1) الشورى:23.

(2) عطاردي، الشيخ عزيز الله: مسند الإمام الحسن عليه السلام ص 42.

(3) فقد ذكره الطبراني (ت 360 هـ) في التفسير الكبير (تفسير القرآن العظيم)5/ 46 بقوله: وقال بعضهم: دخلت على علي بن أبي طالب عنه فقال لي: (ألا أنبؤك بالحسنة التي من جاء بها أدخله الله الجنة، والسيئة التي من جاء بها أدخله الله النار، ولم يقبل منه عملا؟) قلت: بلى، قال: (الحسنة حبنا، والسيئة بغضنا) ونقل فى تفسير أبي حاتم الرازي (ت 327) مشوها (ولا ندري هل هو من الأصل أو من المحقق والدار!!) فقد قال في تفسير ابن أبي حاتم، ـ مخرجا 9/ 3024 مرويًا عن أبي عبد الله الجدلي قالَ: دَخَلْتُ عَلى عَلِيِّ بْنِ أَبِي طالِبٍ، فَقالَ: «يا أبا عَبْدِ اللَّهِ، ألا أُحَدِّثُكَ بِالحَسَنَةِ الَّتِي مَن جاءَ بِها أدْخَلَهُ اللَّهُ الجَنَّةَ وفَعَلَ بِهِ وفَعَلَ بِهِ؟» قُلْتُ: بَلى، يا أمِيرَ المُؤْمِنِينَ، قالَ: «الحَسَنَةُ حُبُّنا».. ولا أعلم ماذا يعني قوله وفعل به وفعل به! هل من حذف ذلك خائف ان تنطبق عليه؟.

ونقله في مصادر الإمامية أحمد بن محمد بن خالد البرقي في كتاب المحاسن 1/ 210 وغيره، كما نقل عن الإمامين الباقر والصادق عليهما السلام.

القدر: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ﴾، فقد جاءه رجل وشكا إليه ضيق الحال، فأمره بالاستغفار وقراءة سورة: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ﴾، ما استطاع إلى ذلك سبيلا.

هذا وقد نقلت بعض المصادر الشيعية عن الإمام عليه السلام قولًا في فضائل السور «من قَرَأَ ثَلاث آيات من آخر سُورَة الحَشْر إذا أصبح فَماتَ من يَوْمه ذَلِك طبع بِطابع الشُّهَداء وإن قَرَأ إذا أمسى فَماتَ من ليلته طبع بِطابع الشُّهَداء»[1]، كما جاء في البحار[2] وغيره مثل موسوعة كلمات الإمام الحسن[3] وغيرهما كثير، لكن يظهر أن الأمر قد اشتبه على من نقل من مصادر مدرسة الخلفاء فإن السند عندهم هكذا (سَعِيدُ بْنُ عامِرٍ، عَنْ هِشامٍ، عَنْ الحَسَنِ) فلما نقل في مصادر الإمامية توهم أن الحسن هو الإمام الحسن السبط، بينما هو الحسن البصري وهو تابعي ولم يذكر سنده لذلك الحديث إلى رسول الله. وبعضهم كتب بعد الحسن (بن عليّ) فزاد هذا في وهم من تأخر عنهم عندما أخذوه.. والأمر كما ذكرنا.

(1) السيوطي؛ جلال الدين (ت 911 هـ): الدر المنثور في التفسير بالمأثور 8/ 123، والدارمي؛ عبد الله بن الرحمن (ت 255 هـ) 2/ 45.

(2) المجلسي؛ المولى محمد باقر (ت 1111 هـ) بحار الأنوار89/ 312.

(3) لجنة الحديث في معهد باقر العلوم عليه السلام: موسوعة كلمات الإمام الحسن عليه السلام ص 218.

5. من هو الشاهد والمشهود في القرآن؟

في رواية ينقلها الطبرسي في مجمع البيان: أن رجلًا دخل إلى مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فوجد حِلقا، كل حلقة فيها متحدث، فأقبل على أول حلقة، فسأل من كان فيها عن قول الله عز وجل ﴿ وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ ﴾[1] من يعني وماذا يعني؟ فقال: أما الشاهد فهو يوم الجمعة، وأما المشهود فهو يوم عرفة. هذا الجواب من الحلقة الأولى، يقول: فجزته، للحلقة الثانية، سألته نفس السؤال، هذا المتصدي للحديث والتدريس، ﴿ وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ ﴾، ماذا يقصد بذلك؟ فقال: أما الشاهد فيوم الجمعة، فأما المشهود فيوم النحر، يوم العيد من ذي الحجة. فجزته وذهبت إلى رجل أو غلام كأن وجهه الدينار، (الذهب)، كذلك. وهو يحدث عن رسول الله، فقلت: أخبرني عن ﴿ وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ ﴾ ماذا يقصد؟ فقال: أما الشاهد فالنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم، أما قرأت قول الله عز وجل: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ﴾[2]، فالقرآن وصفه بماذا؟ بالشاهد. وأما المشهود فيوم القيامة، أما قرأت قول الله عز وجل: ﴿ذَٰلِكَ يَوۡمٞ مَّجۡمُوعٞ لَّهُ ٱلنَّاسُ وَذَٰلِكَ يَوۡمٞ مَّشۡهُودٞ ﴾[3]. فسألت

(1) البروج: 3.
(2) الأحزاب: 45.
(3) هود: 103.

عن الأول، قيل: ابن عباس. وسألت عن الحلقة الثانية من فيها؟ قالوا: عبد الله بن عمر، وسألت عن الحلقة الثالثة، فقيل إن فيها الحسن بن عليّ بن أبي طالب[1].

مما روى الإمام الحسن عن جده رسول الله

من الحقائق التي نعتقد بها أن أحاديث الأئمة المعصومين عليهم السلام ورواياتهم، راجعة في أصولها إلى كلام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وقد أخبروا عن ذلك بعبارات مختلفة فقالوا: «إنما هي أصول علم نتوارثها كابرًا عن كابر عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم»[2] وبشكل أوضح ورد عن أبي عبد الله عليه السلام يقول: «حديثي حديث أبي، وحديث أبي حديث جدي، وحديث جدي حديث الحسين، وحديث الحسين حديث الحسن، وحديث الحسن حديث أمير المؤمنين عليه السلام وحديث أمير المؤمنين حديث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وحديث رسول الله قول الله عز وجل»[3].

(1) الطبرسي؛ الفضل بن الحسن (ت 548 هـ) تفسير مجمع البيان 10/ ص 315، عطاردي، الشيخ عزيز الله: مسند الإمام الحسن عليه السلام ص 104.

(2) البروجردي: جامع أحاديث الشيعة، 1/ 39 عن أبي عبد الله عليه السلام قال سمعته يقول انا لو كنا نفتي الناس برأينا وهوانا لكنا من الهالكين لكنها آثار من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أصول علم نتوارثها كابرًا عن كابر نكنزها كما يكنز الناس ذهبهم وفضتهم.

(3) الكليني: الكافي1/ 101.

وهم في الغالب وإن كانوا لا يعبرون عن حديثهم بطريقة تشير إلى أنه رواية، أو أنهم رواة فإن ذلك بسبب أنهم كانوا يريدون تكريس مفهوم الإمامة عند الناس وأن كلامهم هو ككلام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم واجب الإطاعة ولازم الإتباع، وأنهم لا يتعاملون مع أنفسهم ولا يريدون أن يتعامل الناس معهم باعتبارهم مجرد رواة؛ يروون الحديث عن النبي كما هو الحال بالنسبة إلى سائر الفقهاء وباقي العلماء والمحدثين، بل هم يختلفون في أنهم امتداد لرسول الله صلى الله عليه وكلامهم في قيمته التشريعية ككلامه صلوات الله وسلامه عليه وعليهم..

لكن مع ذلك وجدنا في بعض الحالات لجهة من الجهات، أن هذا المعصوم أو ذاك يشير إلى أنه سمع هذا من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أو أنه حدثه أبوه عن جده عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لأجل مناسبة تقتضي ذلك، وسوف نشير إلى هذا القسم مما يرتبط بإمامنا الحسن المجتبى صلوات الله وسلامه عليه، فإننا نجد أن قسمًا من أحاديثه وكلماته ينسبها إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، نورد بعض الشواهد على ذلك من كلماته مما سمع من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم..

مما نقله عن جده المصطفى:

1. في الحديث عن الإمام الحسن المجتبى عليه السلام أنه قال: «علمني

رسول الله ﷺ كلمات اقولهن في الوتر: اللهم اهدني فيمن هديت وعافني فيمن عافيت وتولني فيمن توليت وبارك لي في ما أعطيت واكفني شرّ ما قضيت فإنك تقضي ولا يقضى عليك، وإنه لا يذل من واليت ولا يعز من عاديت تباركت ربنا وتعاليت»[1].

وينبغي أن نتدبر في هذا الحديث مليًّا، فإن الإمام الحسن المجتبى عليه السلام عندما توفي رسول الله ﷺ عمره كان في حدود سبع سنين، لأن ولادته حسب المعروف في السنة الثالثة للهجرة،

هذا التعليم الذي جاء بصيغة الإخبار (علمني رسول الله كلمات...) فلو فرضنا أنه كان في السنة الأخيرة من وفاة رسول الله، يعني أن الحسن عمره ست سنوات، وقد علمه أن يقول هذه الكلمات في الوتر. والوتر هو من نافلة صلاة الليل.

2. نقل عن الإمام بعض أصحابه فقال: سمعت الحسن بن عليّ يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من صلى صلاة الغداة فجلس في مصلاه حتى تطلع الشمس كان له حجاب من النار»[2].

(1) عطاردي: مسند الإمام الحسن عليه السلام ص 593، وقد نقلها عن علل الشرائع للصدوق وسنن النسائي.

(2) المصدر نفسه ص 669.

ومعنى الحديث واضح لا سيما لجهة التحريض على التبكير في الاستيقاظ من النوم لأجل صلاة الغداة (الفجر) وبعدها البقاء مستيقظًا يعقب ذاكرًا لله تعالى، وعدم الاخلاد إلى النوم، مما يعطي له فرصة الانطلاق في طلب الرزق، فأصل الاستيقاظ مطلوب، والبقاء مع ترك النوم يجعل حجابًا بينه وبين النار، وفي الروايات تأكيد كبير على التبكير في الاستيقاظ وأنه يندب للمسلم أن يبكر في سبته ونومه وأن يبكر في استيقاظه وبكوره، حتى قرنت البركة بالتبكير في البكور «بارك الله لأمتي في سبتها وبكورها» هذا بالإضافة إلى كونه نظامًا صحيًا نافعًا للبدن والذهن، ومن ذلك ما ورد من أنه تقسم الأرزاق في ذلك الوقت بين طلوع الفجر وطلوع الشمس، وهذا قد يكون أمرًا غيبيًا، مثل ما جاء من أن «من صلى صلاة الليل أشرق وجهه بالنور» وقد يكون أمرًا طبيعيًا يمكن تفسيره، فإن المبكر في طلب الرزق يحصل على الفرص الموجبة للأرباح، بعكس النائم إلى وقت متأخر من الضحى.

وقس على هذا المتأخر في الاستيقاظ عن دراسته، ووظيفته وما شابه.

وبطبيعة الحال فإن مناسبة الحكم والموضوع تقتضي أن يكون

جلوسه على مصلاه مرتبطًا بإيجاد الحجاب من النار، وهو ما يفترض منه من الاستغفار والذكر وقراءة القرآن وما شابه ذلك، فإنها وإن لم تذكر لكنها مطوية في الحديث، فإن من يجلس عابثاً لاعبًا على مصلاه لا يصنع له حجابًا من النار.

3. ما قاله الإمام الزكي عليه السلام ناقلًا عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فقد سأله أحدهم ما حفظت من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فقال: «حفظت عنه، دع ما يريبك إلى ما لا يريبك»[1].

وفيه تحذير للإنسان من مواقع الريبة، وإثارة السؤال حوله، فلماذا يترك البعض نفسه في مكان بحيث تحصل منه فيه ريبة! أو يقوم بعمل حيث الناس يقولون، معقول فلان فعل هذا الشكل أو لا؟.

بل حتى في مواضع التفكير ينبغي للإنسان أن يترك الأمر المشكوك فيه ويعتمد على المتيقن! وربما استفاد منه بعضهم مسائل فقهية تشبه قواعد البناء على اليقين وترك الشك، ومنه الاستصحاب للحالة السابقة وعدم الاعتناء بالشك الطارئ على الإنسان فيها.

(1) المصدر نفسه 83.

4. وهناك حديث مفصل عن الإمام الحسن عليه السلام نقله الشيخ الصدوق في كتاب الخصال، وكان عليه السلام ينقل ما دار بين رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وبين اليهود، وينبغي أن نلاحظ أن الإمام الحسن كان ذلك الوقت دون سبع سنين ومع ذلك نقل ما دار بينهم وبين النبي صلى الله عليه وآله وسلم، قال عليه السلام: «جاء نفر من اليهود إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فسأله أعلمهم عن أشياء فكان فيما سأله أخبرنا عن سبع خصال أعطاك الله من بين النبيين وأعطى أمتك من بين الأمم؟ فقال النبي: أعطاني الله عز وجل فاتحة الكتاب والاذان والجماعة في المسجد ويوم الجمعة والصلاة على الجنائز والاجهار في ثلاث صلوات والرخصة لأمتي عند الأمراض والسفر، والشفاعة لأصحاب الكبائر من أمتي. قال اليهودي: صدقت يا محمد فما جزاء من قرأ فاتحة الكتاب؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من قرأ فاتحة الكتاب أعطاه الله عز وجل بعدد كل آية نزلت من السماء ثواب تلاوتها وأما الأذان فإنه يحشر المؤذنون من أمتي مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين. وأما الجماعة فإن صفوف أمتي في الأرض كصفوف الملائكة في السماء، والركعة في جماعة أربع وعشرون ركعة كل ركعة أحب إلى الله عز وجل من

عبادة أربعين سنة، وأما يوم الجمعة فان الله يجمع فيه الأولين والآخرين للحساب فما من مؤمن مشى إلى الجماعة إلا خفف الله عز وجل عليه أهوال يوم القيامة ثم يجازيه الجنة وأما الاجهار فإنه يتباعد منه لهب النار بقدر ما يبلغ صوته ويجوز على الصراط ويعطي السرور حتى يدخل الجنة، وأما السادس فإن الله عز وجل يخفف أهوال يوم القيامة لأمتي كما ذكر الله في القرآن، وما من مؤمن يصلي على الجنائز إلا أوجب الله له الجنة إلا أن يكون منافقًا أو عاقا، وأما شفاعتي ففي أصحاب الكبائر ما خلا أهل الشرك والظلم.

قال: صدقت يا محمد وأنا أشهد أن لا إله إلا الله وأنك عبده ورسوله خاتم النبيين وإمام المتقين، ورسول رب العالمين، فلما أسلم وحسن إسلامه أخرج رقًّا أبيض فيه جميع ما قال النبي ﷺ وقال: يا رسول الله والذي بعثك بالحق نبيًا ما استنسختها إلا من الألواح التي كتب الله عز وجل لموسى بن عمران ولقد قرأت في التوراة فضلك حتى شككت فيه يا محمد، ولقد كنت أمحو اسمك منذ أربعين سنة من التوراة وكلما محوته وجدته مثبتا فيها، ولقد قرأت في التوراة أن هذه المسائل لا يخرجها غيرك، وأن في الساعة التي ترد عليك فيها هذه المسائل يكون جبرئيل عن يمينك

وميكائيل عن يسارك ووصيك بين يديك، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: صدقت هذا جبرئيل عن يميني وميكائيل عن يساري ووصيي علي بن أبي طالب بين يدي فآمن اليهودي وحسن إسلامه»[1].

وإضاءة على هذا الحديث ترينا أن اليهود كانوا ﴿وَكَانُوا۟ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾[2] بأن هناك نبيًّا سيظهر ويعاضدونه ويؤيد ما عندهم ﴿فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُوا۟ كَفَرُوا۟ بِهِۦ﴾[3] وهؤلاء هم الأغلب من علمائهم وأحبارهم، لكن قسمًا منهم كانوا يشكّون في أن هذا الذي أتى هل هو النبي الموعود أو لا! فجاؤوا بالأسئلة الامتحانية الصعبة، في رأيهم والتي لا يجيب عنها إلا من كان رسولًا بحق.

فجاء جماعة من أحبارهم وقد تصدى أعلمهم للسؤال والمناظرة، ولا تذكر الرواية اسمه وهذا لا يؤثر شيئًا كثيرًا في المضمون، وسأل النبي عن سبع خصال أعطاها الله للرسول المكي المنتظر. فأجابهم صلى الله عليه وآله وسلم أنه أعطاه الله وخصه بـ:

1/ فاتحة الكتاب؛ ومن الطبيعي أن لا أحد من الأنبياء وأممهم قد أعطيها قبل النبي، لأن ذلك يتوقف على الكتاب نفسه

(1) الخصال، الشيخ الصدوق، ص 370.

(2) البقرة: 89.

(3) البقرة: 89 ﴿وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا۟ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُوا۟ كَفَرُوا۟ بِهِۦ فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾.

أي القرآن، وهو معجزة خاصة للنبي، ولكون فاتحة الكتاب خلاصة الوحي فقد كانت أساس العبادة في الصلاة إذ لا صلاة إلا بفاتحة الكتاب. وتتحدث الروايات عن فضائل جمة لسورة الفاتحة وآثار كبيرة.

2/ **الأذان**: فهو شعار الدعوة للصلاة، ويختص به المسلمون إذ أن سائر الديانات ليس لديهم أذان، بهذا النحو المرتب من الأذكار والأقوال تبدأ باسم الله وتنتهي به، وتحتوي على عقائد المسلمين من التوحيد والنبوة (والإمامة عند الإمامية) وتدعو إلى الصلاة وإلى سلوك طريق الفلاح، وتحث على أفضل الأعمال والسعي لخيرها في الحياة ففيه برنامج عقائدي وحياتي.

باقي الديانات لا تمتلك هذه الخصوصية، فهي لأجل الدعوة للعبادة إما تهرع إلى أجراس تقرع في الكنائس كما هو عند المسيحيين، أو من خلال صوت يطلق بقرن الثور ـالأبواق ـ كما كان في القديم، عند اليهود، أو ربما أشعلوا نارًا، كما هو عند المجوس.

الأذان للصلاة عند المسلمين هو من جنس الصلاة وهذا من الأدلة على أن الأذان ليس عملًا بشريًّا كما عليه رواية مصادر

مدرسة الخلفاء من كون أحد أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم قد رأى صورة الأذان في المنام وعرضه على رسول الله، وهو الذي أشار الإمام الصادق إلى خطئه عندما قال: «إن دين الله عز وجل أعز من أن يرى في النوم»،[1] ذلك أننا نرى أن بعض المستحبات العادية لا يمكن إثباتها شرعًا بالرؤيا والمنام، فكيف بشعار الإسلام الذي اعتبر خاصة لنبيه؟ واحتوى على ما احتوى من اللفظ والمعنى؟.

3/ **الجماعة في المسجد**: فالمسجد بما يشتمل عليه من أحكام وموقع في الدين الإسلامي، لكونه (بيت الله) لا يشابه موقعه أي من المعابد في الديانات الأخر، ومن ذلك قيام الجماعة فيه، وتضاعف أجر المصلي فيه لكونها فيها، واجتماع المسلمين في الجماعة مع ما يحمل من معان أخلاقية، واجتماعية وتعبوية.

وهنا ينبغي أن نذكر المؤمنين بلزوم عمارة المسجد بالحضور فيه والالتزام بصلاة الجماعة التي تقام فيه، ونستغرب جدًا عندما نسمع عن شاب أو شابةٍ لم يدخلوا المسجد للصلاة فيه منذ سنوات!!.

4/ **يوم الجمعة**: هو كذلك من مختصات نبي الإسلام، فإنه في

(1) الكليني، الكافي (دار الحديث)6/ 636.

هـذا اليـوم بـدءا مـن ليلتـه نلاحـظ أنـه أحيـط بهالة مـن القداسـة، بحيـث تمـت تشـريعات ترتبـط بـه دون غيـره مـن الأيـام، فـإن فيـه الغسـل بعنـوان (غسـل الجمعـة) وفيـه الصـلاة بكيفيـة مخصوصـة (صـلاة الجمعـة) بالإضافـة إلى سـاعات معينـة منها سـاعة اسـتجابة الدعـاء، إلـى غيـر ذلك ممـا يذكـر فـي خصائص هـذا اليـوم ولا توجـد فـي سـائر الديانـات لـه أو لغيـره مـن الأيام بالنحـو الـذي هـو لـه فـي الإسـلام.

5/ **الصـلاة علـى الجنائز**: وهـي أيضًـا مـن جملـة الصلـوات الواجبة كفائيًّـا والمسـتحبة دائمـا، ولا نعهد مثـل هذا فـي سـائر الديانات لا أقـل بنفـس الكيفيـة والمضمـون.

6/ **الإجهـار فـي ثـلاث صلـوات**: وهـي كيفيـة فـي القـراءة للفاتحـة والسـورة فـي صـلاة الفجـر والمغـرب والعشـاء.

7/ **الرخصـة لأمتي عنـد الأمراض والسـفر**: حيـث كان مـن ميزات هـذه الأمة والخصـال التـي أكـرم الله عـز وجـل بهـا إياهـا، أنـه خفـف عليهـم عنـد المـرض والسـفر، الصـلاة والصـوم، فجعـل الصـلاة الرباعيـة مقصـورة وثنائيـة، ورفـع وجـوب ومشـروعية الصـوم فـي أثنـاء السـفر. قـال تعالى: ﴿فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾[1].

(1) البقرة: 184.

8/ الشفاعة لأصحاب الكبائر من أمتي: وهذه من خصائص النبي المصطفى جعلنا الله ومن يقرأ هذه الكلمات ممن ينال شفاعته ويفوز برفقته في الجنان.

هذه الخصال، التي أبداها النبي المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم، لمعشر اليهود والتي انتهت بإسلامهم وإقرارهم بذلك هي مما نقله الإمام الحسن المجتبى عليه السلام من سنة رسول الله، وهو المصدر الأساس لها فيما نقل من سنة النبي. مع ملاحظة سبق أن أشرنا إليها وهي أن الحسن السبط عليه السلام في ذلك الوقت هو دون سبع سنين!.

تفسير التسبيحة الكبرى:

ومما نقل عن الإمام المجتبى عن جده النبي، تفسير التسبيحة الكبرى وهي بمثابة (الملك)[1] فيما بين الأذكار والأوراد في الإسلام، وهي على أهميتها العالية تزداد أثرًا عندما يتعرف الإنسان المسبِّح على معناها ومغزاها، وقد روى الإمام الحسن هذه المعاني؛ فإنه قال: «جاء نفر من اليهود إلى رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم

(1) الصدوق: ثواب الأعمال / 8 عن أبي عبد الله عليه السلام قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أكثروا من سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر فإنهن يأتين يوم القيامة لهن مقدمات ومؤخرات ومعقبات وهن الباقيات الصالحات.
والنسائي في السنن الكبرى 9/ 307 قالَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وآله وسلم: «لَأَنْ أَقُولَ: سُبْحانَ الله، والحَمْدُ لِلَّهِ، واللهُ أَكْبَرُ، ولا إلَهَ إلّا اللهُ، أَحَبُّ إلَيَّ مِمّا طَلَعَتْ عَلَيْهِ الشَّمْس».

فسأله أعلمهم، فقال له أخبرني عن تفسير سبحان اللّه والحمد للّه ولا إله الا اللّه واللّه أكبر! فقال النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم: علم اللّه عز وجلّ أن بني آدم يكذبون على اللّه عزّ وجلّ[1] فقال سبحان اللّه براءة ممّا يقولون. وأما قوله الحمد للّه فإنه علم أن العباد لا يؤدّون شكر نعمته فحمد نفسه قبل أن يحمده العباد، وهو أوّل كلام لولا ذلك لما أنعم اللّه عزّ وجلّ على أحد بنعمة وقوله: لا إله الا اللّه يعني وحدانيته لا يقبل اللّه الأعمال إلا بها وهي كلمة التقوى، يثقل اللّه بها الموازين يوم القيامة[2].

فوائد الاختلاف للمسجد

ومما رواه الحميري في قرب الاسناد بسنده عن الإمام الحسن عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، أنه قال: «من أدمن الاختلاف إلى المساجد لم يعدم واحدة من سبع، أخًا يستفيده في الله، أو علمًا مستطرفًا، أو رحمة منتظرة أو آية محكمة تدل على هدى، أو انه أظنه، قال: سدة، أو رشدة تسده عن ردى، أو يترك ذنبًا حياء أو تقوى»[3].

(1) وفيه إشارة واضحة ناقدة لمنحرفي اليهود الذين وصفوا كثيرًا في القرآن بأنهم يكذبون على الله سبحانه.

(2) تتمة النص من مسند الإمام الحسن عليه السلام، الشيخ عزيز الله عطاردي، ص 592.

(3) قرب الاسناد، الحميري القمي، ص 104 ومسند الإمام حسن عليه السلام، الشيخ عزيز الله عطاردي، ص 659 عن قرب الاسناد.

وهذا من الأحاديث المرغبة في تكرار ودوام الاختلاف والذهاب للمساجد إلى حد الادمان، فإن من فعل ذلك لا يعدم واحدة من سبع خصال[1].

(1) وقد ضعف رجاليو ومحدثو مدرسة الخلفاء الحديث بل حكم عليه بعضهم كالألباني في سلسلة الأحاديث الضعيفة 13/ 615 بالوضع، فقال إنه موضوع، واحتج لذلك: بعد أن ذكر سعد بن طريف بقوله «ليس بشيء». وعن النسائي: (متروك الحديث).
ثم ساق له أحاديث كثيرة هذا أحدها، ثم قال: «وله غيرها، وكلها لا يرويها غيره، وهو ضعيف جدًا». وقال ابن حبان: «كان يضع الحديث على الفور». وقال الهيثمي في (المجمع) (2/ 23): «رواه الطبراني في (الكبير)، وفيه سعد بن طريف الإسكاف، وقد أجمعوا على ضعفه». ثم قال: قلت: قلت: ويد الصنع والوضع والتكلف فيه ظاهرة، فلا أدري كيف لم يورده ابن الجوزي في (موضوعاته)، أو في (علله) على الأقل! انتهى كلام الألباني.
أقول: من العجيب الحكم على الحديث بالوضع لمجرد أن أحد رواته قد حكم عليه بعضهم بالضعف، أو بأنه متروك. مع أن الحديث تعددت طرقه في أحاديث مدرسة الإمامية، وبعضها تام بلا كلام، وعلى فرض أن هذا الطريق أو ذاك مبتلى بضعف أحد الرواة فإن كونه ذا طرق متعددة، بالإضافة إلى قوة مضمونه وعلو معناه يجعل من الممكن الاطمئنان إلى صدوره. وأما تفصيل القول:
أ/ فإن من حكموا بضعفه ولأجله ضعفوا الحديث بل وصفوه بالوضع وهو سعد بن طريف حتى قال الهيثمي في مجمع الزوائد2/ 23 وفيه سعد بن طريف الإسكاف وقد أجمعوا على ضعفه «والظاهر أن تضعيفهم إياه ناشئ من تشيعه، فإذا تمَّ توثيقه فماذا يصنعون برواياته في التشيع؟ وهذا ما أجمله ابن معين وغيره، وفصله أبو عمرو الفلاس بقوله كما نقله عنه الذهبي في ميزان الاعتدال2/ 123» قال الفلاس: ضعيف يفرط في التشيع» وقد حكم الإمام الخوئي أعلى الله مقامه في معجم رواة الحديث 9/ 71 بوثاقته، فقال بعد أن ناقش ما ورد في شأنه من الروايات والأقوال: «ثم إن الظاهر وثاقة الرجل، لقول الشيخ: وهو صحيح الحديث، وروده في إسناد علي بن إبراهيم بن هاشم في التفسير».
ب / إن ما ذكره الالباني من قوله: «يد الصنع والوضع والتكلف فيه ظاهرة» لا نعلم من أين رأى يد الصنع والتكلف والوضع.. وهل هي يد واحدة أو ثلاث أيادٍ! بل نرى العكس تمامًا فإن نسيجه يتوافق مع ما هو المألوف من أحاديث رسول الله صلى الله عليه وآله والمعصومين بعده.. =

= ج/ إن نصه موجود في أسانيد متعددة، تارة تنتهي إلى أمير المؤمنين علي عليه السلام، وأخرى إلى الحسن المجتبى وفي هذا كفاية لبيان أن ما ذكره من ظهور يد الوضع والتكلف هو أمر باطل، إلا أن يعتقد أن الواضع هو علي أو الحسن، نعوذ بالله!.

كما أن محتواه موجود في أحاديث كثيرة، وبأسانيد مختلفة..

فقد نقله السيد البروجردي في جامع أحاديث الشيعة 4/ 451، عن الصدوق في الفقيه هكذا: كان أمير المؤمنين عليه السلام يقول: من اختلف إلى المساجد أصاب احدى الثمان: أخا مستفادًا في الله عز وجل، أو علمًا مستطرفا، أو آية محكمة أو رحمة منتظرة، أو كلمة ترده عن ردى، أو يسمع كلمة تدله على هدى، أو يترك ذنبًا خشية أو حياء.

وعن المستدرك للنوري، ناقلًا عن المفيد في مجالسه، عن الصدوق، وكذلك عن الصدوق في الأمالي، والخصال وفيها عن سعد (بن طريف) الاسكاف عن عمير بن مأمون عن الحسن السبط عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

ومحتواه ومضمونه في فوائد الاختلاف للمساجد هو من أجود المتون الموافقة للاعتبار. ولعله لأجل تعدد طرقه ـ على الاقل في مصادر الإمامية ـ وقوة مضمونه، مرَّ كثير عليه من مدرسة الخلفاء ونقلوه ولم يتعقبوه بالتضعيف، فلا غرابة لما عده الالباني غريبًا حين لم يدر أنه لماذا لم يذكره ابن الجوزي في «موضوعاته»، أو في «علله» على الأقل! فقد ذكره ابن قتيبة الدينوري (ت 276 هـ) في عيون الأخبار 3/ 5 والطبراني (360 هـ) في أخبار الحسن بن علي بن أبي طالب عليه السلام 149 والغزالي (ت 505 هـ) في إحياء علوم الدين ج 14/ 170 وابن عساكر (ت 571هـ) في تاريخ مدينة دمشق 14 / 92 لكنه نسبه للإمام الحسين عليه السلام ولعله تصحيف وجلال الدين السيوطي (ت911 هـ) في الدر المنثور في التفسير بالمأثور 3/ 217، والهيثمي (ت 807) في كشف الأستار 4/ 18 مع زيادة: «عن الحسن بن علي قال:سمعت أبي وجدي» وأما في مصادر الإمامية فلعلك لا تجد فقيها يتعرض إلى أحكام المساجد لا يذكره.

الحياة الزوجية
للإمام الحسن عليه السلام

قد ذكرنا في ما سبق أنه على أثر الصراع الذي دار بين الطالبيين ممثلين بأحفاد الحسن المجتبى وبين العباسيين وفي طليعتهم أبو جعفر المنصور فقد خاض هذا الحرب بكل أبعادها معهم، فمن محاولة استئصال الذرية حتى لم يبق محتلم لم يكن مهددًا بالقتل، وقتل بالفعل عددًا غير قليل منهم في المعارك أو السجن، إلى الحرب الاقتصادية حيث أحرق واليه على المدينة عددًا من دورهم ومزارعهم وأملاكهم، إلى تشويه الشخصيات المحترمة لدى أهل البيت وقد مرَّ نقل خطبه ورسائله في صفحات سابقة، وأشرنا هناك إلى أنها من أسوأ التعابير الحاقدة على شخصيات الطالبيين الكبرى كأمير المؤمنين والحسنين عليهما السلام.

ومن المعلوم أن هذا يعطي خطًّا للإعلام والتثقيف كما نراه اليوم بوضوح، فإذا اتخذ الحاكم موقفا سلبيًا من شخصية أو نظام سياسي ترى الكل يجري في ميدان ذم تلك الشخصية

ويفتعل المثالب في ذلك النظام، فإذا رضي عنه اختفت كل تلك المقالات ليحل محلها غيرُها من دون حياء!.

وكان من جملة التشويه للشخصيات الطالبية وبشكل مباشر، نسبة العجز والوهن والانشغال بالشهوات والزواج والطلاق[1] للإمام الحسن المجتبى عليه السلام، وهذا ما ذكره المنصور العباسي في أكثر من موضع.

ولذلك جرى في هذا الميدان من كان في رحاب العباسيين مسترزقًا من أموالهم ومحميًّا بحياطتهم له، فوجدنا هذه السلسلة تبدأ من المدائني وتمر بابن سعد البغدادي في الطبقات ثم بالبلاذري صاحب المتوكل العباسي ونديمه في كتابه الأنساب، وهكذا ثم يأخذ منها كل من كتب في سيرة الإمام الحسن، ويزيد

(1) المسعودي؛ علي بن الحسين (346هـ): مروج الذهب ومعادن الجوهر 3/ 300: ولما أخذ المنصور عبد الله بن الحسن وإخوته والنفر الذين كانوا معه من أهل بيته صعد المنبر بالهاشمية (الأنبار حاليًا وهي العاصمة الثانية للعباسيين بعد الكوفة وقبل بناء بغداد)، وقال: يا أهل خراسان، أنتم شيعتنا وأنصارنا، وأهل دعوتنا، ولو بايعتم غيرنا، لم تبايعوا خيرًا منا، إن ولد ابن أبي طالب تركناهم والذي لا إله إلا هو والخلافة فلم نعرض لهم لا بقليل ولا بكثير. فقام فيها علي بن أبي طالب عنه فما أفلح، وحكم الحكمين، فاختلفت عليه الأمة، وافترقت الكلمة، ثم وثب عليه شيعته وأنصاره وثقاته فقتلوه، ثم قام بعده الحسن بن علي عنه فوالله ما كان برجل، عُرِضت عليه الأموال فقبلها، ودسَّ إليه معاوية إني أجعلك وليّ عهدي، فخلعه وانسلخ له مما كان فيه، وسلمه إليه، وأقبل على النساء يتزوج اليوم واحدة ويطلق غدًا أخرى، فلم يزل كذلك حتى مات على فراشه.. (قد ذكرنا تعليقنا على ما نقله المسعودي هنا في حاشية سابقة، وقلنا إن الترضي الموجود هو من زيادات المسعودي ولا يصح عن المنصور فراجع الحاشية في مكانها).

عليها حتى تحولت إلى أيقونة لا تكاد تستطيع تجاهل حضورها في كل كتب سيرة الحسن وفضائله!.

والعجب من بعض هؤلاء الذين يفتشون في سند كل رواية من روايات فضائل أهل البيت عن الشعرة وما دونها حتى إذا أعياهم قالوا المتن منكر! تراهم هنا يأخذون فكرة التشويه عن الإمام الحسن من دون شك فيقول قائلهم، وكان الحسن كذا وكذا.. ولا يكلف نفسه حتى أن يقول روي هكذا، أو قيل هكذا! مع أن أصول هذه الأقوال قد أثبت البحث العلمي فيها سقوطها بأكثر من سبب.

نعم قالوا هكذا: «وكانَ مِنكاحًا، مِطْلاَقًا، تَزَوَّجَ نَحْوًا مِن سَبْعِينَ امْرَأَةً، وقَلَّما كانَ يُفارِقُهُ أَرْبَعُ ضَرائِرَ.

عَنْ جَعْفَرٍ الصّادِقِ: **أَنَّ عَلِيًّا قالَ: يا أَهْلَ الكُوفَةِ! لاَ تُزَوِّجُوا الحَسَنَ، فَإِنَّهُ مِطْلاَقٌ.**

فَقالَ رَجُلٌ: **واللهِ لَنُزَوِّجَنَّهُ، فَما رَضِيَ أَمْسَكَ، وما كَرِهَ طَلَّقَ.**

قالَ ابْنُ سِيرِينَ: **تَزَوَّجَ الحَسَنُ امْرَأَةً، فَأَرْسَلَ إِلَيْها بِمائَةِ جارِيَةٍ، مَعَ كُلِّ جارِيَةٍ أَلْفُ دِرْهَمٍ**»[1].

(1) الذهبي، شمس الدين (ت 748 هـ) سير أعلام النبلاء ط الرسالة 3/ 253، ولنا أن نسأل الذهبي الذي توفي 748 هـ أي بعد سبعة قرون من شهادة الإمام الحسن، هل هذه القضية بديهية؟ حتى ترسل إرسال المسلمات من غير نسبتها لراو أو رواية؟ وبنفس النص قاله ابن كثير وهو الذي توفي سنة 774 هـ كذلك بعد ما يزيد عن سبعة قرون من شهادة الإمام، في البداية والنهاية 8/ 42، بعنوان قالوا.. ونسأل من هم الذين قالوا؟ وهكذا، وقبلهم ابن عساكر الدمشقي.. وغيرهم من أتباع النهج الأموي.

وحين تأتي إلى أعداد زوجات الحسن المتخيلة، تجدها أشبه بالحراج، فإذا كانت عند ابن منظور 70 امرأة! فالعدد يقفز مرة واحدة عند ابن سعد والمدائني ليكون 90 امرأة! ولأن الطوفي استقل العدد المذكور فقال إنه 100 امرأة وأكثر! وحقق له أبو الفرج بن الجوزي ما كان يبتغيه من العدد الأكبر فقال إنهن 200 امرأة! إلى هنا والمزاد لم ينته بعد فجاء أبو طالب المكي وهو الذي وصف بأنه ليس بثبت ولا ثقة فقال إنهن 300 امرأة!.

هل من مزيد؟

نعم جاء من سمي أبو عبد الله المحدث فصنع لهن موكب عزاء ضخم وبعد أن نزع أحذيتهن سيّرهن في ذلك الموكب الذي لم يره غيره ولم يوجد إلا في خياله، فقال: «إن هذه النساء كلهن خرجن في جنازة الحسن حافيات»!!.

وجاء آخر في كتاب التعازي[1] ليضيف رقمًا أكبر مما سبق! وليقول: إنه تزوج 448 امرأة! وهكذا كلما مرت الأيام يزداد العدد، تمامًا مثل حشائش الأرض!.

ولو أردنا أن نلتزم بما افتراه المنصور الدوانيقي العباسي من

(1) نقله عنه النوري في مستدرك الوسائل 16/ 296.

أنه يتزوج اليوم امرأة ويطلق غدا الأخرى فمعنى ذلك أنه يتزوج في السنة 180 ويطلق 180 امرأة فإذا ضربنا ذلك في 15 سنة يعني من حين مجيئه مع أبيه إلى الكوفة إلى شهادة الحسن سنة 50 هـ، فيعني ذلك أنه قد تزوج 2700 وطلق مثلهن!![1].

أرأيت كيف يبلغ عته العقول وحماقة الألباب؟ إن لم يكن فعل الأحقاد؟.

لم تنته المسرحية بعد! فلا بدَّ من ورق وأغصان لهذه الشجرة البائسة من الأفكار! لذلك قالوا إن عليًا ضج من ذلك ونهى أهل الكوفة عن تزويج هذا الولد!! الذي تقولوا على الإمام بشأنه: قوله إنه مزواج ومطلاق! وكأن الإمام عليا عليه السلام قد أعيته السبل مع ابنه فلا هو يسمع النصيحة ولا يأتمر بأمر أبيه ولا يوقر شأن أسرته! فلم يجد عليٌّ عليه السلام طريقًا إلا أن يستنجد بالناس ليعينوه على منع هذا الولد مما لم يستطع أبوه!! غير أن الناس لم يعينوه وأصروا على أن يزوجوه وأن يطلق كما يشاء! فعادت المشكلة ولم يحلها عليٌّ عليه السلام لا بنفسه ولا بمعونة بني هاشم ولا بمساعدة أهل الكوفة!!.

(1) لعل قائلًا يقول إنه لا يقصد من ذلك الجدية في أنه يتزوج اليوم ويطلق غدا وإنما تعبير كنائي عن الكثرة! ونقول: إن من يتأمل بعمق لا يرى فرقًا بين قول المنصور هذا غير الجاد وبين القائل إنهن 300 أو 448 وقد خرجن في موكب عزاء! فكلا الأمرين ينتمي لعالم التخريق والتخريف.

أرأيت كيف يتم الاستخفاف بالعقول؟

مناقشة الشيخ القرشي للروايات

وقد رأيت أن من أفضل من ناقش المسألة بهدوء وجمع أطرافها المتفرقة هو المرحوم الشيخ باقر القرشي[1] في كتابه حياة الإمام الحسن عليه السلام لذلك سأورد خلاصة لها وأظن أنها ستكفي القارئ العزيز. قال رحمه الله في بيان استدلال من نفى كثرة زواجه (وطلاقه بالتبع) ما يلي:

1/ كراهة الطلاق شرعًا مما يجعل سبط النبي وهو محل اقتداء شيعته لا يتصدى له حتى يصبح (مطلاقا)[2] مع ملاحظة أنه أبغض الحلال، وبشكل خاص ما ورد «ما من شيء مما أحله

(1) وبالمناسبة رأيت أن أذكر هذا الأمر وأذكّر بفضيلة العلامة المحقق القرشي رضوان الله عليه، فقد رأيت مقالًا في أحد المواقع المحسوبة على السلفية (موقع صلاح الدين المنجد) يرد بشكل جيد على فرية إن الحسن مطلاق مزواج! فأعجبني الكلام ورأيت أنه مرتب ترتيبًا حسَنًا، وكان قد اعتمد فيه على كتاب للدكتور علي الصلابي: حياة الحسن بن علي عنه. فرجعت إلى أصل الكتاب فوجدته في ثلاث صفحات قد اختصر ما قاله بشكل مفصل المرحوم القرشي في كتابه حياة الإمام الحسن، بعد أن جعله د. الصلابي قليل الدسم، وأغفل ما لا يتلاءم مع نظرية مدرسة الخلفاء منه، ومع ذلك جاء ما نقله ولخصه نافعًا ومفيدًا، فعلمت أن هذا راجع إلى جودة الأصل الذي أخذ منه، وأن هذا العذب هو من ذلك النهر، فرحمة الله ورضوانه على الشيخ القرشي وحشره الله مع سادته المعصومين لقاء ما قدم من شرح سيرة حياتهم.

(2) مطلاق: على وزن مفعال (مثل مقدام ومدرار) من صيغ المبالغة، ولا تستعمل إلا فيما كانت كثرة الطلاق فيه كثرة غير عادية.

اللّه أبغض إليه من الطلاق وإن اللّه عز وجل يبغض المطلاق الذواق»[1].

على أن الانشغال بذلك يتنافى مع الانشغال «بعبادته واتجاهه نحو اللّه وعمله المستمر في حقل الإصلاح وقضاء حوائج الناس وجلب الخير لهم ودفع الشر والشقاء عنهم فلا تفكير له إلا بالأمور الإصلاحية»، ولا سيما أيام كان في الكوفة وهو يمين والده في ثلاث حروب أشعلها ضده مخالفوه!.

2/ في مناقشته للروايات رأى أن إحداها ترجع للمدائني وهو من تلامذة عوانة بن الحكم (الأموي الاتجاه) وسمرة بن حبيب وهو كسابقه، يجري وراء من يعطيه المال، وقَلَّ أن يكون له روايات مسندة كما قال عنه ابن عدي.

وباقي الروايات وهي أربع مرسلة[2] لا إسناد لها أصلا!.

---

(1) القرشي، الشيخ باقر شريف: حياة الإمام الحسن بن علي ﷺ 2/ 445 وبمقتضى هذا فإن الحسن بن علي والعياذ بالله مبغوض من الله لأنه مطلاق ذواق! وإذا كان مبغوضًا من الله فينبغي أن يكون كذلك من العباد بينما بمقتضى أحاديث أخرى عن النبي من أبغضه فقد أبغض النبي! فكيف ينسجم هذا مع ما ورد في أحاديث المدرستين أنه سيد شباب أهل الجنة؟ أترى يكون من يبغضه الله والنبي ويبغض عمله؟ أو ما ورد من أنه لم يؤت أحد من ولد آدم من الفضل ما أوتي الحسن.. أترى ذلك يكون مع اتصافه بما لا يحبه الله من العمل؟.

(2) وأنا في نهاية هذا الفصل رأيت (القول الحسن في عدد زوجات الإمام الحسن) وهو كتاب نافع نشرته العتبة الحسينية المقدسة، يختص بمناقشة مسألة زواج وطلاق الإمام الحسن وقد بذل مؤلفه الشيخ وسام البلداوي جزاه الله خيرًا جهدًا مشكورًا في تتبع أسانيد الروايات واحدة بعد الأخرى من مصادر الفريقين وأثبت ضعفها وعدم إمكانية الاعتماد عليها، فمن أراد التفصيل في هذا فليرجع إلى الكتاب.

3/ إن مما يفيد افتعال هذه الروايات كثرة الزيجات هو عدم تناسب أولاد الإمام الحسن مع هذه الزوجات الكثيرات المفترضات فإن ما قيل من أولاده أنهم (اثنان وعشرون ذكرًا وأنثى)[1] فكيف يلتئم هذا مع سبعين امرأة أو تسعين أو مئة أو ثلاثمائة؟.

4/ وقد أشار القرشي إلى نقطة مهمة وهي أننا لا نجد في كلام الأمويين وهم الذين ناظروا الإمام الحسن وناقضوا أقواله وحاولوا أن يخجلوه بكل وسيلة ممكنة وأن يجدوا فيه عيبًا يعلنوه عنه، ولكن لا نجد أحدًا منهم قد عيره أو لمزه بكثرة زيجاته أو طلاقاته، ولو كان هذا صحيحًا لكان من أوضح أنحاء الغمز والتعيير عليه، إذ «لو كان الإمام عليه السلام كثير الزواج والطلاق ـ كما يقولون ـ لقالوا له: أنت لا تصلح للخلافة لأنك مشغول بالنساء، ولطبّلوا بذلك، واتخذوه وسيلة للتشهير به، وجابهوه به عند اجتماعهم به فسكوتهم عنه وعدم ذكرهم له مما يدل على عدم واقعيته وصحته»[2].

(1) لقد ذكرنا في كتابنا (كاظم الغيظ موسى بن جعفر) أن أولاد الإمام كانوا نحو 37 بين ذكر وأنثى وهم من نساء (حرائر وإماء) لا يصلن إلى عشر نساء. فهل يعقل أن من يكون عنده سبعون امرأة وهو أقل ما قالوه يكون له من الولد اثنان وعشرون؟ بالطبع سيأتي كلام فيما نختاره من عدد نساء الإمام الحسن وأولاده.

(2) القرشي: حياة الإمام الحسن 2/ 449.

5/ قال أيضًا أن دعواهم أن الإمام عليًّا ﷺ صعد المنبر ونهى الناس عن تزويج الحسن، تناقَش بأنه إما أنه قد نهى الحسن فلم يستجب له أو لم ينهه وأخبر الناس مباشرة، والأول وهو عدم استجابة الحسن لوالده لا يتناسب مع كونه من المطهرين من أهل البيت! والثاني لا يتناسب مع موقع الإمام أمير المؤمنين حيث ينبغي أن يخبره وينصحه لا أن يذمه وينتقصه على رؤوس الأشهاد، فكلا الأمرين بعيد عن الحقيقة.

6/ وكذلك قولهم إن نساءه (300) خرجن في جنازته حافيات! فإن هذا ليس معهودًا في الدين الذي شدد على التستر والتحجب!.

ثم عطف القرشي عنان الكلام على دور المنصور العباسي في إشاعة مثل هذا الأكاذيب على أثر مواجهته لبني الحسن المجتبى في ثوراتهم ضده، وتلقف من بعده هذه الأكاذيب كحقائق، ولذا رأينا أن أقدمها تاريخا هو ما ذكره المدائني وهو المتوفى سنة 225 وابن سعد المتوفى 230 هـ ومن جاء بعدهم وهؤلاء كلهم جاؤوا بعد المنصور العباسي (مات 158) هـ.

وقد أعادها المستشرقون المعادون للإسلام ولا سيما المسيحي الحاقد لامنس في كتبه، وتلقفها بعض تلامذته فعادت إلى الساحة من جديد.

7/ رأيت إشارة جيدة في كتاب (القول الحسن) لا أدري إن كان قد تمَّ الإشارة لها في سائر الكتب التي عالجت هذا الموضوع، أو لا؛ وهي قضية الشهود[1]، فإن من المعلوم أن وجود شاهدين في النكاح على رأي مدرسة الخلفاء، وفي الطلاق على وفق مذهب أهل البيت هو من الأمور اللازمة ومن شرائط الصحة، في النكاح والطلاق بالنحو الذي سبق، وبالتالي فإن كون الإمام الحسن قد تزوج أو طلق سبعين أو ثمانين أو مائة أو أكثر يقتضي أن يكون هناك على الأقل 140 شاهدًا وأكثر من ذلك يعني لا بدَّ من ضرب العدد في 4، فإذا قيل بما زعمه أبو طالب المكي (300) فلا بدَّ أن يكون هناك 1200 شاهدٍ!! إما شهدوا بالنكاح كما تراه مدرسة الخلفاء أو على الطلاق كما هو فقه أهل البيت عليهم السلام.. فأين ذهب هؤلاء؟ هل تبخروا كماء في يوم صيف؟ فلم نجد أثرًا لهم ولا ذاكر منهم ولا عنهم لهذه الزيجات واحتاج المدائني وغيره لإرسال الروايات بعد نحو قرنين من الزمان من وقوع الزواج والطلاق المفترض؟.

(1) البلداوي؛ وسام: القول الحسن في عدد زوجات الإمام الحسن 126.

الروايات يفضح بعضها بعضا

ثم إنهم نقلوا روايات يدل ما فيها على كذبها، فمن ذلك ما نقلوه من أن الحسن كانت عنده عائشة الخثعمية (هكذا من دون اسم أب أو جد) «فلما قتل قالت: لتهنك الخلافة. قال: بقتل عليٍّ تظهرين الشماتة؟ اذهبي فأنت طالق ثلاثًا، قال فتلفعت بثيابها وقالت: والله ما أردت هذا، وقعدت حتى انقضت عدتها، فبعث إليها ببقية صداقها وبمئة عشرين ألف درهم، فلما جاءها الرسول ورأت المال قالت: متاعٌ قليلٌ من حبيبٍ مفارق، فأخبر الرسولُ الحسنَ بن عليّ فبكى وقال: لولا أني سمعت أبي يحدث عن جدي النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: من طلق امرأته ثلاثًا لم تحل له حتى تنكح زوجًا غيره، لراجعتها».

ويفضح هذه الرواية أن أي طالب علم مبتدئ يعرف بأن مذهب أهل البيت لا يقبل الطلاق ثلاثًا بالصيغة المذكورة.. وهو الفارق المعروف بينه وبين المذاهب الأخرى، وقد بنيت الرواية عليه، وأن الحسن لا يستطيع أن يتزوجها أو يرجع إليها مادامت قد طلقت ثلاثا! ويظهر أن واضع الخبر وصانعه لم ينتبه إلى هذا فوقع فيه! هذا فضلًا عن أنه لا يناسب حسن المعاشرة، المعروفة عن الحسن حتى قالوا إنه لا يفارق امرأة إلا وهي راغبة فيه، أن يطلقها لأجل كلمة غير مقصودة! ثم يقوم بالبكاء!.

ومثل ذلك ما نقلوه أنه «لما خطب الحسن بن عليّ إلى منظور بن سيار بن زبان الفزاري ابنته فقال: والله إني لأنكحك، وإني لأعلم أنك غلق طلق ملق غير أنك أكرم العرب بيتًا وأكرمه نسبًا.. ونلاحظ أن ما قيل فيها من (سبّ) هذا المنظور للحسن لا يتناسب أبدًا مع ما عُرف عنه.. فهو يصفه بأنه غلق يعني سيء الأخلاق، وملق يعني كذوب كما في لسان العرب، وطلق (فهل مقصودة كثير الطلاق مع أنها لا تأتي بهذا المعنى وإنما تأتي بمعنى طلِق الوجه وباسم) لكن يظهر أن مفتعل الخبر أراد أن تأتي الكلمات بوزن واحد حتى لو كانت متعاكسة المعنى!!.

هل هناك تداخل أو تبديل في الأسماء؟

إنهم يذكرون أن بعض الأشخاص كانوا مشهورين بالزواج والطلاق، ومن هؤلاء من كان هو يتظاهر بذلك ولا يرى فيه مسبة له أو نقصًا! بل لم يكن هذا مخالفا لسيرتهم العامة مثل المغيرة بن شعبة الثقفي الذي وصف قبل الإسلام بأنه أكثرهم إقبالًا على العلاقات غير المشروعة، وبعد الإسلام عرف بإقباله على النكاح والطلاق[1]. وزُعم أنه كان يصرح بذلك

(1) (الأصفهاني، أبو الفرج (ت 356 هـ): الأغاني 16/ 60 (بالرغم من أننا لا نريد أن نعتمد على الكتاب) قال فيه: وكان المغيرة مطلاقا. فكان إذا اجتمع عنده أربع نسوة قال: إنكن لطويلات الأعناق، كريمات الأخلاق، ولكني رجل مطلاق، فاعتددن.. تزوّج تسعًا وثمانين امرأة أخبرني =

ويفتخر به ويصف معرفته بالنساء من خلال تجاربه!.

وهكذا ذكروا عن الوليد بن عبد الملك الأموي[1]، ومثل هؤلاء لا تتخالف سيرتهم العامة مع هذه الدعاوى والروايات عنهم، ولا يرونها منكرة، بينما هي بالنسبة للإمام الحسن عليه السلام مستنكرة ومخالفة لسيرته، بالإضافة إلى تهافت رواياتها، ورواتها.

فهل أن هؤلاء الكتاب أو الرواة قد خلطوا بقصد أو دونه اسم الإمام الحسن عليه السلام في هذه الأسماء؟ خصوصًا أننا نلاحظ بعض العبارات الموجودة في هذه الروايات مشابهة لما وضع في روايات زواج وطلاق الحسن عليه السلام.

= أحمد بن عبيد اللَّه بن عمار، قال: حدثنا عمر بن شبة، قال: حدثنا الأصمعيّ قال: حدثنا أبو هلال عن مطير الوراق، قال: قال المغيرة بن شعبة: نكحت تسعًا وثمانين امرأة، أو قال: أكثر من ثمانين امرأة، فما أمسكت امرأة منهن على حب؛ أمسكها لولدها، ولحسبها، ولكذا ولكذا. يصف العربيات قال أبو زيد: وبلغني أنهم ذكروا النساء عند المغيرة بن شعبة، فقال: أنا أعلمكم بهن: تزوجت ثلاثًا وتسعين امرأة، منهن سبعون بكرًا، فوجدت اليمانية كثوبك: أخذت بجانبه فاتبعك بقيته؛ ووجدت الرّبعية أمتك: أمرتها فأطاعتك؛ ووجدت المضرية قرنا ساورته، فغلبته أو غلبك..

(1) ابن كثير الدمشقي؛ اسماعيل (ت 774 هـ) البداية والنهاية ط هجر 12/ 610 وقال الواقدي: كان الوليد جبارًا ذا سطوة شديدة لا يتوقف إذا غضب، لجوجًا، كثير الأكل والجماع، مطلاقًا، يقال: إنه تزوج ثلاثًا وستين امرأة غير الإماء. قلت: وقد يراد بهذا الوليد بن يزيد الفاسق لا الوليد بن عبد الملك باني الجامع. والله أعلم.
وقال سبط ابن الجوزي (ت654 هـ) في مرآة الزمان في تواريخ الأعيان 10/ 144 ذكر نساء الوليد: قد روينا أنه كان مِطلاقًا وأنه أحصن ستين امرأة، والمشهور من نسائه: أم البَنين بنت عبدالعزيز بن مروان.. قال المدائني: تزوج الوليد في خلافته ثلاثًا وستين امرأة، وكان يُطلِّق الواحدة والاثنتين والثلاث..

ماذا عن الروايات الشيعية؟

لعل قائلًا يقول: إن هناك بعض الروايات الواردة في مصادر الإمامية، وبعضها في مثل الكافي، وبعضها مشابهة في نصوصه لما ورد في روايات مصادر الخلفاء فماذا نصنع بها؟.

والجواب: بعد الغض عن أسانيدها فالكثير منها لا يستقيم سندا.. هو نفس الجواب الذي تمَّ عن أختها من مصادر مدرسة الخلفاء، بل عنها حيث تمَّ نقلها في الغالب من تلك! فإن الحجج التي تقدمت في بيان زيف تلك الروايات وعدم معقوليتها تنطبق تماما على هذه الروايات بنفس درجة انطباقها على تلك. بل هنا بزيادة جهات أخر.

وذلك أن الرد على روايات مدرسة الخلفاء كانت مع غض النظر عن جهة إمامة الحسن المجتبى وعصمته وما ورد في شأنه وحقه، فكيف سيكون الأمر إذا كان مع الأخذ بعين النظر هذه الجهات؟.

وبالنظر إلى هذه الروايات على وجه الخصوص نقول: إن أصح ما جاء في هذا الباب هو ما في رواية الكافي وفي طريقها عدد من الواقفة (وهم الذين عبر عنهم في الروايات بالكلاب الممطورة يعني الناقلة للنجاسة) والتي يزعم فيها أن عليًّا عليه السلام قام

على منبر الكوفة يخاطب الناس ألّا يزوجوه! فنسأل: هل هذا يناسب النص على الحسن بالإمامة وتمهيد الأمر له من بعده؟ أو يناسب الإمام عليًّا وهو يذم الحسن ـ بحسب الرواية ـ على رؤوس الأشهاد؟ أو يناسب الحسن المطهر بنص آية التطهير في أن أباه يحتاج إلى فضيحته أمام الناس حتى يردعه عن ذلك الفعل؟ أو يناسب القول بأفضلية الإمام الحسن عليه السلام بعد أبيه على كل الناس بمقتضى كونه الإمام بعده؟ أو..

وبالتالي فإذا كانت الروايات غير الشيعية يرد عليها الكثير من الاشكالات على سندها ومضمونها، فإن الروايات الشيعية تشاركها في تلك الاشكالات وتزيد عليها بما قدمنا.

هل زوجات الإمام الحسن فوق المعدلات الطبيعية؟.

سوف يأتي بعد قليل أن زوجات الإمام عليه السلام هي ضمن المعدلات العادية في زمانه، بل قد تكون أقل من ذلك فإنهم يذكرون في أحوال أصحاب النبي والتابعين ما يلي:

أن أمير المؤمنين عليًّا عليه السلام تزوج 8 حرائر، وكان له مثلهن بملك اليمين، وعثمان بن عفان تزوج 8 نساء، وعمر بن الخطاب 9 نساء، وطلحة بن عبيد الله 9 نساء، وسعد بن أبي وقاص 11 امرأة، وعبد الرحمن بن عوف 20 امرأة!.

وسواء صحت هذه الأرقام بالدقة أو التقريب فإن هذه الأعداد كانت متعارفة، وإن كانت في مجتمعاتنا اليوم غريبة أو كثيرة. فإذا قيل إن الحسن بن عليّ قد تزوج مثلًا عشر نساء أو نحوها فلا يلزم من هذا العدد ضمن تعارف مجتمعه الذي عاش فيه أن يقال هو مزواج مطلاق وأنه اشتكى منه أبوه وأخبر عنه على المنبر أمام الناس.. إلى آخر المعزوفة التي كنا نقرأها فيما مضى من الصفحات!.

إن ما يذكره المدائني وهو من أصحاب الأرقام القياسية في ذكر زوجات الحسن، بالرغم من إجهاده نفسه في التعداد وعجزه عن تعداد أكثر من ثمان نساء بأسمائهن! بل وبغير أسمائهن فلم يستطع أن يورد أي علامة لكي يكمل أحد عشر فقال وامرأة من كذا وامرأة من كذا.. فلم يستطع أن يتجاوز رقم 11.

ماذا كان سيقول عن عبد الرحمن بن عوف؟ وسعد بن أبي وقاص وغيرهما؟.

لقد نقل ابن أبي الحديد في شرح النهج عن المدائني قوله في زوجات الإمام الحسن هكذا: «قال أبو الحسن المدائني: وكان الحسن كثير التزوج تزوج خولة بنت منظور بن زبان الفزارية، وأمها مليكة بنت خارجة بن سنان، فولدت له الحسن بن الحسن.

وتزوج أم إسحاق بنت طلحة بن عبيد الله، فولدت له ابنا سماه طلحة، وتزوج أم بشر بنت أبي مسعود الأنصاري - واسم أبي مسعود عقبة بن عمر - فولدت له زيد بن الحسن، وتزوج جعدة بنت الأشعث بن قيس، وهي التي سقته السم، وتزوج هند ابنة [سهيل بن عمرو، وحفصة ابنة عبد] الرحمن بن أبي بكر، وتزوج امرأة من كلب، وتزوج امرأة من بنات عمرو بن أهتم المنقري، وامرأة من ثقيف، فولدت له عمرًا، وتزوج امرأة من بنات علقمة ابن زرارة، وامرأة من بني شيبان من آل همام بن مرة، فقيل له: إنها ترى رأي الخوارج، فطلقها، وقال: إني أكره أن أضم إلى نحري جمرة من جمر جهنم»[1].

ومن خلال تعداد أولاد الإمام الحسن عليه السلام يمكن لنا أن نشكل صورة مؤيدة للعدد المعقول الذي قيل بالنسبة لزوجاته، فإنه مع ملاحظة أنه لم تكن ثقافة تحديد النسل سائدة في المجتمع المسلم بل عكسها من تكثير النسل والحث عليه هو السائد، وأن بعض الطرق التي ربما اتبعها بعض الأزواج كالعزل وأمثاله اعتبرت نوعًا من القتل الخفي، وكُره ذلك في الزوجة الحرة، فحينها وإن لم تكن كثرة الأولاد شاهدًا على كثرة الزوجات إذ

(1) ابن أبي الحديد؛ عبد الحميد (ت 565 هـ): شرح نهج البلاغة16/ 21.

يمكن لشخص لديه أربع زوجات أن يكون له الكثير من الأولاد، كما لاحظنا في حياة الإمام موسى بن جعفر، لكن قلة الأولاد لا يمكن أن تنسجم مع كثرة الأزواج، بأن يكون شخص كثير الزوجات لكنه قليل الأولاد!.

وبالنسبة للإمام الحسن فإن ما أحصي من أولاده بأسمائهم لا يزيد عن 19 ولدًا بين ذكر وأنثى[1]، وقد ذكرت أسماء أمهاتهم إما بالكامل أو بدون ذلك كما هو الحال بالنسبة للجواري أو (أمهات الأولاد) وبالرجوع إلى عبارته نجد أن عدد النساء من حرائر وأمهات أولاد هو 11 امرأة.

وأما ما ذكره الشيخ المفيد من عدد أولاده فهم «خمسة عشر (15) ولدًا ذكرًا وأنثى»[2]. وذكر أسماء الحرائر من زوجاته وأشار للباقي بعنوان أمهات الأولاد والمجموع هو (9) نساء.

فأصبح لنا بعد هذا: 9 نساء بحسب الشيخ المفيد، 11 امرأة بحسب المدائني وابن شهرآشوب. مما قيل في عدد زوجاته.

(1) بحسب ما ذكر أسماءهم ابن شهرآشوب في المناقب 4/ 29 مع تعثر في عبارته. وهو نفس العدد الذي ذكره الفخر الرازي في كتابه الشجرة المباركة في أنساب الطالبية.

(2) الإرشاد، ج 2، الشيخ المفيد، ص 20.

لماذا تزوج جعدة بنت الأشعث التي سمته؟.

قد يسأل سائل: لماذا تزوج الحسن بن عليّ جعدة بنت الأشعث وهي التي سمته خصوصًا مع قول الشيعة بأن الإمام يعلم بقاتله وبالتالي يعلم بأنها هي التي ستفعل ذلك، بل أساسا لماذا يتزوج امرأة هي على خلاف طريقته ومبادئه؟.

والجواب على ذلك يأتي بتوضيح عدة أمور:

1/ أنه من الثابت تاريخيًا أن الحسن عليه السلام قد تزوج جعدة بنت الأشعث الكندي، والأشعث عُدّ من المخالفين لأمير المؤمنين علي عليه السلام، وللإمام في ذمه كلمات قوية تعرب عن سوء حال الأشعث، كما أنه من الثابت في مصادر الإمامية بل وعدد من مصادر مدرسة الخلفاء[1] أنها هي التي أقدمت على سمه وبهذا السبب استشهد.

2/ لماذا تزوجها الإمام عليه السلام؟ يجاب على ذلك بأن الأنبياء والمعصومين عليهم السلام إنما يتعاملون مع المجتمع ضمن مقاييسه العادية، لا ضمن مقاييسهم الخاصة بهم. ولو كان الأمر غير ذلك وكان تعاملهم بمقاييسهم الخاصة لما تزوجوا أبدًا.

(1) قد مرَّ ذكرها في حاشية مفصلة في موضوع: الإمام الحسن من ولادته إلى شهادته.

فعلى سبيل المثال، لو كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لا يتزوج إلا امرأة بمستواه، لما تزوج إلى آخر عمره، فلا توجد امرأة تكافئ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم. نعم هناك استثناء لأمير المؤمنين والسيدة فاطمة الزهراء عليهما السلام، ففاطمة كفؤ لعلي، كما ورد في النصوص الكثيرة لدينا، ولا يوجد نموذج آخر مشابه لهما. فلا يوجد كفؤ للنبي صلى الله عليه وآله وسلم ولا لسائر الأنبياء والأئمة عليهم السلام يقول الإمام الهادي عليه السلام: «... ولو لم يُزوجنا إلا كفؤ لم يزوجنا أحد»[1]. أي لو كنا نبحث عن المكافئ لنا في المستوى علمًا وعملًا وتهذيبًا وأخلاقًا لما وجدنا أحدًا.

فالحالة العامة إذًا هي الحالة الاجتماعية التي يتزوج فيها النبي والإمام، ويمارس فيها قدراته العادية وعلمه العادي أيضًا. فعندما يبحث عن زوجة له فإنه لا يستعين بعلمه الإلهي المذخور له من عالم الغيب؛ لأنها ليست من الأمور التي تحتاج إلى علم الغيب والعلوم الخاصة والمعجزة، فالمعصوم لا يستعين بالغيبيات في كل أمر يفكر به، وإلا لما نال شيئًا من علو المقام. إنما هذه كفاءات خاصة أعطيت للنبي وللإمام لاستخدامها في مواضع خاصة وليس في كل المواضع.

(1) الإربلي؛ علي بن أبي الفتح (ت 692 هـ): كشف الغمة في معرفة الأئمة 3/ 180: عن الإمام علي الهادي عليه السلام.

فيأتي النبي أو الإمام، فيخطب امرأة ظاهرها الصلاح، وقد تبقى على صلاحها، وقد تتكشف عن امرأة أخرى، كأن تكون خارجية مثلًا، فيعرف المعصوم ذلك مع المعاشرة وطول الحديث والكلام وما شابه ذلك. على سبيل المثال، كيف يعرف الإمام الجواد عليه السلام أن أم الفضل عندها حالة غير طبيعية من الغيرة والأنفة، والشعور القومي والاستعلاء على غيرها؟ فلا تحظى عنده. وكذلك بالنسبة إلى زيجات رسول الله، فقد كانت لأغراض مختلفة، فقد قبض النبي صلى الله عليه وآله وسلم عن تسع نساء، وقد لا تجد امرأتين من نسائه تتشاكلان في الغرض من الزواج بهن. فهناك امرأة حبشية لا سند لها، كان الغرض الأول من الزواج بها هو الرعاية والحضانة لها، وحالتها لا تشبه غيرها. وأخرى قد يكون الغرض من الزواج بها هو من أجل أبيها أو أهلها أو ما شاكل ذلك، وأخرى لأنها امرأة كبيرة في السن وليس لها عائل ولا أهل ولا عشيرة. وكذا الحال ينطبق على أئمتنا عليهم السلام.

إن القرآن الكريم يذكر لنا قصة النبي نوح عليه السلام الذي صبر على زوجته طيلة مدة الدعوة. وسواء كانت فترة الدعوة فقط 950 عامًا ﴿فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا﴾[1] أو كانت كل حياته فقد

(1) العنكبوت: 14.

كانت زوجته على طريقتها من الانحراف وعدم الإقبال، وعندما جاء النبي نوح عليه السلام بالدعوة لم تبالِ ولم تستجب له ولم تقبل منه. لكن نبي الله لم يتركها أو يطلقها، بل بقيت معه وحافظ عليها برغم أنها لم تكن مطيعة لله. ولذلك ورد في بعض الآثار أن نوحًا النبي عليه السلام سئل أن يا نبي الله إن زوجتك منحرفة، لا تعبد ربك ولا تطيعك ولا تستجيب لك في أمور الدنيا، وأنت نبي الله، فلم لا تطلقها؟، فقال النبي نوح كلامًا بالغ الحكمة، قال إن الله لا بدَّ أن يبتلي عبده ببلاء، فأن يكون ابتلائي بأحد هو تحت يدي، خير لي من أن يكون ابتلائي بأحد أنا تحت يده.

3/ إن ظروف وحيثيات الزواج ليست متوفرة بيد الباحث والمطالع، حتى فيما شاهده بعينه، فضلًا عما غاب عنه، فقد ترى ابن عمك يتزوج من امرأة معينة (ولا تستطيع أن تتفهم أسبابًا مقنعة لزواجه بها) لكنها بالنسبة إلى الزوج نفسه تبدو مقنعة تماما. ونحن لا نعرف بشكل دقيق الأسباب التي تدعو الإمام الحسن عليه السلام للزواج بجعدة بنت الأشعث، فهل هي أسباب جمالية؟ أو أسباب سياسية لتخفيف عداء الأشعث للإمام أمير المؤمنين أو كسب قومه من الخوارج؟ أو كان لسبب قيام الأشعث بالطلب من الإمام ذلك وأن الإمام ضمن

ظروفه المحيطة لم ير من المناسب الرد السلبي؟ أو أنها كانت امرأة عادية حالها كحال سائر النساء لكنما أغراها فيما بعد الجهاز الأموي فتغيرت على الإمام ﷺ.

4/ إننا نحتمل احتمالًا كبيرًا أن جعدة بنت الأشعث كانت امرأة عادية في أول أمرها، ولم ينقل عن سوء معاملتها للإمام ﷺ أخبار في التاريخ، لكنها تعرضت لإغراء كبير وخديعة نافذة من قبل معاوية أمير الشام في موضوع قل أن يصمد فيه أمثالها من النساء، فوعدها بأن تكون زوجة ولي عهده يزيد، وأن يعجل لها مبالغ مالية كبيرة، كما تجد ذلك مذكورًا في الهامش، في مقابل أن تتخلص من الإمام ﷺ، ففعلت اللعينة ذلك وما كسبت غير عذاب الآخرة وخزي الدنيا.

وليس هذا بجديد على معاوية بن أبي سفيان فقد اشتهر به بالرغم من خفائه في تلك الأزمنة، وظهوره في هذه الأزمنة على أثر إمكانيات التشريح والتحليل الطبي لأسباب الوفاة، إلا أنه من المعلوم أن من أقوى الأسلحة عند الحاكمين قديما وحديثاً سلاح الاغتيال والتخلص من الشخصيات المنافسة بوسائل أهمها في ذلك الزمان: السم.

وقد ثبت ذلك من معاوية في حق مالك الأشتر الذي دس له

معاوية من يسمه في طريقه إلى مصر[1] وفعل نفس ذلك بعبد الرحمن بن أبي بكر بن أبي قحافة وكان رافضًا لولاية يزيد بعد معاوية، وفعل نفس الفعل مع سعد بن أبي وقاص. فما الذي يمنعه من فعل هذا مع الإمام الحسن وهو المنافس الأكبر لا سيما وأن الإمام قد قيده في معاهدة الصلح بأن يكون الحكم للحسن وبعده لو مات فللحسين!.

وقد يكون الساعي في الأمر بين معاوية وجعدة والي المدينة سعيد بن العاص أو مروان بن الحكم، وما قد يذكر في بعض الكلمات من أن والدها الأشعث كان هو الساعي في أمر سم الحسن، اشتباه بلا ريب فإنه مات قبل شهادة الإمام الحسن بحوالي تسع سنوات!.

5/ الغريب أن المؤرخين في الغالب تناسوا المسؤول الأساس

(1) وقد خفف البخاري الحادثة في التاريخ الكبير 7 / 311 حتى جاءت بهذه الصورة: بعث عليٌّ الأشتر أميرًا على مصر حتى بلغ قلزم فشرب شربة من عسل فكان فيها حتفه فقال عمرو بن العاص إن لله جنودًا من عسل. لكن ابن الأثير في كتاب اللباب في تهذيب الأنساب 3/ 304 كان أكثر صراحة فقال في ترجمة مالك: وكان من أصحاب علي عنه ومات بالقلزم مسمومًا سنة سبع وثلاثين وضع عليه معاوية من سمه في عسل فلما بلغه خبر موته قال إن لله جنودًا من عسل. ومثل ذلك ذكر سبط ابن الجوزي في تذكرة الخواص، ص 101 فقال: بعث معاوية إلى صاحب القلزم بأن يغتال الأشتر فلما نزل به قدم إليه شربة من عسل فشربها فمات فبلغ معاوية فقال لأصحابه إن للّه جنودًا من عسل.

الذي فكر في الخطة وقرر من يكون المنفذ وموّل وأرسل السم، وضيعت القضية! فبعضهم هكذا بلا حياء قال: مات بالسل! وبعضهم الآخر قال: مات! هكذا من دون أي إشارة إلى السبب! والأكثر اكتفوا بالقول إن جعدة هي التي سمته ولم ينسوا أن يتبعوها بأنه كان مطلاقًا منكاحا، حتى تسجل القضية على أنها جريمة عائلية ونزاع بين الزوج وزوجته أنتج ذلك! وإذا أراد أحدهم أن يوغل في ذكر السبب فهو يضع اللوم على يزيد وأنه هو الذي أغرى جعدة بتسميمه ووعدها بالمال والزواج.

وأما معاوية فهو (السد العالي) للصحابة فلا ينبغي أن ينتقد، ولذلك شهر أتباع الاتجاه الأموي من المؤرخين والفقهاء سيوفهم وأشرعوا رماحهم للذب عنه وتفنيد هذه الحقيقة! فانظر إلى ما قاله[1] ابن العربي المالكي (ت 543 هـ)، وابن تيمية الحراني وابن كثير الدمشقي وابن خلدون المغربي.

(1) ذكر كلامهم بتفصيله الباهت شحاتة صقر في كتابه معاوية بن أبي سفيان 1/ 206.

ألقاب الإمام الحسن مدخل لفهم دوره

من المواضيع التي تتطرق لها كتب السيرة، كنى وألقاب صاحب السيرة.

الكنية: هي ما صُدّر بأب في الرجال أو أم في النساء، فيقال أبو القاسم مثلاً كنية النبي صلى الله عليه وآله وسلم، ويقال: أم الحسن مثلاً كنية فاطمة.

وهي عند العرب من أساليب التفخيم والتعظيم لمن يخاطب بها، بدلاً من النداء له باسمه المجرد، وقد وردت روايات[1] تحث على ذلك وتحبذه.

اللقب: لفظ يدل على مدح ذي اللقب أو ذمه لمعنىً فيه، والأكثر أنه يستعمل في المدح. كعلي المرتضى والحسن المجتبى والحسين الشهيد وهكذا..

وعندما ننظر إلى سيرة الأئمة المعصومين عليهم السلام نجد أنه عقد باب

(1) الحر العاملي؛ محمد بن الحسن: وسائل الشيعة (آل البيت)، ج 21،، ص 397 عن أبي عبد الله جعفر الصادق عليه السلام، قال: من السنة والبر أن يكنى الرجل باسم ابنه. وعن أبيه محمد الباقر عليه السلام: إنا لنكني أولادنا في صغرهم مخافة النبز أن يلحق بهم.

لذكر ألقابهم. وقد ينظر إلى ذلك نظرة عابرة ـ تارة ـ باعتبار أن اللقب إنما يدل على مدح الملقب. وأخرى ينظر إليه بما نعتقد أنه كذلك باعتبار أن اللقب يشير إلى أحد الأدوار التي قام بها الإمام أو الصفات التي اتسمت بها شخصيته. وفي هذه الحالة ـ الثانية ـ سنتمكن من خلال قراءة جديدة لألقاب المعصومين أن نتعرف على بعض أدوارهم. وكأن هذه الفكرة تريد القول إن اللقب هو أشبه بشفرة تشرح لك دورًا كاملًا أو تفتح لك بوابة على معرفة الإمام. وبدلًا من أن يشرح لك في كل الأوقات بالتفصيل يكتفي بإعطاء كلمات ورموز وشفرات هي نفسها الألقاب وهذه مما يسهل حفظها ومن خلالها تشير إلى معارف واسعة من حياة المعصوم.

بهذا المعنى الثاني، نستطيع أن نفهم لماذا كان اهتمام بتحديد ألقاب الأئمة، وتخصيص بعضهم ببعضها مع اشتراكهم فيما نعتقد في صفات الكمال والجمال. حتى لقد رأى بعض المحققين[1] أنها توقيفية من الله سبحانه.

(1) العاملي؛ جعفر مرتضى: الصحيح من سيرة الإمام علي عليه السلام 1/ 167 «لقد روى الصدوق وغيره العديد من الأحاديث عن أئمة الهدى حول أسباب تلقيب عدد من الأئمة صلوات الله وسلامه عليهم، يظهر من بعضها: أن الناس أيضًا قد رأوا في الأئمة أسبابًا تدعوهم إلى إطلاق تلك الألقاب نفسها عليهم. =

بناء على هذا فإننا سنتابع عددًا من الألقاب التي عرف بها الإمام الحسن عليه السلام.

فأوّلها الزكي[1]

الزكاة أصلها في اللغة الطهارة والنماء والبركة، ومنه أخذت الزكاة فهي طهره للأموال وزكاة الفطر طهره للأبدان. ومنه التزكية للنفس، والزكي اسم لذلك.

والحسن الزكي يعني المبارك الذي لا تشوبه شائبة ولا تلحقه منقصة، والطاهر المنزه عن الشين، وكأن هذا اللقب ناظر إلى أن الإمام عليه السلام سيتعرض إلى حزمة من الاتهامات الكاذبة تتناول حياته الشخصية والزوجية والسياسية، مما أشرنا إلى بعضها في الصفحات الماضية، فيختصر هذا اللقب الرد الكامل عليهم في أنه هو (الزكي)!.

فإذا قال أحدهم إنه الحسن كان عثماني الهوى! يرد عليه بل كان الزكي الخالص والطاهر. وإذا طبل بعضهم وزمّر بالقول بأنه كان مزواجا مطلاقا، قيل له إن ذلك غير صحيح بل هو الزكي!

= كما أن بعضها يشير إلى أن تلك الألقاب توقيفية، أخبر بها الرسول صلى الله عليه وآله وسلم عن بعض الكتب السماوية، أو طلب صلى الله عليه وآله وسلم منهم إطلاقها على بعض الأئمة صلوات الله وسلامه عليهم، وفي بعضها: أن الله سبحانه هو الذي سماهم بتلك الأسماء».

(1) قال كمال الدين بن طلحة في ألقاب الحسن عليه السلام: أشهرها الزكيّ.

وإذا أراد بعضهم إلباس شخصيته ثوبًا مخرقًا من الصفات السيئة يقال له هذا ليس على مقاس الحسن، بل هو الزكي قولًا وعملًا، وإدارة وسياسة وهكذا.

وبالرغم من أن صفة الزكي تنطبق على المعصومين جميعًا فهم الأزكياء، ولكن لجهة ما ذكرناه من اختصاص الإمام الحسن عليه السلام (وسيأتي في ذكر الإمام العسكري عليه السلام أيضا) لمقاومة جملة الاتهامات والطعون التي حركها الأمويون والعباسيون على حد سواء ضد شخصيته الكريمة.

الثاني كريم أهل البيت

والكرم خصلة محمودة وخلق حسن، ولا سيما إذا كان المنفق ينفق من ماله، فإن ذلك يشير إلى سمو نفس. بل حتى لو لم يكن من ماله وسعى للحصول عليه من أجل إعطاء من يحتاج إلى رفده وإعانته.

وقد عرف الإمام الحسن المجتبى عليه السلام بكريم أهل البيت، لما كان يغدقه على المحتاجين من المال، فهو يعطي كل من جاءه محتاجًا، ولا سيما إذا كان من شيعة أبيه المرتضى الذين تضرروا بالحرب الاقتصادية التي أعلنها الأمويون على شيعة علي بن أبي طالب عليه السلام بدءا من أيام معاوية، بالرغم من أن شدتها وقوتها

كانت بعد شهادة الإمام الحسن ﷺ، إلا أن بوادرها كانت من أول أيام معاوية بن أبي سفيان. وربما لهذه الجهة وتوقع الإمام الحسن ﷺ لها فقد اشترط على معاوية[1] أن يكون للحسن خراج دارأبجرد[2] لكي يقسمه الإمام فيمن يراه.

فقد نقل أنه خرج من ماله لله مرتين، وقاسم الله ماله ثلاث مرات[3] وجاءه بعض الأعراب سائلاً فأمر أن يعطوه ما في الخزانة فدفع إلى الأعرابي فقال الأعرابي: يا مولاي ألا تركتني أبوح بحاجتي وأنشر مدحتي فأنشأ الحسن ﷺ:

(1) لا يقال كيف يأخذ الأموال من معاوية وهو وال متغلب غير شرعي، فقد أجاب شيخ الطائفة عن ذلك في كتابه: تلخيص الشافي، ج 4، الشيخ الطوسي، ص 179 بقوله: فأما أخذ الصلات، فسائغ بل واجب، لأن كل مال في يد الغالب الجائر المتغلب على أمر الأمة يجب على الإمام وعلى جميع المسلمين انتزاعه من يده، كيف ما أمكن، بالطوع أو الاكراه، ووضعه في مواضعه. فإذا لم يتمكن من انتزاع جميع ما في يد معاوية من أموال اللّه، وأخرج هو شيئًا منها إليه على سبيل الصلة، فواجب عليه أن يتناوله من يده، ويأخذ منه حقه، ويقسمه على مستحقه.

(2) ذكر السيد جعفر العاملي في كتابه: عاشوراء بين الصلح الحسني والكيد السفياني ص 63: وجه اشتراط الإمام الحسن أن يكون خراج دارابجرد (وهي قرب الأهواز) له يصرفه فيمن يحتاج، دون غيره من الأموال ودون غيرها من المدن، ما خلاصته: «إن ذلك باعتبار أن هذه المنطقة قد فتحت صلحًا لا عنوة وما كان كذلك فهو يرجع للإمام الشرعي وهو الإمام الحسن. لكن هذا لا ينطبق على باقي المناطق. ويترتب على هذا أنه لا يرى معاوية إمامًا شرعيا».

(3) بحار الأنوار، ج 43، العلامة المجلسي، ص 341 خرج الحسن بن علي ﷺ من ماله مرتين وقاسم الله ماله ثلاث مرات حتى أن كان ليعطي نعلًا ويمسك نعلًا ويعطي خفا ويمسك خفا. هذا ينبغي أن يشهر أمام أولئك الذين تخرصوا بأن الحسن الزكي إنما صالح ليربح بعض الأموال أو باع الخلافة أو ما شابه ذلك من الكلمات السمجة.

نحــن أنــاس نوالنــا خضــل
يرتــع فيــه الرجــاء والأمــل
تجــود قبــل الســؤال أنفســنا
خوفــا علــى مــاء وجــه من يســل
لــو علــم البحــر فضــل نائلنــا
لغــاض مــن بعــد فيضــه خجــل[1]

وإلى هذه الجهة أشار باحثون فقال المرحوم الشيخ باقر شريف القرشي: «وقد اثر عن الإمام الحسن كريم أهل البيت عليهم السلام أنه ما قال لسائل لا قط، وقيل له: لأي شيء لا نراك ترد سائلًا فأجاب: «إني للّه سائل، وفيه راغب، وأنا أستحي أن أكون سائلا، وأردّ سائلا، وان اللّه عوّدني أن يفيض نعمه علي، وعودته

(1) السروي ابن شهر آشوب (ت 588 هـ): المناقب4/ 16، والعلامة المجلسي في بحار الأنوار43/ 343. ويظهر من نصهما كأن الأبيات هي من إنشاء الإمام الحسن المجتبى عليه السلام، أو أنه تمثل بها لشاعر سبقه، غير أن الثعالبي (ت 429 هـ) في كتابه يتيمة الدهر1/ 503 قد نسبها لأبي الحسن عليّ بن الحسين العقيلي (ت 450 هـ) من سلالة عقيل بن أبي طالب. شاعر، سكن مصر، فإما أن نلتزم بأنّ الشاعر العقيلي قد ضمن الأبيات المذكورة للحسن عليه السلام في قصيدته، وهو احتمال بعيد لأكثر من سبب أو أن نلتزم بالعكس بمعنى أن الإمام الحسن تمثل بها وهي للشاعر العقيلي وهو غير ممكن لكون الشاعر متأخرًا عن زمن الإمام الحسن بنحو 400 سنة، أو نحتمل احتمالًا قريبًا في الذهن وهو أن ابن شهرآشوب وهو بعد الشاعر العقيلي بمقدار من الزمان حين أورد قصة الإمام عليه السلام في عطائه استحسن لوصف الحال هذه الأبيات من الشعر فجعلها مع القصة، حتى بدت وكأنها من إنشاء الإمام الحسن عليه السلام، والظاهر أن أول من ذكر الأبيات خلف القصة هو ابن شهرآشوب.. والمسألة بحاجة إلى بحث أكثر.

أن أفيض نعمه على الناس فأخشى إن قطعت العادة أن يمنعني العادة»[1].

وذكرها الشيخ هادي بن الشيخ عباس آل كاشف الغطاء، في أرجوزته في مناقب الإمام أبي محمد الحسن الزكي السبط عليه السلام حيث قال في أولها:

إن الإمام الحسن المهذبا خير الورى جدًّا وأمًّا وأبا
كريم أهل البيت أهل الكرم عليهم بعد الصلاة سلّمِ[2]

بل رأى السيد حسين آل بحر العلوم أنه «عرف ـ من دون بني هاشم ـ بـ (كريم أهل البيت)» ثم استعرض جانبًا من الشواهد على ذلك مبينا أن موضوع كرمه عليه السلام أوسع من أن يتحدث عنه محدث[3].

ابن رسول الله

هذه تدخل ضمن الكنى، من جهة تعريفها..

وبالنظر إلى ما حدث فيما بعد؛ أي في منتصف أيام الأمويين وبدايات أيام العباسيين، نفهم لماذا كان تأكيد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأئمة الهدى على أن الحسن والحسين ابنا رسول الله! وما الذي يقصد من ذلك.

(1) النظام التربوى في الإسلام، الشيخ باقر شريف القرشي، ص 249.
(2) الطهراني، آقا بزرگ: الذريعة1/ 511.
(3) الطوسي، محمد بن الحسن: تلخيص الشافي 4/ 179 / الهامش.

ولكي يفهم الموضوع بأبعاده نشير إلى النقاط التالية:

1/ لا شك أن النسبة الأولى للشخص إنما هي لأبيه، بمقتضى قول الله تعالى: ﴿ٱدْعُوهُمْ لِآبَآئِهِمْ﴾[1] وبمقتضى القاعدة والسيرة العقلائية الجارية في المجتمعات. إلا أن هذا لا يعني أنه لا ينسب لأمه أو لوالد أمه (جده لأمه) بحيث يكون غريبًا عنه أو أجنبيًّا! وما نفي في القرآن في قوله تعالى: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ﴾[2].[3] إنما جاء في قضية خاصة في موضوع زيد بن حارثة عندما أراد الكفار إثارة أن محمدًا تزوج زوجة ابنه! فنفي ذلك من القرآن لتبيان أن المتبنى لا تلحقه أحكام الولد النسَبي.

2/ إن أحاديث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في أن الحسن والحسين ابناه[4] هي فوق التواتر بين المسلمين، ونلحظ تعمدًا من النبي في

(1) الأحزاب: 5.

(2) الأحزاب: 40.

(3) وإلا فإن من الواضح أن النبي كان أبًا لإبراهيم ابنه، والقاسم والطاهر.

(4) الأميني؛ عبد الحسين: الغدير 7/ 133 وقد أورد فيه عشرات المواضع التي تمَّ فيها التعبير من النبي عن الحسنين أو أحدهما بابني أو ولدي، وتعبيرهما عنه بأنه أبوهما. فمن ذلك: قوله لعليّ: «أنت أخي وأبو ولدي» قوله: «أللّهمّ إنّ هذا ابني ـ الحسن ـ وأنا أحبّه فأحبّه وأحبّ من يحبّه» وقوله للحسن السبط: «ابني هذا سيّد «وقوله «هذان ابناي من أحبّهما فقد أحبّني» وقوله: «ادعوا ابني» فأتى الحسن بن عليّ، وقوله: «إنّ إبنيّ هذين ريحانتاي من الدنيا»؛ يعني الحسنين.

تركيزها بمختلف الأساليب والتعابير[1]، فتارة يعتبرهم ذريته وأن ذرية كل نبي من صلبه بينما ذرية النبي محمد هي من صلب علي بن أبي طالب[2]، وأخرى بصريح القول يعلن: الحسن والحسن ابناي وابنا بنتي. وهذا بالإضافة إلى ما جاء في القرآن في آية المباهلة ﴿فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ﴾[3] حيث جاء بالحسنين كما رواه نحو 17 صحابيًا.

3/ قد يكون في هذا التأكيد أولًا إشارة إلى شدة القرابة بين النبي وبين الحسنين، وبالتالي فإن من يعتدي على الحسنين فهو يعتدي على أبناء النبي لا أبناء عليٍّ فقط! وهذا تحذير مهم للأمة لكيلا تتبع الأمويين الذين سوف يقومون بعد أربعة عقود من وفاة رسول الله ﷺ باغتيال الإمام الحسن بالسم، وبعدها بعشر سنوات أخر سوف يقتلون الحسين بالسيف فهم بذلك قتلوا ابني رسول الله وفلذتي كبده![4].

(1) الهيتمي؛ ابن حجر (ت 974هـ) الصواعق المحرقة ص192: ورد عن أبي هريرة أنّه قال لمروان بن الحكم: «أشهد لخرجنا مع رسول الله ﷺ حتّى إذ كنّا ببعض الطريق سمع رسول الله ﷺ صوت الحسن والحسين وهما يبكيان مع أمّهما، فأسرع السير حتّى أتاهما فسمعته يقول لها: ما شأن ابْنَيَّ، فقالت: العطش.

(2) الطبراني: المعجم الكبير 3/ 43 (ت 360 هـ) عن جابر أن النبي ﷺ قال: إن الله جعل ذرية كل نبي في صلبه وجعل ذريتي في صلب علي بن أبي طالب.

(3) آل عمران: ٦١.

(4) الحاكم النيسابوري؛ أبو عبد الله (ت 405 هـ): المستدرك على الصحيحين 3/ 177 عن سلمان =

ولا تخفى الإشارة في شدة القرابة والالتصاق بين النبي وابنيه الحسنين بالنسبة للعباسيين الذين سوف يستميتون في إثبات خلاف ذلك، من أجل أن يقرروا مشروعية خلافتهم باعتبارهم ورثة النبي دون أبناء بنته، ويجندوا لذلك الشعراء لنظم قصائد[1] في هذا بل ويعاقبوا القائلين بأن أبناء الحسنين هم أبناء رسول الله![2] ولم يكن النزاع على ميراث مادي بسيط وإنما على مشروعية خلافتهم!.

كما أنه سيكون مهمًّا في الموضوع العقائدي حيث سيربط الفوز والنجاة من الهلكة بعترة النبي وذريته، وإذا تمَّ التشكيك في كونهم ابناءه، فهذا يفسح المجال للنظريات الأخرى البعيدة عن أهل البيت.

4/ لقد لاحظنا أن الحرب الأموية والعباسية على فكرة أن

= عنه قال: سمعت رسول الله يقول: الحسن والحسين ابناي من أحبهما أحبني ومن أحبني أحبه الله ومن أحبه الله أدخله الجنة ومن أبغضهما أبغضني ومن أبغضني أبغضه الله ومن أبغضه الله أدخله النار. وقال: أتاني جبرئيل عليه الصلاة والسلام فأخبرني أن أمتي ستقتل إبني هذا فقلت: هذا؟ فقال ص: نعم وأتاني بتربة من تربته حمراء.

(1) كقول عبد الله بن المعتز العباسي (ت 296 هـ) في قصيدته المشهورة:

ونحن ورثنا ثياب النبي فكم تجذبون بأهدابها
لكم رحم يا بني بنته ولكن بنو العم أولى بها

(2) كما فعل الحجاج مع يحيى بن يعمر! كذلك كان أكثر الخلفاء العباسيين يناظرون في هذا: مثال المنصور مع الإمام الصادق، وهارون مع الكاظم والمأمون مع الرضا وهكذا..

الحسنين ابنا رسول الله أكبر بكثير من الحرب على سائر الأحاديث والمضامين التي تحملها تلك الأحاديث! فمثلًا أنهما سيدا شباب أهل الجنة مع أنه من الأحاديث المشهورة بين المسلمين عمومًا إلا أنه لم يلق نفس المجابهة والمواجهة، ولم يكن قائله يعاقب العقوبة التي يلاقيها من يبشر بأحاديث أنهما ابناه. وفي هذا ما يلفت النظر إلى أن الفكرة هذه كان لها أبعاد أوسع مما تحمله الأحاديث الأخر.

السيد

تكاد الأحاديث النبوية الواردة بين الفريقين تتفق على فكرة سيادة الإمام الحسن وسؤدده..

- فقد روي عن رسول الله ﷺ قوله عنه (وأخيه الحسين) أنهما سيدا شباب أهل الجنة. وفي بعضها الحديث عن أن الحسن سيد شباب أهل الجنة. وبالطبع هذا لا يخالف ذاك لأن الحديثين مثبتان وليسا متنافيين.

ومن الطبيعي أن يكون سيد شباب أهل الجنة هو سيد المسلمين جميعا، باستثناء رسول الله ﷺ وأمير المؤمنين عليٍّ عليه السلام. وذلك أن أهل الجنة هم نخبة البشر من المؤمنين والطائعين لله عز وجل، والصفوة التي خلق الله لها دار كرامته،

من الأنبياء والأوصياء والعلماء والأتقياء والشهداء ومن سار على طريقهم، ويسود هؤلاء ويتقدم عليهم اثنان من البشر (بعد النبي وعليّ) هما الحسن والحسين، فهم في الواقع سادة البشر. ولا نعتقد بصحة الروايات التي أوردتها بعض مصادر مدرسة الخلفاء مستثنية بعض الأنبياء أو الرسل[1]. هذا فضلاً عن محاولات البعض في إخراج بعض صحابة النبي بالقول إنهم كهول أهل الجنة! أو التصريح بأنه إلا فلان أو فلان!.

إذا تأسس هذا وأضيف إليه ما قاله النبي مرارًا وفي مواضع مختلفة «وأبوهما خير منهما» ينتج ذلك أفضلية الإمام علي عليه السلام وسيادته على جميع أهل الجنة باستثناء رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

في نفس الإطار يأتي ما روي في مصادر الفريقين عن النبي من أنه أورث الحسن المجتبى هيبته وسؤدده[2]، والسؤدد كما قيل هو تمام العقل، وقيل هو غاية الشرف وسيادة القوم في أيام الشباب (والسواد)، وهو «لا يكون إلا باحتمال خِصال من الصَّبر والحِلْم

(1) كالقول إلا ما كان من ابني الخالة وأحيانا يوسف بن يعقوب! فلقد كان الأولى بحسب مقاييسهم أن يستثنى إبراهيم الخليل، أو موسى بن عمران!.

(2) ابن الأثير، أبو الحسن (ت 630 هـ): أسد الغابة 5/ 467 عن زينب بنت أبي رافع قالت رأيت فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أتت بابنيها إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في شكواه الذي توفي فيه فقالت: يا رسول الله هذان ابناك فورثهما! فقال: أما حسن فان له هيبتي وسؤددي واما حسين فان له جرأتي وجودي. أخرجه ابن منده وأبو نعيم، ونقله الشيخ الصدوق في الخصال ص 91.

والتكَرُّم والبذل والعَطاء والتفقُّد»[1] وقد علت منزلة السؤدد حتى فسر الصمدية به، فقيل: الصمد: هُوَ السَّيِّدُ الَّذِي انْتَهى فِي سُؤْدُدِهِ.

وقد يؤيد هذا ما جاء في مصادر مدرسة الخلفاء عن رسول الله «إن ابني هذا سيدٌ»[2].

فالحسن المجتبى بهذه الأحاديث؛ هو سيد المؤمنين وأهل الجنة[3]، وهو وارث سؤدد النبي وسيادته على قومه، وهو المنصب من قبل جده النبي سيّدا، وحين يكون كذلك فلا معنى لأن يكون تابعًا لغيره، كالذين اعترضوا ـ بادئ الرأي ـ على مصالحته، أو مهادنته معاوية. فضلًا عن مخاطبته من قبل بعض بما لا يناسب سؤدده وسيادته.

وقد وجدنا عوامل السؤدد من الصَّبر والحِلْم والتكَرُّم والبذل والعَطاء والتفقُّد بارزة وواضحة في سيرة الإمام الحسن الزكي عليه السلام. حتى لقد اعترف بصفاته تلك ألدُّ مناوئيه كمروان

(1) التوحيدي؛ أبو حيّان (ت 414 هـ): أخلاق الوزيرين 1/ 91.

(2) ابن حبان البستي؛ محمد (ت 354 هـ) صحيح ابن حبان ـ محققًا 15/ 419 «إنَّ ابْنِي هَذا سَيِّدٌ، وعَسى اللَّهُ أنْ يُصْلِحَ به بين فئتين من المسلمين». وقد مرَّ في صفحات سابقة شيء من المناقشة له من حيث السند والمتن.

(3) وقال كمال الدين بن طلحة في ألقاب الحسن عليه السلام: أشهرها الزكيّ، لكن أعلاها رتبة ما لقّبه به رسول الله صلى الله عليه وآله في قوله عنه وعن أخيه: أنّهما سيّدا شباب أهل الجنّة. فيكون السيّد أشرفها.

بن الحكم[1]، من صبره في مواجهته أعداءه وفي تربيته حلفاءه وأصحابه، ومن حلمه واعتصامه بالعقل في ردوده وابتعاده عن الانفعال والغضب، وأما في عطائه فقد سبق شيء من الذكر عند الحديث عن اختصاصه بلقب كريم أهل البيت عليهم السلام.

(1) ابن أبي الحديد؛ عبد الحميد (ت 565 هـ): شرح نهج البلاغة 16/ 51: لما مات الحسن وأخرجوا جنازته جاء مروان حتى دخل تحته فحمل سريره، فقال له الحسين عليه السلام: تحمل اليوم سريره وبالأمس كنت تجرعه الغيظ! قال مروان: كنت أفعل ذلك بمن يوازن حلمه الجبال.. هذا مع أننا نتحفظ على هذا الخبر فإن موقف مروان في ذلك اليوم كان أسوأ ما يمكن تصوره حيث قاوم محاولات دفن الإمام في بيت جده وأمه، وكان يريد إشعال حرب لأجل ذلك، فلا يناسب أن يأتي في نفس الوقت ليحمل سريره.

الأسرة الحسنية وأمجادها في الأمة

1/ أحفاد الإمام الحسن عليه السلام في وجه الطغيان

تتناول هذه الصفحات شيئًا من إسهامات ذرية الإمام الحسن المجتبى عليه السلام في الأمة الإسلامية من خلال زوايا متعددة؛ من بينها زاوية إعلان الثورة على الظالمين والشهادة في هذا الطريق، ومن زاوية إقامة بعض الدول والكيانات السياسية في أكثر من منطقة في العالم الإسلامي ومن جهة إسهامات الأسرة الحسنية في الجانب العلمي والفكري في مذهب أهل البيت.

في الجانب الأول:

سوف نجد أنه وبعد حركة الإمام الحسين عليه السلام وشهادته، ثم ثورة حفيده الشهيد زيد بن عليّ بن الحسين عليه السلام ضد الأمويين، كأن الراية الثورية انتقلت ولا سيما أيام العباسيين إلى أحفاد الإمام الحسن المجتبى عليه السلام. هذا بالرغم من أن الفرعين العلويين عادا ليجتمعا عندما تزوج الإمام علي بن الحسين زين العابدين ابنة عمه الإمام الحسن المجتبى لينجبا الإمام محمدًا الباقر عليه السلام

واخوته، ثم ليعود الأمر من جديد فيتزوج الحسن المثنى[1] بن الحسن المجتبى ابنة عمه فاطمة بنت الحسين عليه السلام، فيكون الإمام الحسن جدًّا للأئمة المعصومين كلهم من بعد علي السجاد من جهة الأم، مثلما سيكون الحسين عليه السلام جدًا لأحفاد الحسن من نسل ابنه الحسن المثنى.

الحسن المثنى الذي تزوج فاطمة بنت الحسين كان من جملة أنصار عمه في كربلاء، وهو أحد الأشخاص الذين استمر من خلالهم نسل الإمام الحسن وذريته.

أنجب الحسن المثنى عدة أبناء؛ كان من بينهم عبد الله الذي سيكون في واجهة المواجهة الساخنة مع العباسيين، وسينجب ثلاثة من الأبناء يعلنون الثورة المسلحة ضد المنصور العباسي ومن خلَفه؛ وهم محمد الذي عرف بالنفس الزكية وثار على المنصور في المدينة وإبراهيم الذي تحرك ضد الخليفة العباسي في البصرة وهزم جيش العباسيين حتى كاد يصل إلى الكوفة،

(1) الحسيني (ابن عنبة)؛ أحمد بن علي (ت 828 هـ) عمدة الطالب الصغرى في نسب آل أبي طالب، ص 49: وأعقب من ولده في رجلين، هما: زيد، والحسن المثنّى. وقد كان أعقب من ولديه الحسين الأثرم وعمرو أيضا، ولكنّهما انقرضا سريعا. وعقب زيد سبط واحد، وعقب الحسن المثنّى خمسة أسباط؛ أولاد الحسن المثنى أولاده من فاطمة بنت الإمام الحسين عليه السلام هم: عبد الله المحض، وإبراهيم الغمر، والحسن المثلث، وزينب، وأم كلثوم.

وادريس الذي سينجو من واقعة فخ فيما بعد ويوصل نفسه إلى المغرب ليقيم فيها دولة الأدارسة كما سيأتي الحديث عنه وعنها.

عبد الله بن الحسن[1] والد الثلاثة كان قد قدم ابنه محمدًا باعتباره صاحب البيعة، وربما باعتباره المهدي (لا سيما مع وجود روايات في مدرسة الخلفاء تشير إلى أن المهدي اسمه اسم النبي واسم أبيه اسم والد النبي وأنه من نسل الحسن)[2]. وهو «من أكابر بني هاشم وكان الجميع يكِنّ له الاحترام[3]، وكان أكبر سنًا من الإمام الصادق عليه السلام[4] ـ ومع ذلك كان يدعو الناس لبيعة ولده محمد، وهذا وما سبق من قبول دعوة أبي سلمة الخلال يكشفان عن روح ثوريّة أوّلًا، وسذاجة في الامور السياسية ثانيًا.

ولما قتل الوليد بن يزيد بن عبد الملك إثر خلاعته ومجانته

(1) سيأتي تقييم هذه الثورات وقادتها.

(2) الحديث الوحيد الذي يعتمد عليه القائلون بأن المهدي من ولد الحسن هو ما ورد في سنن أبي داود السجستاني (ت 275 هـ) سنن أبي داود 4/ 108. قالَ أَبُو داوُدَ: حُدِّثْتُ عَنْ هارُونَ بْنِ المُغِيرَةِ، قالَ: حَدَّثَنا عَمْرُو بْنُ أَبِي قَيْسٍ، عَنْ شُعَيْبِ بْنِ خالِدٍ، عَنْ أَبِي إسْحاقَ، قالَ: قالَ عَلِيٌّ، ونَظَرَ إلى ابْنِهِ الحَسَنِ، فَقالَ: «إنَّ ابْنِي هَذا سَيِّدٌ كَما سَمّاهُ النَّبِيُّ صلى الله عليه وآله وسلم، وسَيَخْرُجُ مِن صُلْبِهِ رَجُلٌ يُسَمّى بِاسْمِ نَبِيِّكُمْ، يُشْبِهُهُ فِي الخُلُقِ، ولا يُشْبِهُهُ فِي الخَلْقِ ـ ثُمَّ ذَكَرَ قِصَّةً ـ يَمْلَأُ الأَرْضَ عَدْلًا». وقد حكم عليه محدثو المدرسة تلك كالألباني وغيره بالضعف. على أنه منقول في مصادر أخرى أنه نظر إلى ابنه الحسين!.

(3) قد ذكر أبو الفرج الاصفهاني في مقاتل الطالبيين كثيرًا من أقوالهم في هذا الشأن.

(4) فإنه ولد في حوالي سنة 70 هـ بينما كانت ولادة الإمام الصادق عليه السلام في سنة 80 أو 83 هـ.

عام 126 هـ تهيّأت الظروف المناسبة للدعوة إلى بني هاشم، ففي هذا الظرف الهادئ جمع عبد الله بن الحسن، بني هاشم وألقى فيهم خطبة نقلها أبو الفرج الاَصفهاني في كتابه وقال: إنّكم أهل البيت قد فضّلكم الله بالرسالة واختاركم لها وأكثركم بركة يا ذرية محمد بن عبد الله بنو عمه وعترته، وأولى الناس بالفزع في أمر الله، من وضعه الله موضعكم من نبيّه صلى الله عليه وآله وسلم وقد ترون كتاب الله معطلًا، وسنّة نبيه متروكة، والباطل حيًا، والحقّ ميتًا، قاتلوا لله في الطلب لرضاه بما هو أهله قبل أن ينزع منكم اسمكم وتهونوا عليه كما هانت بنو إسرائيل وكانوا أحب خلقه إليه، وقد علمتهم أنّا لم نزل نسمع أنّ هؤلاء القوم إذا قتل بعضهم بعضًا خرج الاَمر من أيديهم، فقد قتلوا صاحبهم - يعني الوليد بن يزيد، فهلم نبايع محمدًا، فقد علمتم أنّه المهدي!.

فقالوا: لم يجتمع أصحابنا بعد، ولو اجتمعوا فعلنا، ولسنا نرى أبا عبد الله جعفر بن محمد.

وبعد محاولات حضر الإمام الصادق عليه السلام مجلس القوم فاطلع على أمر القوم وأنّهم يريدون بيعة محمد بن عبد الله، فقالوا: قد علمت ما صنع بنا بنو أُمية وقد رأينا أنّ نبايع لهذا الفتى.

فقال: لا تفعلوا فإنّ الاَمر لم يأت بعد، فغضب عبد اللّه

وقال: لقد علمت خلاف ما تقول، ولكنه يحملك على ذلك الحسد لابني، فقال: لا والله، ما ذاك يحملني، ولكن هذا وإخوته وأبناؤهم دونكم وضرب يده على ظهر أبي العباس (السفاح) ثم نهض واتبعه عبد الصمد وأبو جعفر المنصور فقالا: يا أبا عبد الله أتقول ذلك؟ قال: «نعم والله أقوله وأعلمه»[1].

وبينما بايع أبو العباس السفاح وأبو جعفر المنصور عن الفرع العباسي محمدًا بن عبد الله (النفس الزكية) فإنهما ما لبثا ـ ومعهم الفرع العباسي ـ أن قلبوا ظهر المجن، عندما سيطروا على الخلافة وأخذوا يتتبعون آثار محمد وإخوته للقبض عليهم، بعدما كانوا قد بايعوا محمدًا!!.

وللحديث عن سرقة جهود العلويين في الثورة على الأمويين من قبل العباسيين مقام غير هذا المقام قد نتعرض له[2]، ولكن النتيجة أن من كان رعية ومبايِعًا أصبح الآن خليفة وهو المنصور العباسي وقد ركز كل جهده للقبض على ابني عبد الله محمد وإبراهيم، وبينما اختفى هذان، فقد قام المنصور بالبطش بأسرتهما بدءا من والدهما عبد الله، وأقاربهما حتى حبسهما في

(1) السبحاني؛ الشيخ جعفر: بحوث في الملل والنحل 7/ 351ـ356.

(2) في الحديث عن سيرة الإمام جعفر الصادق عليه السلام.

المطبق (الهاشمية) وكان يعرضهم للعذاب وتتالى الموت فيهم من سنة 145 هـ إلى ما بعدها![1].

وكما ثار محمد بن عبد الله في المدينة فقد ثار أخوه إبراهيم في البصرة وسيطر عليها أول الأمر ثم ما لبث أن انكسرت ثورة أخيه في المدينة في مواجهة جيش المنصور العباسي، وإبراهيم بعد أن تقدمت أنصاره من البصرة باتجاه الكوفة، أصيب بسهم فأنهى ثورته وتشتت أنصاره.

وإذا كان أخوا إدريس (محمد وإبراهيم) قد ثارا في المشرق فقد تحرك أخوهما ادريس بن عبد الله بن الحسن المثنى في المغرب بعد أن نجا من واقعة فخ التي ثار فيها ابن عمه الحسين بن عليّ بن الحسن المثلث ضد الهادي العباسي، وبينما

(1) الأصفهاني، أبو الفرج (ت 356 هـ): مقاتل الطالبيين 142، توفي الحسن بن الحسن بن الحسن في محبس المنصور بالهاشمية وهو ابن ثمان وستين سنة. وإبراهيم بن الحسن بن الحسن وهو ابن سبع وستين سنة. وعلي بن الحسن بن الحسن وهو ابن خمس وأربعين سنة (وهو والد الحسين شهيد فخ)، حبسهم أبو جعفر في محبس ستين ليلة ما يدرون بالليل ولا بالنهار ولا يعرفون وقت الصلاة إلا بتسبيح علي بن الحسن. والعباس بن الحسن بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب وهو ابن خمس وثلاثين..
وقال ابن الأثير في الكامل 5/ 522: وكانوا عبد اللَّه بن الحسن بن الحسن بن عليّ، والحسن وإبراهيم ابني الحسن بن الحسن، وجعفر بن الحسن بن الحسن، وسليمان وعبد اللَّه ابني داود بن الحسن بن الحسن، ومحمّد وإسماعيل وإسحاق بني إبراهيم بن الحسن بن الحسن، وعبّاس بن الحسن بن الحسن بن عليّ، وموسى بن عبد اللَّه بن الحسن بن الحسن.

استشهد حسين فخ بصورة عاشورائية[1] كعمه الأكبر الإمام الحسين بن عليّ ﷺ، فقد نجا ادريس بن عبد الله ويمم وجهه جهة المغرب ليؤسس فيها دولة الأدارسة التي ستستمر نحو قرن ونصف من الزمان.

هل كانوا على منهاج الأئمة؟

لا يمكن لنا أن نعطي إشارة حمراء أو خضراء للثائرين من بني الحسن المجتبى ﷺ أو لأنصارهم، ولكن يمكن للنقاط التالية أن توضح الموقف بعد تجميعها:

1/ هناك تعاطف عام من قبل المعصومين ﷺ وشيعتهم بالتالي، تختلف درجاته فهو بالنسبة لثورة شهيد فخ كبير للغاية، ودون ذلك هو بالنسبة لثورة محمد بن عبد الله بن الحسن (النفس الزكية). أما أصل التعاطف فهو راجع إلى أنهم قد ظُلموا بشكل كبير، وكان هذا أحد أسباب ثورتهم على ظالميهم، وكان

(1) وقد ورد الثناء على الحسين شهيد فخ والذين كانوا معه، فإنه عند خروجه خاطبه الإمام موسى بن جعفر الكاظم ﷺ قائلًا «إنّك مقتول فأحدّ الضّراب، فإنّ القوم فسّاق، يظهرون إيمانًا، ويضمرون نفاقًا وشركًا، فإنّا لله، وإنا إليه راجعون، وعند الله أحتسبكم من عصبة» وأبن مصرعهم بقوله عندما أحضروا للحاكم العباسي موسى الهادي، وقيل للإمام الكاظم: هذا رأس الحسين؟، فقال: «نعم.، إنّا لله، وإنّا إليه راجعون، مضى ـ والله ـ مسلمًا، صالحًا، صوامًا، آمرًا بالمعروف، ناهيًا عن المنكر، ما كان في أهل بيته مثله». راجع: العلامة المجلسي: مرآة العقول في شرح أخبار آل الرسول 4/ 161.

ظالموهم ـ لا سيما المنصور العباسي وموسى الهادي ـ أقسى وأسوأ الخلفاء في مواجهة الثائرين، ومن الطبيعي هنا لو خير الإنسان بين التعاطف مع الظالم العاتي أو التعاطف مع المظلوم المتقي أن يختار الثاني.

2/ إن هذا التعاطف لم يكن يبلغ درجة أن يكون الإمام المعصوم جزءا من تلك الحركات الثورية أو أن يؤمن بكل ما تبشر به وتنطلق منه! بل كان ينبغي أن يكون العكس بمعنى أن تلك الحركات وقادتها كان ينبغي أن يكونوا جزء من حركة الإمام المعصوم وسياسته.

فإننا نلاحظ مثلًا أن عبد الله بن الحسن والد (الثائرين الثلاثة محمد وإبراهيم وإدريس) كان يبشر بكون ابنه محمد هو المهدي[1]، وسواء كان ذلك التبشير به عن اعتقاد أو عن عمل سياسي ودعائي يهدف إلى استقطاب الأنصار[2]، فإنه كان خطأ واضحًا في رؤية الأئمة عليهم السلام، حيث أنهم يعلمون بأن المهدي هو

(1) في المؤتمر الذي تمَّ عقده في الأبواء وأشرنا سابقًا إليه، نقل أبو الفرج الأصفهاني، في مقاتل الطالبيين ص 157 أنه: حمد الله عبد الله بن الحسن وأثنى عليه ثم قال: قد علمتم ان ابني هذا هو المهدي فهلموا فلنبايعه!.

(2) الأصفهاني: مقاتل الطالبيين ص 156 «لهجت العوام بمحمد بن عبد الله تسميه المهدي حتى كان يقال: محمد بن عبد الله المهدي».

من أبناء الحسين ﷺ دون الحسن، وأنه لم يأت زمانه بعد، وأنه ابن الحسن العسكري لا عبد الله بن الحسن، وأن فكرة (اسم أبيه كاسم أبي كما نقل عن الرسول في مصادر مدرسة الخلفاء) هي خاطئة، وربما يكون العباسيون قد أسهموا فيها أيضا[1].

وكان رفض مثل تلك التوجهات يتراوح بين الإصحار بها كما عن الإمام جعفر الصادق في موضوع حركة محمد النفس الزكية حتى تصور والده أن الإمام (يحسد!) ولده. بينما كان الإمام الصادق يخطّئ فكرة المهدوية، ويشير إلى أنه لا توجد دولة لبني الحسن في تلك الفترة، وأن الأمر صائر إلى بني العباس، وهذا ما حصل تماما.

وقد لا يكون الأمر بهذه الصورة وإنما يكتفي الإمام بعدم المشاركة مع العمل الثوري المعارض، ويكتفي منه الثائرون بهذا المقدار كما نقل في موقف الحسين بن عليّ شهيد فخ مع الإمام موسى بن جعفر الكاظم ﷺ عندما عرض عليه أثناء ثورته الاشتراك معهم، فلما اعتذر الإمام منه ولم يجبه، قبل منه الحسين ذلك ولم يضطره للقبول[2].

(1) ربما يكون في هذا الاتجاه اختيار المنصور العباسي واسمه عبد الله، اسم محمد لابنه وأنه لقبه بالمهدي، فصار بهذا النحو محمد بن عبد الله (المهدي)! حتى ينطبق الحديث المدعى «اسمه اسمي واسم أبيه اسم أبي»!.

(2) الاصفهاني415 «لما خرج الحسين بن علي المقتول بفخ واحتوى على المدينة، دعا موسى =

3/ في الطرف المقابل كانت هناك مواقف متشددة وربما متجنية تجاه الأئمة وشيعتهم، وأخرى متوازنة وكما نجدها في أنصار حركة أحفاد الإمام الحسن، نجد بعضها في شخصيات تلك الحركات وقادتها أيضًا، وقد يكون بعضها ناشئًا من أن هؤلاء اتخذوا المذهب الزيدي[1] في مقابل الإمامي الاثني عشري ومن المعلوم أن المذهب الزيدي تبلور من البداية على أساس أن من أهم صفات الإمام هي القيام بالسيف للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، كما أن الكثير من آرائه تقترب من مذاهب مدرسة الخلفاء ولا سيما المذهب الحنفي بنفس المقدار الذي تبتعد فيه عن الإمامية، سواء في الموضوع الفقهي أو العقدي. ونجد قسما من وجوه الخلاف عائدًا إلى هذا؛ مثل قضية النص على الإمامة التي لا يعتقدها بنو الحسن[2]، أو

= بن جعفر إلى البيعة، فأتاه فقال له: يا ابن عم لا تكلفني ما كلف ابن عمِّك عمَّك أبا عبد الله فيخرج مني ما لا أريد كما خرج من أبي عبد الله ما لم يكن يريد، فقال له الحسين: إنما عرضت عليك أمرًا فإن أردته دخلت فيه، وإن كرهته لم أحملك عليه والله المستعان، ثم ودعه، فقال له أبو الحسن موسى بن جعفر حين ودعه يا ابن عم إنك مقتول فأجد الضراب فإن القوم فساق يظهرون إيمانا ويسترون شركا وإنا لله وإنا إليه راجعون، أحتسبكم عند الله من عصبة، ثم خرج الحسين وكان من أمره ما كان، قتلوا كلهم كما قال ﷺ».

(1) استفاد السيد الخوئي من رواية عبد الله بن النجاشي (أبي بجير) 11/ 383 كما عن الكشي أن عبد الله بن الحسن كان مرجعًا للزيدية وكان يتصدى للفتيا.

(2) البروجردي؛ السيد حسين: جامع أحاديث الشيعة1/ 135 وفيه 41 ـ حدثنا محمد بن الحسين عن أحمد بن محمد ابن أبي نصر عن حماد بن عثمان عن علي بن سعيد قال كنت جالسا عند =

بعض علوم الأئمة الخاصة وهي ليست عندهم، فمن الطبيعي أن ينكروا وجودها ما دامت تشكل نقطة امتياز عند الأئمة، فضلًا عن عدد من المسائل الفقهية المختلف فيها[1].

وربما كانت المواقف عند بعضهم تجاه الأئمة ﷺ أكثر تشنجا من هذا المقدار، كما ذكرنا ذلك في موقف يحيى بن عبد الله بن

= أبي عبد الله ﷺ وعنده محمد بن عبد الله بن علي إلى جنبه جالسا وفي المجلس عبد الملك بن اعين ومحمد بن الطيار وشهاب بن عبد ربه فقال رجل من أصحابنا جعلت فداك ان عبد الله بن الحسن يقول لنا في هذا الأمر ما ليس لغيرنا فقال أبو عبد الله بعد كلام اما تعجبون من عبد الله يزعم أن أباه عليًّا لم يكن إمامًا ويقول إنه ليس عندنا علم وصدق والله ما عنده علم ولكن والله وأهوى بيده إلى صدره ان عندنا سلاح رسول الله ﷺ وسيفه ودرعه وعندنا والله مصحف فاطمة ما فيه آية من كتاب الله وانه لإملاء رسول الله وخطه علي بيده الحديث.

(1) الكليني: محمد بن يعقوب (ت 329 هـ): الكافي 2/ 185. الْحُسَيْنُ بْنُ مُحَمَّدٍ، عَنِ الْمُعَلَّى بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ، قَالَ: أَخْبَرَنِي سَمَاعَةُ بْنُ مِهْرَانَ، قَالَ: أَخْبَرَنِي الْكَلْبِيُّ النَّسَّابَةُ، قَالَ: دَخَلْتُ الْمَدِينَةَ ولَسْتُ أَعْرِفُ شَيْئًا مِنْ هذَا الْأَمْرِ، فَأَتَيْتُ الْمَسْجِدَ، فَإِذَا جَمَاعَةٌ مِنْ قُرَيْشٍ، فَقُلْتُ: أَخْبِرُونِي عَنْ عَالِمِ أَهْلِ هذَا الْبَيْتِ، فَقَالُوا: عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْحَسَنِ. فَأَتَيْتُ مَنْزِلَهُ، فَاسْتَأْذَنْتُ، فَخَرَجَ إِلَيَّ رَجُلٌ ظَنَنْتُ أَنَّهُ غُلَامٌ لَهُ، فَقُلْتُ لَهُ: اسْتَأْذِنْ لِي عَلَى مَوْلَاكَ، فَدَخَلَ، ثُمَّ خَرَجَ، فَقَالَ لِيَ: ادْخُلْ، فَدَخَلْتُ، فَإِذَا أَنَا بِشَيْخٍ مُعْتَكِفٍ شَدِيدِ الِاجْتِهَادِ، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ، فَقَالَ لِي: مَنْ أَنْتَ؟ فَقُلْتُ: أَنَا الْكَلْبِيُّ النَّسَّابَةُ، فَقَالَ: مَا حَاجَتُكَ؟ فَقُلْتُ: جِئْتُ أَسْأَلُكَ، فَقَالَ: أَمَرَتْ بِابْنِي مُحَمَّدٍ؟ قُلْتُ: بَدَأْتُ بِكَ، فَقَالَ: سَلْ، فَقُلْتُ: أَخْبِرْنِي عَنْ رَجُلٍ قَالَ لِامْرَأَتِهِ: أَنْتِ طَالِقٌ عَدَدَ نُجُومِ السَّمَاءِ، فَقَالَ: تَبِينُ بِرَأْسِ الْجَوْزَاءِ (يعني يصح طلاقها ثلاثا!)، والْبَاقِي وِزْرٌ عَلَيْهِ وعُقُوبَةٌ، فَقُلْتُ فِي نَفْسِي: وَاحِدَةٌ، فَقُلْتُ: مَا يَقُولُ الشَّيْخُ فِي الْمَسْحِ عَلَى الْخُفَّيْنِ؟ فَقَالَ: قَدْ مَسَحَ قَوْمٌ صَالِحُونَ، ونَحْنُ ـ أَهْلَ الْبَيْتِ ـ لا نمسح، فَقُلْتُ فِي نَفْسِي: ثِنْتَانِ، فَقُلْتُ: مَا تَقُولُ فِي أَكْلِ الْجِرِّيِّ؟ أَ حَلَالٌ هُوَ أَمْ حَرَامٌ؟ فَقَالَ: حَلَالٌ، إِلَّا أَنَّا ـ أَهْلَ الْبَيْتِ ـ نَعَافُهُ، فَقُلْتُ فِي نَفْسِي: ثَلَاثٌ، فَقُلْتُ: فَمَا تَقُولُ فِي شُرْبِ النَّبِيذِ؟ فَقَالَ: حَلَالٌ، إِلَّا أَنَّا ـ أَهْلَ الْبَيْتِ لا نشربه، فَقُمْتُ، فَخَرَجْتُ مِنْ عِنْدِهِ وأَنَا أَقُولُ: هذِهِ الْعِصَابَةُ تَكْذِبُ عَلَى أَهْلِ هذَا الْبَيْتِ... ثم يكمل الحديث كيف أنه دخل على الإمام جعفر الصادق فصحح له أخطاء أحكام عبد الله بن الحسن سالفة الذكر..

الحسن الذي أبداه ـ على فرض صحة الخبر ـ في رسالة منه للإمام موسى بن جعفر الكاظم عليه السلام [1].

4/ في موقف العلماء تجاه قادة الثورات من بني الإمام الحسن المجتبى عليه السلام وخصوصًا عبد الله بن الحسن المثنى والد محمد النفس الزكية يمكن أن نلحظ ثلاثة مواقف:

- الانتقاد الشديد له والذم لمواقفه بل والتضعيف له في الرواية.
- التماس العذر له واعتبار ما صدر منه من أقوال ومواقف كانت على سبيل التقية واعتبار أنه لم يكن قد خالف خط الإمامة.
- التوقف في الموضوع لوجود الروايات المختلفة والمتضاربة.

وممن ذهب إلى الموقف الأول المرحوم السيد الخوئي أعلى

(1) المصدر نفسه 2/ 236 وبِهذَا الإِسْنَادِ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ الْجَعْفَرِيِّ، قَالَ:كَتَبَ يَحْيَى بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْحَسَنِ إِلى مُوسَى بْنِ جَعْفَرٍ عليه السلام: أَمَّا بَعْدُ، فَإِنِّي أُوصِي نَفْسِي بِتَقْوَى اللَّهِ، وبِهَا أُوصِيكَ؛ فَإِنَّهَا وصِيَّةُ اللَّهِ فِي الْأَوَّلِينَ، ووصِيَّتُهُ فِي الْآخِرِينَ، خَبَّرَنِي مَنْ ورَدَ عَلَيَّ مِنْ أَعْوَانِ اللَّهِ عَلى دِينِهِ ونَشْرِ طَاعَتِهِ بِمَا كَانَ مِنْ تَحَنُّثِكَ مَعَ خِذْلَانِكَ، وقَدْ شَاوَرْتُ فِي الدَّعْوَةِ لِلرِّضَا مِنْ آلِ مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله وقَدِ احْتَجَبْتَهَا واحْتَجَبَهَا أَبُوكَ مِنْ قَبْلِكَ، وقَدِيمًا ادَّعَيْتُمْ مَا لَيْسَ لَكُمْ، وبَسَطْتُمْ آمَالَكُمْ إِلى مَا لَمْ يُعْطِكُمُ اللَّهُ، فَاسْتَهْوَيْتُمْ وأَضْلَلْتُمْ، وأَنَا مُحَذِّرُكَ مَا حَذَّرَكَ اللَّهُ مِنْ نَفْسِهِ. فَكَتَبَ إِلَيْهِ أَبُو الْحَسَنِ مُوسَى بْنُ جَعْفَرٍ عليه السلام: «مِنْ مُوسَى بْنِ عَبْدِ اللَّهِ جَعْفَرٍ وَعَلِيٍّ مُشْتَرِكَيْنِ فِي التَّذَلُّلِ لِلَّهِ وطَاعَتِهِ، إِلى يَحْيَى بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ حَسَنٍ: أَمَّا بَعْدُ، فَإِنِّي أُحَذِّرُكَ اللَّهَ ونَفْسِي، وأُعْلِمُكَ أَلِيمَ عَذَابِهِ وشَدِيدَ عِقَابِهِ وتَكَامُلَ نَقِمَاتِهِ، وَأُوصِيكَ ونَفْسِي بِتَقْوَى اللَّهِ؛ فَإِنَّهَا زَيْنُ الْكَلَامِ وتَثْبِيتُ النِّعَمِ، أَتَانِي كِتَابُكَ تَذْكُرُ فِيهِ أَنِّي مُدَّعٍ وأَبِي مِنْ قَبْلُ، ومَا سَمِعْتَ ذلِكَ مِنِّي و«سَتُكْتَبُ شَهادَتُهُمْ وَيُسْئَلُونَ»... وقد وصف العلامة المجلسي في مرآة العقول هذه الرواية بأنها ضعيفة.

الله مقامه، فإنه عند الحديث عنه في معجم الرجال قال: «إن الروايات قد كثرت في ذم عبد الله هذا» ونقل عدداً من الروايات الذامة له كما جاءت في بصائر الدرجات والكافي وقد نقلنا بعضها في هوامش الصفحات السابقة، وعلق على احداها بالقول: «هذه الرواية تدل على أن عبد الله بن الحسن كان قد نصب نفسه للإمامة وكان يفتي بغير ما أنزل الله، ويأتي في ترجمة عبد الله بن النجاشي (أبي بجير) عن الكشي أن عبد الله بن الحسن كان مرجعًا للزيدية، وكان يتصدى للفتيا».

ثم أشار إلى ما ذكره السيد ابن طاووس في توجيهه للخلاف بين الحسنيين وبين الإمام الصادق؛ مما سيأتي ذكره في بيان موقف العاذرين له والمؤيدين، ورفض هذا التوجيه قائلا: «أقول: هذه الرواية لو سلمت أنها منقولة عن الشيخ الطوسي بجميع طرق السيد ابن طاووس إليه التي بعضها صحيح، فلا إشكال في أنها من شواذ الروايات، ولا يمكن أن تقع معارضة للروايات المشهورة في ذم عبد الله بن الحسن، على أنه كيف يمكن رواية المفيد لهذه الرواية مع روايته عن عبد الله بن الحسن مكالمته لأبي عبد الله عليه السلام بما تقشعر منه الجلود، وقوله: هذا حديث مشهور لا تختلف العلماء بالآثار في صحته.

والمتحصل مما ذكرناه: أن عبد الله بن الحسن مجروح مذموم، ولا أقل من أنه لم يثبت وثاقته أو حسنه»[1].

ونرى شبيها لهذا الموقف عند المحقق التستري في كتابه قاموس الرجال حيث قال بعد أن عرض للروايات وأشار إلى موقف المامقاني وهو من المتوقفين في أمره: كلّما أمعنت النظر في أخبار المدح والقدح لم أهتد إلى وجه جمع.

علق عليه التستري بالقول: «بل أخبار القدح مستفيضة وأخبار المدح شاذّة ومن طرق الزيديّة؛ وقرّر القادحة القدماء، فرواها محمّد بن الحسن الصفّار ومحمّد بن يعقوب الكليني ونظراؤهما من الائمة ساكتين عن تأويلها، والتاريخ أيضًا يعضدها؛ ولم تنحصر الأخبار بما نقل، بل لو اريد الاستقصاء لطال الكلام.

وقد روي عنه امور منكرة فوق عدم استبصاره، ففي خبر: أنّه قال للصادق عليه السلام إنّ الحسين كان ينبغي له إذا عدل أن يجعلها في الأسنّ من ولد الحسن»[2].

- وفي الطرف الآخر فقد ذهب السيد ابن طاووس الحسني[3]

(1) الخوئي؛ أبو القاسم: معجم رجال الحديث 11 / 171.
(2) التستري، الشيخ محمد تقي: قاموس الرجال 6/ 316.
(3) سيأتي ذكره والتعريف به في فصل الأسر العلمية الحسنية.

إلى خلاف الرأي الأول تمامًا مشيرًا إلى صلاحه وحسن عقيدته وقبوله إمامة الصادق عليه السلام. ووجّه ما صدر منه في حقهم وبالعكس بالتقية وأن ذلك من أجل نفي العلاقة والارتباط بينهم حتى لا يتضرر الإمام الصادق ولا يؤخذ بجريرة بني الحسن الثائرين، من قبل السلطة العباسية.

فإنه بعد أن نقل بأسانيده تعزية الإمام جعفر الصادق عليه السلام لبني عمه من بني الحسن عما أصابهم من ظلم المنصور العباسي، والتي أظهر فيها من التوجع والتفجع الشيء الكثير، كما فيها من الأمر بالتصبر والتجلد مثل ذلك، واستشهد بالآيات والروايات الكثيرة في ذلك، فلما انتهى السيد ابن طاووس إلى خاتمة التعزية تلك قال: «وقد اشتملت هذه التعزية على وصف عبد الله بن الحسن بالعبد الصالح والدعاء عند جانبها له وابن عمه بالسعادة ودلائل الصفا الراجح، وهذا يدل على أن هذه الجماعة المحمولين كانوا عند مولانا الصادق عليه السلام معذورين وممدوحين ومظلومين وبحبه عارفين»[1].

ثم عرض إشارة للروايات الذامة، فحملها على التقية لئلا يتضرر الائمة الطاهرون بنهضة أولئك، فقال: «أقول: وقد يوجد

(1) ابن طاووس الحسني؛ سيد علي: اقبال الأعمال3/ 86.

في الكتب انهم كانوا للصادقين عليهم السلام مفارقين، وذلك محتمل للتقية لئلا ينسب اظهارهم لإنكار المنكر إلى الأئمة الطاهرين».

ثم نقل بعض الروايات التي تشير إلى تأسف الإمام الصادق وبكائه عليهم بعد خروجهم وفيها نقل شهادة عن الإمام الحسين عليه السلام لابنته فاطمة (أمهم الكبرى) بأنه يقتل منها أو يصاب نفر قرب الفرات لم يسبقهم الأولون بعمل.. ورأى أنها شهادة بمدحهم.

وأشار إلى أنهم لم يكونوا يعتقدون في محمد بن عبد الله (النفس الزكية) أنه محمد المهدي المنتظر، ناقلًا عن إبراهيم بن عبد الله أخيه أن محمدًا قد قام لله للأمر بالمعروف، وأما المهدي فهو عِدَة من الله لم يسم بعينه ولم يوقت زمانه»[1].

ويظهر من العلامة الأميني في الغدير الميل إلى هذا الرأي وذلك في رده على محمد رشيد رضا صاحب تفسير المنار الذي نسب إلى الشيعة تكفير بني الحسن والقول بردتهم، فقال صاحب الغدير: «أما عبد الله (المحض) ابن الحسن المثنى فقد عده شيخ الشيعة أبو جعفر الطوسي في رجاله من أصحاب الصادق عليه السلام، وزاد أبو داود الباقر عليه السلام، وقال جمال الدين المهنا في (العمدة) 87: كان يشبه رسول الله، وكان شيخ بني هاشم في زمانه، يتولى صدقات أمير المؤمنين بعد أبيه الحسن.

(1) المصدر نفسه 88.

والأحاديث في مدحه وذمه وإن تضاربت غير أن غاية نظر الشيعة فيها ما اختاره سيد الطائفة السيد ابن طاووس في إقباله ص 51 من صلاحه وحسن عقيدته وقبوله إمامة الصادق ﷺ، وذكر من أصل صحيح كتابًا للإمام الصادق وصف فيه عبد الله بالعبد الصالح ودعا له ولبني عمه بالأجر والسعادة، ثم قال: وهذا يدل على أن الجماعة المحمولين (يعني عبد الله وأصحابه الحسنيين) كانوا عند مولانا الصادق معذورين وممدوحين ومظلومين وبحقه عارفين، وقد يوجد في الكتب: إنهم كانوا للصادقين ﷺ مفارقين. وذلك محتمل للتقية لئلا ينسب إظهارهم لإنكار المنكر إلى الأئمة الطاهرين، ومما يدلك على أنهم كانوا عارفين بالحق وبه شاهدين ما رويناه..

(وقال بعد ذكر السند وإنهائه إلى الصادق): ثم بكى ﷺ حتى علا صوته وبكينا ثم قال: حدثني أبي عن فاطمة بنت الحسين عن أبيه قال: يقتل منك أو يصاب... أقول: وهذه شهادة صريحة من طرق صحيحة بمدح المأخوذين من بني الحسن عليه وعليهم السلام وأنهم مضوا إلى الله جل جلاله بشرف المقام، والظفر بالسعادة والإكرام.

ثم ذكر أحاديث تدل على حسن اعتقاد عبد الله بن الحسن ومن كان معه من الحسنيين فقال: أقول: فهل تراهم إلا عارفين بالهدى، وبالحق اليقين، ولله متقين؟!

فأنت عندئذ جد عليم بأن نسبة القول بردته وردة بقية الحسنيين إلى الشيعة بعيدة عن مستوى الصدق»[1].

وللسيد المقرم كلام يسير في هذا الاتجاه فقد ذكر في كتابه عن السيدة سكينة «إني لا أرى لأي أحد التوقف في حسن حال هؤلاء العلويين بعد ما يقرأ هذه الرسالة المباركة من الإمام جعفر الصادق عليه السلام إلى بني عمه.

ولم يسمح له التمسك بالعلم الصحيح إلا رفض كل ما جاء من الطعن في هذه الذوات وأمثالهم ممن لم يثبت بالطرق الصحيحة التمرد منهم على الشرع الأقدس»[2].

وكذلك فقد استفاد الشيخ محمد الساعدي في كتابه الحسنيون في التاريخ مما ذكره ابن طاووس في تصحيح اتجاههم والثناء عليهم فقال: «ولعل هذا القدر مما دلل به السيد ابن طاووس كافيًا لإشباع نهمة المتتبعين إلى معرفة مكانة شخصية عبد الله المحض (بن الحسن المثنى) من الإمام الصادق وما احتج به بعض المتأخرين من الذهاب إلى عكس هذا فليس له مجال من الصحة لأن أقل ما يقال عنه ضعف بعض رجال سندهم والجهل بحال بعضهم هذا وهي رواية واحدة والرواية لا تقوم دليلاً على

(1) الأميني؛ عبد الحسين: الغدير3/ 283.

(2) المقرّم، السيد عبد الرزاق: السيدة سكينة ابنة الإمام الشهيد أبي عبدالله الحسين عليه السلام/ 40.

دحض ما اقامه السيد من البراهين على صحة حالهم واستقامتهم على الموالاة للإمام الصادق عليه السلام»[1].

- والموقف الثالث وهو التوقف في الأمر من دون الحكم عليهم بأي من الموقفين لوجود روايات ذامة وهي التي استدل بها أصحاب الموقف الأول، وأخرى مادحة وهي التي ساقها السيد ابن طاووس واحتمال صحة توجيه روايات الذم، مما جعل الأمر يكون مشكلًا على مثل العلامة المامقاني بحيث انتهى إلى القول بأنه كلما أمعن النظر في الروايات الذامّة والمادحة لم يهتد إلى وجه صحيح للجمع[2].

الطرف الآخر من بني الحسن:

بينما كان أحفاد الإمام الحسن عليه السلام من ابنه الحسن المثنى وحفيده عبد الله المحض معارضين وثائرين على الحكم العباسي، كان الفرع الآخر من أبنائه وأحفاده على خلاف هؤلاء موالين للسلطة العباسية، ومتحالفين معها! وكان أشهرهم الحسن بن زيد بن الحسن السبط، فإنه «كان أمير المدينة من قِبَل المنصور

(1) الحسنيون في التاريخ / 45 مطبعة النجف: 1956 نسخة مصورة من الكتاب على الانترنت.

(2) المقامقاني؛ الشيخ عبد الله: تنقيح المقال في علم الرجال 2/ 177 (طبع المرتضوية) قال: «كلما أمعنت النظر في أخبار الطرفين المادحة والقادحة لم أهتد إلى ما يجمع بينهم فأنا في حق عبد الله هذا متوقف مرتاب وعليك بالفحص والبحث لعلك تقف على ما قصرت عنه».

الدوانيقي وعمل له على غير المدينة أيضًا وكان مظاهرًا لبني العباس على بني عمه الحسن المثنى وهو أول من لبس السواد (شعار العباسيين) من العلويين»[1] وقد التصق بالعباسيين مع أن المنصور قد غضب عليه وسجنه نحو ثلاث سنوات إلى أن توفي المنصور وهو في السجن فأطلقه المهدي العباسي وبقي مع المهدي إلى أن توفي الحسن هذا سنة 168 هـ.

وهذا يشير إلى أن ما ذهب إليه بعض العلماء من محاولة تنزيه أبناء وأحفاد الأئمة المعصومين، وحمل ما ورد في حقهم من الذم في روايات المعصومين، ونصوص التاريخ على التقية تارة، وعلى أنها من وضع العباسيين والأمويين[2] أخرى لا يكاد يلامس الواقع.

وذلك أنهم كأسرةٍ؛ حالهم حال سائر الأسر: فيهم من هو في أعلى درجات الصلاح وفيهم من هو في أسوأ الدركات وفيهم من هو ما بين هذين الحدين. وأن العصمة والمرتبة العليا في هذه

(1) الأمين، السيد محسن: أعيان الشيعة 5/ 75 عن عمدة الطالب، وفي تاريخ بغداد: «انه ولاه أبو جعفر المنصور المدينة خمس سنين ثم غضب عليه فعزله واستصفى كل شيء له وحبسه ببغداد فلم يزل محبوسا حتى مات المنصور وولي المهدي فأخرجه من محبسه ورد عليه كل شيء ذهب له ولم يزل معه». تولى المدينة سنة 150 وعزل عنها 155، وسجن أيام المنصور إلى سنة 158 هـ ويفترض انه أفرج عنه المهدي بعد ذلك، وبقي معه إلى أن توفي سنة 168 هـ في طريقه إلى المدينة.

(2) يذكر هذا عند البحث عادة عن جعفر بن الإمام الهادي (الملقب بالكذاب عند الأكثر والتواب عند الأقل).

الأسرة هي لأناس مخصوصين بأسمائهم. وقد يشير لهذا المعنى ما ورد في تفسير الآية المباركة ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ ﴾[1].

2/ الاسر العلمية الحسنية

إذا كان هناك اختلاف في الموقف من الثوار الحسنيين والحركات التي قادها أحفاد الإمام الحسن السبط كما تقدم، فإنه لا خلاف في أن الأسرة الحسنية قد رفدت العالم الإسلامي بعوائل علمية وقامات فكرية شامخة.

فمن تلك الأسرة كان آل طاووس الحسنيين:

واشتهر منهم كبيرهم السيد علي بن موسى بن جعفر بن طاووس[2] المتوفى سنة 664 للهجرة، ولأن الدعاء والتربية الروحية

(1) سورة فاطر:32.

(2) رضي الدين علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن أبي عبد الله محمد الطاووس بن اسحاق بن الحسن بن محمد بن سليمان بن داود بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن علي بن ابي طالب عليهم السلام. وقد يلقّب ب «ذي الحسبين»، لأنّ نسبه ينتهي إلى داود بن الحسن المثنّى بن الحسن عليهما السلام؛ وأمّ داود بن الحسن المثنّى هي أمّ كلثوم بنت عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب عليهم السّلام، وهي صاحبة الدعاء الذي علمها إياه الإمام جعفر الصادق عليه السلام لإطلاق سراح ولدها من سجون العباسيين، لتفصيل الدعاء والحادثة يراجع مفاتيح الجنان وكتب الأدعية.

للناس هي العامل الأكبر في حفظ الإيمان فقد اهتم اهتماما بالغا في التأليف والتصنيف في هذا الجانب، ولذلك قيل إنه له ما يقرب من خمسين مؤلفًا أغلبها في الدعاء والزيارات، منها: إقبال الأعمال، وكشف المحجة لثمرة المهجة، ومصباح الزائر، والملهوف على قتلى الطفوف، ومهج الدعوات ومنهج العبادات.

ونقل في أعيان الشيعة أنه ذهب إلى هولاكو، وكان قد وجه للعلماء سؤالًا هو: هل الكافر العادل خير أو المسلم الجائر؟ ثم جمع العلماء بالمستنصرية لذلك فلما وقفوا على الفتيا أحجموا عن الجواب، وكان رضي الدين علي بن طاووس حاضرًا هذا المجلس وكان مقدما محترما، فلما رأى إحجامهم تناول الفتيا ووضع خطه فيها بتفضيل العادل الكافر على المسلم الجائر، فوضع الناس خطوطهم بعده.

وكان من فوائد ذلك ما أشار إليه بقوله: ظفرت بالأمان والاحسان، وحقنت فيه دماؤنا، وحفظت فيه حرمنا وأطفالنا ونساؤنا، وسلم على أيدينا خلق كثير[1].

ولو لم يكن له من أثر غير تربيته للعلامة الحلي الحسن بن

(1) الأمين، السيد محسن: أعيان الشيعة 8/ 360.

يوسف بن المطهر لكفى بذلك خدمة للإسلام ومعارفه. ويلحظ الباحثون تأثير السيد ابن طاووس في مباني وأفكار تلميذه العلامة. ومن أهمها ما عرف بتربيع الأحاديث.

ومنهم كذلك السيد عبد الكريم بن طاووس (ت 693هـ) وهو من تلامذة السيد علي بن موسى بن جعفر بن طاووس وقد كان «فقيها، نسابة، نحويا، حافظا للأحاديث والاخبار، ذا ذهن وقاد، وحافظة قوية، ورأي ثاقب» وتولى نقابة الطالبيين في زمانه.

ومنهم أحمد بن موسى بن جعفر بن طاووس (ت673هـ).. وغيرهم.

ومن الأسرة الحسنية: الطباطبائيون

ولو تتبعنا أحد فروع هذه الأسرة وهو المنتمي إلى ابن طباطبا، وتعرف ذريته بالطباطبائيين[1]، لوجدنا مصداق هذا القول ماثلاً بين الأعين.

(1) الطباطبائي، محمد حسين: حياة ما بعد الموت: ص 16: قال العامري في موسوعة أنساب العشائر العراقية، العامري: 1 / 218 ـ 219.الطباطبائية: اسم لجماعة من الهاشميين الكرام ينتسبون إلى جدهم العالي (إبراهيم طباطبا) بن إسماعيل بن إبراهيم طباطبا بن إسماعيل بن إبراهيم الغمر بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن الإمام علي ابن أبي طالب عليه السلام سادة حسنيون هاشميون من أصول حجازية وعراقية فقط. من ذرية إبراهيم المذكور وقد تضمنت سلالته الزكية عددًا عظيمًا من العظماء والعلماء نوابغ الشعراء
وأكابر الأمراء ممن خدموا العلم والأدب وأقاموا شعائر الدين ودونوا لخلفهم تاريخًا مجيدًا وتراثًا علميًّا خالدًا وشرفًا تالدًا تعتز الأجيال به عبر الأجيال. وقد رزق الله إبراهيم طباطبا بركة في النسل وانتشارًففصدها في الأعقاب فامتدت فروعه الأصلية من الحرمين المحترمين المكي والمدني إلى ممالك الترك وبلاد الري وفارس وأذربيجان وبلاد الأفغان والهند وتخوم الشرق =

«ينتشر أبناء هذه السلالة الجليلة العظيمة في إيران والعراق وسائر الأقاليم الإسلامية. ويرجعون - كما قلنا - إلى إبراهيم بن إسماعيل الديباج الملقب بطباطبا[1]. ذكر علماء النسب أن هذا اللقب يرجع إلى لُكنةٍ كانت في لسانه، حيث سُئل في أحد الأعياد، وهو طفل: هل تريد قميصًا أو قباء؟ فقال: طباطبا، أي قبا، إذ لم يستطع أن يلفظ القاف»[2].

وهكذا فإن كل سيد طباطبائي هو حسني الجد، ومن خلال هذا اللقب سوف نشير إلى بعض الأسر والشخصيات (الطباطبائية) ومن خلال ذلك يمكن التعرف على دور هذه الاسرة في الأمة بالرغم من أن هؤلاء لا يشكلون سوى فرع واحد من فروع هذه الأسرة الطيبة وأغصانها.

ولمن أراد التتبع والتفصيل في شخصيات هذه الأسرة فعليه

= الأقصى إلى جانب المدن العراقية والسورية ومصر والمغرب الأقصى وبطن الجزيرة العربية والبلاد اليمانية. قد اعتزت بلقبها (طباطبا) اعتزازهم بجدهم الأعلى (إبراهيم طباطبا) وخاصة في اليمن حيث منهم أسرة ملكهم السابق (الإمام يحيى حميد الدين) التي حكمت ذلك القطر لعدة قرون.

(1) الأصفهاني: مقاتل الطالبيين ص 151: إسماعيل بن إبراهيم بن الحسن (المثلث) بن الحسن (المثنى) بن الحسن بن علي بن أبي طالب وهو الذي يقال له طباطبا وقيل إن ابنه إبراهيم طباطبا.

(2) الخراساني، محمد واعظ زاده: حياة الإمام البروجردي ص 26.

بمراجعة كتاب الذريعة للشيخ آقا بزرك الطهراني وأعيان الشيعة للسيد الأمين، بمفردة الطباطبائي ليجد العجب العجاب.

1/ السيد محمد مهدي بحر العلوم الطباطبائي (ت 1212 هـ)، ولعله ألمع اسم فيها قبل أقل من قرنين ونصف من الزمان، وقد ذكرنا شيئًا من حياته العلمية والأدبية ومرجعيته في كتابنا أعلام الإمامية[1] فمع عمره القصير (57) سنة إلا أنه ملأه بالمآثر، فقد جمع بين معارف المدرستين: الأصولية والأخبارية في دراسته في كربلاء على يد زعيميهما: الوحيد البهبهاني والشيخ البحراني، كما أحاط بفقه مذاهب مدرسة الخلفاء ودرّسها في مكة المكرمة، وفي أيام مرجعيته العامة وزع المهمات الأساسية من تدريس وقضاء وصلاة جماعة وما يرتبط بشؤون الناس على أهم تلامذته، وكان من القداسة والمنزلة بحيث عرف أنه يلتقي بالإمام صاحب العصر والزمان عجل الله فرجه، وقد ترك وراءه نحو 22 كتابًا في الفقه والأصول والرجال والعقائد والشعر والأدب.

واليوم فإن أسرة بحر العلوم هي من الأسر العلمية الكبيرة، ذات الانتاج الخصب في ميادين المعرفة الدينية.

(1) آل سيف؛ فوزي: من أعلام الإمامية 267.

2/ السيد علي الطباطبائي الشهير بصاحب رياض المسائل (ت 1231 هـ)؛ وقد ذكره السيد الأمين في الأعيان ـ وهو الخبير بهم وبه ـ فقال: «هو المحقق المؤسس الذي ملأ الدنيا ذكره وعم العالم فضله، تخرج عليه علماء اعلام وفقهاء عظام صاروا من أكابر المراجع في الإسلام كصاحب المقابيس وصاحب المطالع وصاحب مفتاح الكرامة وأمثالهم من الأجلة، وقد ذكروه في إجازاتهم ومؤلفاتهم ووصفوه بأجمل الصفات قال في المقابيس: ومنها الأستاذ الوحيد سيد المحققين وسند المدققين العلامة النحرير مالك مجامع الفضل بالتقرير والتحرير المتفرع من دوحة الرسالة والإمامة المترعرع في روضة الجلالة والكرامة الرافع للعلوم الدينية ارفع رأيه الجامع بين محاسن الدراية والرواية محيي شريعة أجداده المنتجبين مبين معاضل الدين المبين بأوضح البراهين وأوضح التبيين نادرة الزمان خلاصة الأفاضل الأعيان الحاوي شتات الفضائل والمفاخر الفائق بها على الأوائل والأواخر أول مشائخي وأساتيذي وسنادي وملاذي وعمادي السيد علي بن محمد علي الطباطبائي الحائري»[1].

(1) الأمين، السيد محسن أعيان الشيعة 8 / 314.

ولو لم يكن من حسناته وهي لا تعد، سوى ابنه السيد محمد المجاهد لكان ذلك كافيا.

3/ السيد محمد المجاهد بن السيد علي صاحب الرياض (ت 1242 هـ)، وهو الذي جمع المجدين في زعامة الدين وجهاد الكافرين، فإنه بعدما أخذ العلم على يد أقطاب عصره ومنهم والده صاحب الرياض «حتى جزم والده بأنه اعلم منه فصار لا يفتي وابنه في كربلاء فعلم ابنه بذلك فرحل إلى أصفهان وسكنها ثلاث عشرة سنة وهو المدرس فيها والمرجع في علمي الأصول والفقه لكل علمائنا وصنف فيها مفاتيح الأصول وغيره حتى توفي والده فرجع إلى كربلاء فكان المرجع العام»[1]، وعندما أخذت الدولة الروسية تتعدى على أطراف إيران واستولت على بعض مناطقها وكان الشاه القاجاري حينها متخاذلًا عن المقاومة نهض السيد محمد المجاهد مع جمع غفير من العلماء من كربلاء قاصدين إيران لإعلان الجهاد والتحشيد لمقاومة الروس، وتحريك الدولة القاجارية بهذا الاتجاه، فكان أن عرف بهذا اللقب الخالد: المجاهد.

(1) المصدر نفسه 9/ 443 نقلًا عن أمل الآمل.

4/ السيد محمد كاظم الطباطبائي اليزدي صاحب العروة الوثقى (ت 1337هـ) الذي آلت إليه المرجعية العامة بوفاة أستاذه الميرزا الشيرازي الكبير، وتخرج من تحت منبر درسه جمع غفير من المجتهدين أصبح بعضهم بعده مراجع للطائفة، وكان له مواقف خاصة في الموضوع السياسي لم يتبين لكثير من معاصريه في أول الأمر حكمتها ولكن ما أن مرت الأيام حتى تبين لهم فوائدها وبعد نظره فيها.

كتابه (العروة الوثقى) أصبح (قرآن الفقه) بحيث أن من جاء بعده من الفقهاء لكي يتبين اجتهاده وتعرف فقاهته لا بدَّ له من الاستدلال عليه والمناقشة فيه، وبيان رأيه الخاص إن كان يختلف مع السيد الطباطبائي اليزدي[1].

4/ السيد (آقا حسين) الطباطبائي القمي (ت 1366 هـ) بعدما ارسله أستاذه الميرزا محمد تقي الشيرازي إلى مشهد قام بمواجهة طغيان البهلوي الأول الذي حاول فرض الثقافة الغربية بالقوة ومنع الحجاب فكانت موقعة مسجد كوهر شاد، التي أدت إلى نفيه من مشهد إلى العراق حيث مكث في كربلاء ورجع إليه كثير من المؤمنين في أحكام دينهم، وكان

(1) لتفصيل سيرته وبيان شخصيته يراجع كتابنا: من أعلام الإمامية / 362.

العديد من الفقهاء من تلامذته، ومن أبنائه ممن صارت لهم مرجعية محدودة: السيد حسن الطباطبائي القمي، والسيد تقي الطباطبائي القمي.

5/ السيد حسين الطباطبائي البروجردي (ت 1380 هـ) مرجع الطائفة في زمانه، وهو تلميذ السيد اليزدي سابق الذكر، وقد آلت إليه المرجعية العظمى بعد وفاة السيد أبي الحسن الاصفهاني في النجف الأشرف ووفاة السيد حسين الطباطبائي القمي، وكان له أدوار مهمة على المستوى الإسلامي العام فقد كان من رواد التقريب بين المذاهب لإسقاط مؤامرات الأعداء في تشديد الصراع المذهبي والطائفي، كما كان له خطوات تجديدية مهمة للحوزة العلمية وتبليغ الإسلام على مستوى العالم، فضلًا عما كان عليه من نظريات حديثة لا سيما في علم الرجال والدراية[1]، وكان له مواجهات مع السلطة الشاهنشاهية التي كانت تعمل على تغريب المجتمع المسلم في إيران.

6/ السيد محسن الطباطبائي الحكيم (ت 1390 هـ) زعيم الطائفة ومرجعها في زمانه، وبشكل خاص بعد وفاة الميرزا النائيني

(1) يراجع كتاب المنهج الرجالي لسيد الطائفة البروجردي تأليف السيد محمد رضا الجلالي.

والسيد البروجردي المذكور آنفا، وهو استاذ أكثر الفقهاء المعاصرين ومنهم بعض مراجع الدين، من أبرز تأليفاته (مستمسك العروة الوثقى)، وله نشاطات سياسية مهمة حيث عاصرت مرجعيته بروز المد الشيوعي والقومي والبعثي وكان في مواجهة هذه التيارات بالنحو الذي يخدم الشريعة الإسلامية..

عزيزي القارئ: لا تقتصر بركات هذه الأسرة على الأسماء المذكورة، فما لم يذكر من أسماء العلماء والشخصيات أكثر بكثير مما ذكر، وإنما أوردنا هذه الأسماء كأمثلة على ما رمناه من الإشارة إلى عطاء الأسرة الحسنية المباركة، وكان هذا الفرع الطباطبائي أحد فروعها السامقة والمثمرة.

3/ الأسرة الحسنية حكومات ودول

ينبغي أن نشير هنا ونحن نستعرض هذه الحكومات التي تنتمي من حيث النسب إلى الإمام الحسن المجتبى عليه السلام أننا لا نتبنى ـ بالضرورة ـ الدفاع عنها أو تزكية أعمالها، فهذا يتطلب بحثًا من نوع آخر حتى نحكم فيه على أفعال تلك الحكومات وسياستها للدول التي حكمتها.

وإنما الغرض الأساس من ذلك بيان ما كان للأسرة الحسنية

من فعالية ودور في الأمة، ودعوة أصحاب الشأن من هذه الحكومات والحاكمين لأن يلتفتوا إلى انتسابهم لهذا الإمام العظيم وهو سر وجودهم في هذه الحياة، وهذا يكلفهم أن يقوموا بدور في إحياء ذكره وعلومه وآثاره

بهذا المعنى يصح لنا أن نخاطبهم بالقول: كم من الجامعات سميت باسم جدكم سبط رسول الله؟ وكم من الكتب والدراسات طبعتم للتعريف بحياته وسيرته؟.

فإذا كان حق الإمام الحسن على عامة الناس واحدًا فإنه على أحفاده اثنان! لاسيما إذا كانوا من أهل النفوذ والقدرة.

سيحق لنا أن نتقدم خطوة إلى الإمام لنقول لهم: لماذا تركتم منهج جدكم الحسن المجتبى؟ وعرجتم على مناهج أخرى عقدية أو فقهية أو صوفية؟ أيصح أن يكون الشخص حسنيًا ثم يخالف طريقة جده في صلاته وحجه وعقيدته ومعارفه؟.

بل سنقول أيضًا أن من مسؤولية المرجعيات الدينية السائرة على منهاج الحسنين وأهل البيت ان تسعى لاسترجاع تلك الفئات المنتسبة للإمام الحسن بالقرابة ولكنها تختلف معه في المنهج.

1/ دولة الأدراسة: لعل أول الدول التي تأسست على يد أحفاد الإمام الحسن عليه السلام كانت دولة الأدارسة في بلاد المغرب العربي، وتسمى بذلك نسبة إلى إدريس بن عبد الله بن الحسن المثنى بن الحسن السبط، وهو من الناجين من واقعة فخ، ومع شدة الطلب من قبل العباسيين له، تمكن من أن يهرب ويفر بواسطة عامل البريد الذي كان يتشيع لأهل البيت عليهم السلام واستطاع أن يهربه حتى وصل إلى بلاد المغرب.

وحين التفت حوله قبائل البربر وغيرها وأحاطوا به لأنهم وجدوا فيه رائحة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فتأسست هناك بداية دولته، حتى أصيب بوعكة صحية فقام هارون العباسي بالتآمر مع طبيب خائن وأرسله إليه من دون علم ادريس ومن يحميه، ففصده بريشة مسمومة وقضى عليه، وبالرغم من ذلك بقيت هذه الدولة من سنة 172 للهجرة إلى 375 هـ أي أنها استمرت نحو قرنين من الزمان.

ومن العجيب ان نهاية دولة الأدارسة مهدت لانتشار ذرية الحسنيين من نسل ادريس في أماكن كثيرة من العالم الإسلامي؛ كالجزائر وليبيا ووصلوا إلى اليمن ومكة المكرمة والحجاز.

فوجدنا منهم الشهيد السيد عبد القادر الجزائري قائد المقاومة الجزائرية ضد الاستعمار الفرنسي الذي توفي سنة 1300 هـ، بعد

صراع طويل[1] معهم يصرح بنسبه لإدريس بن عبد الله بن الحسن في بعض ما كتب.

ولم ينته أحفاد الحسن المجتبى في تلك المنطقة بل برزوا من جديد ضمن إطار الحركة السنوسية الصوفية، التي أسسها محمد بن عليّ السنوسي (ت 1257 هـ) وكان يدعم الأمير عبد القادر الجزائري بالمقاتلين والمال، وهو بنفسه كان يقاوم النفوذ الفرنسي في بلاد المغرب العربي، وفيما بعد قاوم الاستعمار الايطالي، ويرجع نسبه إلى الأدارسة وله نحو أربعين كتابًا

(1) لعل ما نقله عنه (رئيس وزراء بريطانيا الأسبق ويليام كلادستون) يحكي جانبًا من شخصيته، فقد قال عنه: «حاولت بكل ما أملك أن أقنع الأمير السيد عبد القادر الجزائري بمنصب إمبراطور العرب لكي نوظفه ونستغله

ضد العثمانيين، وبالرغم من العداء الشديد الذي كان بينه وبين الأتراك فإنني لم أفلح بالرغم من كل الإغراءات والوعود والمزايا التي وضعتها فوق الطاولة للأمير بما فيها استقلال الجزائر وخروج المحتل الفرنسي من الجزائر، لكنه كان يرفض ذلك جملة وتفصيلًا ومن دون نقاش. حتى دخلني اليأس أن العرب لا يمكن توظيفهم واستغلالهم واستعمالهم، ولكن آخر كلمة أثرت في مسامعي وبقيت تدوي في عقلي وأخبرني أن أنقلها إلى الفرنسيين، أن الجزائر ستتحرر وتنال استقلالها من دون معروف وبركة طرف أجنبي ولن تجد جزائري بعدي ولا قبلي سيقبل أن يكون خادم عندكم أو وكيل لمخططاتكم وسيكون استقلال الجزائر العائق الذي لا تطيقونه لعقود من الزمن ومن أرضنا ستتعثر مشاريعكم. فلست بحاجة لأن أكون ملك أو إمبراطور أو سلطان، فما يهمني بالدرجة الأولى هو أن أواجه المحتل الفرنسي وتغلغلكم في البلاد الإسلامية وفي نفس الوقت الخلافة الفاسدة التي تستعمل الدين لتحقيق أطماعهم الشخصية الفاسدة». نقلًا عن مقال في ويكيبيديا عن الأمير عبد القادر، ونقل النص هذا عن ويلفريد بلنت (1882). مستقبل الإسلام (باللغة الإنجليزية).

ورسالة منها، «الدرر السنية في أخبار السلالة الإدريسية»، ونفس الكلام يأتي عن أحمد الشريف السنوسي (ت 1352هـ)، ودور السنوسيين في مقاومة الاستعمار الفرنسي والإيطالي والبريطاني ظاهر وواضح في بلاد المغرب العربي، ونشرهم لتعاليم الإسلام وتعليم القرآن كذلك.. يستطيع الباحث أن يراه عند مطالعة تاريخ تلك الفترة.

وقد حكمت الأسرة السنوسية الحسنية بلاد ليبيا حوالي 80 سنة إلى أن أطاح بهم معمر القذافي.

وفي المغرب فإن الأسرة الحاكمة هي من نسل الإمام الحسن المجتبى عليه السلام.

من أقصى الغرب لأقصى الشرق والجنوب

لم يقتصر انتشار الأسرة الحسنية على غرب العالم الإسلامي بل كان لها حضور فاعل في مشرقه وجنوبه، وفي قلب الجزيرة العربية؛ فقد أقاموا في الحجاز حاكمين في فترات تاريخية فقد كانت إدارة مكة المكرمة وتسيير أمورها بيد الأشراف الحسنيين حوالي ألف سنة من عام 967 م إلى عام 1925م. وإن كانت هذه السنوات ليست على مستوى واحد من السيطرة ولا الجودة.

ولا تزال إلى الآن الأوقاف والآثار شاهدة لهم كأشراف على أعمال الخير التي قاموا بها ولا تزال مستمرة. وقد بدأ الأشراف[1] في حكم مكة بجعفر بن محمد بن الحسن بعد سقوط الأخشيديين سنة 357 هـ، وتزامن مع قيام الدولة الفاطمية واستمروا في إدارتها، ومع تغير السلالات الحاكمة للعالم الإسلامي من فاطميين وأيوبيين ومماليك وأتراك إلا أن الأشراف من نسل الإمام الحسن كانوا في مكة المكرمة بشكل خاص وربما توسعوا في نواحي أخرى منه..

ومع خروجهم من الحجاز توزعوا من جديد ليحكموا العراق لبعض الوقت والأردن إلى أيامنا الحاضرة.

كما أن الدولة الأخيضرية التي قامت في اليمامة وسط نجد واستمرت نحو قرنين من الزمان ينتسب أمراؤها للإمام الحسن المجتبى عليه السلام.

وشهدت اليمن دولة بني طباطبا الرسية التي استمرت قرونا طويلة إلى العصر الحديث حينما أسقطها الجمهوريون، في منتصف القرن الماضي، وقد تعاقب عليها في الحكم نحو (64) حاكمًا (إمامًا) من نسل الإمام الحسن المجتبى عليه السلام.

(1) للاطلاع التفصيلي على ماضي الأشراف وحاضرهم يراجع حلقة: كانوا ملوكا: أشراف الحجاز https://www.youtube.com/watch?v=8b38gQZ7YpQ

وأقام الحسن بن زيد الحسني دولة في طبرستان والديلم (جنوب بحر قزوين) بإيران واستمرت نحو سبعين سنة 250 ـ 316.

فالمغرب العربي: المغرب والجزائر وتونس وليبيا، والحجاز (مكة والطائف) ووسط الجزيرة (اليمامة) واليمن، والشرق العربي: العراق، والأردن، وفارس (الديلم وطبرستان).. كلها شهدت دولاً وحكومات تنتمي بالنسب إلى الإمام الحسن السبط عليه السلام.

والعجب

أن المنصور العباسي الذي حاول أن يقضي بشكل تام على آل الحسن، بالقتال في الميدان العسكري والتصفيات الجسدية في السجون، واستعمال السم، وكان بيده كل أسباب القوة، قد انتهى وانتهت أسرته حتى قيل إنه لا يوجد سوى أسرتين تنتميان لبني العباس في العراق!.

وفي المقابل فقد كانت بقية السيف، وثمالة السجون التي بقيت من نسل الحسن المجتبى قد ملأت الدنيا مراجع عظام وعلماء كبار، وحكام دول، وثوارًا في وجه الطغيان!.

يبقى أن نعيد التأكيد مرة بعد أخرى على هذه الحكومات والسادة الاشراف تذكر جدهم الإمام المجتبى سيد شباب أهل

الجنة، فإن شرفهم منه مشتق، ومنزلتهم بين الناس من خلال انتسابهم إليه، فينبغي أن يتحملوا مسؤوليتهم في التعريف به صلوات الله عليه، وأن يجددوا انتماءهم إليه من انتهاجهم منهجه العقدي والفقهي.

إن من العجيب جدًا أن تكون حسني النسب ولكن أموي المنهج والانتماء! وأن يكون توحيد الإمام علي وفقه الحسن وتفسير الحسين و، و.. غريبًا في هذه الأسر والعوائل!.

هي دعوة لهم حتى يعيدوا النظر لكي يرجعوا إلى نهج الحسنين (الإمام الحسن والإمام الحسين)، فالإمام الحسين عليه السلام هو جد الحسنيين من جهة أمهم كما أن الحسن جد الحسينيين من جهة أمهم أيضًا، لذلك ينبغي أن يتحركوا باهتمام في احياء سيرة الإمام الحسن المجتبى عليه السلام وشخصيته وعلمه، لا سيما من لديهم قدرة مالية ووجاهة شخصية واجتماعية وسياسية.

سيرة الحسن الزكي
وتشويه المستشرقين

تعرض الإمام الحسن المجتبى عليه السلام لحملة ظالمة وتشويه مركز حول شخصيته وذاته فضلاً عن سيرته وأعماله من قبل عدد من المستشرقين الذين كتبوا في السيرة والتاريخ.

ولولا أن تلامذتهم والراضعين أثداء أفكارهم، قاموا بتكرار أقوالهم بأسلوب أو بآخر وتم بث تلك الأقوال والأفكار وكأنها قرآن لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، لما كانت حاجة إلى تسليط الضوء على منبعها الأصلي وهو أقوال هؤلاء المستشرقين. وسنعرض لها في شكل نقاط:

1/ إننا لا نستغرب أن يتخذ المستشرقون هذا الموقف، حتى لو حسنت نيات بعضهم ـ وقليل ما هم ـ لأننا نعتقد أن هناك فواصل كبيرة تفصل أولئك عن إدراك البيئة الإسلامية وعقائدها وبالتالي سلوك المؤمنين فيها، مهما استخدموا مناهج متقدمة لديهم. فهم في أصل الدين وهو القرآن لم

يستطيعوا أن يهضموا أنه كلام الله والوحي الذي جاء به الأمين جبرئيل إلى نبيه، فطفقوا يشرقون ويغربون وينجدون ويتهمون لصياغة نظريات كلها تنتهي إلى تأكيد أنه صناعة بشرية، وأن محمدًا ـ وهو التعبير الذي يصر عليه بعضهم ـ جمع ذلك من كتب العهدين! أو كانت تعتريه حالات غير طبيعية من الصرع أو كان يأخذها من غلام رومي أو من ورقة بن نوفل أو غير ذلك[1].

فالذي لا يستطيع أن يهضم في عقليته مسألة الوحي، هل نتوقع منه شيئًا معقولًا في سيرة النبي ﷺ؟ هذا إذا تجرد عن عصبياته الدينية اليهودية أو المسيحية! فكيف إذا اجتمعت هذه العصبيات مع عدم القدرة على تعقل ذلك الأساس في الدين! الذي ينتهي إلى أن النبي المصطفى لم يكن رسولًا من الله حقيقة!.

وإذا لم نتوقع أن ينتج هؤلاء شيئًا في هذا المستوى بالنسبة لرسول الله وهو سيد الخلائق! هل سنتوقع منهم كلامًا معقولًا في شأن علي أمير المؤمنين عليه السلام أو فاطمة أو الحسنين؟.

إن هؤلاء وهم يعيشون الحالة المادية، ونوازع الشهوات

(1) قد تعرضنا إلى أدوار المستشرقين في التشكيك بالقرآن بمختلف الاساليب في كتابنا معارف قرآنية، فليراجع من أراد التفصيل.

سيتصورون أن أزكياء البشر ونخبة الباري لهداية الإنسان، تحركهم شهواتهم ونوازع أنفسهم كما يرون ذلك واضحا في ذواتهم ـ أي المستشرقين ـ فلماذا يحللون حركاتهم وأعمالهم خارج هذا الإطار، من الهداية الربانية تارة أو العصمة المطلقة أخرى!.

لا نتوقع منهم غير هذا، ولو جاؤوا بغيره ـ كما فعل بعضهم القليل جدًا ـ فإنه عادة ما يكون في طريقه إلى الايمان بالدين الإسلامي وعندها لا يكون مستشرقًا ينظر إلى الدين وشخصياته من الخارج بل يكون من أهل الدار والذين تبوأوا الإيمان.

2/ إن قسمًا من هؤلاء المستشرقين لم يكتفوا في تحليل الصراع بين الأئمة والحاكمين، بأخذ جانب الحاكم والسلطة الرسمية تبعًا لما تمليه عليهم ثقافتهم التي تقدس الدولة والنظام القائم، وإنجازات الحاكم في الاقتصاد والسياسة والأرقام بغض النظر عن كيفية وصول هذا الشخص إلى السلطة، بينما في المجتمع الإسلامي يولي الدين الأهمية الكبرى لقضية الولاية، والإمامة فقد يكون شخص حسن الفعل على الأرض لكنه غاصب للمنصب فيكون مبغوضًا من أهل السماء!.

وقد أغرق بعضهم نزعًا فانحاز إلى الحاكمين وصار ملكيًا أكثر

من الملوك أولئك، وكأنه يود لو كان له سيف ليقاتل إلى جانبهم ضد من خالفهم! فتبنى منطقهم وردد كلماتهم، وتجلى هذا عند بعضهم فيما يرتبط بالحديث عن الإمام الحسن المجتبى عليه السلام، فإنك وأنت تقرأ كلمات بعضهم تتصور نفسك تسمع خطاب المنصور العباسي مهاجمًا أحفاد الإمام الحسن بنفس العبارات والكلمات! فهل أنت تعيش في القرن الخامس عشر أو أنك تعيش في منتصف القرن الثاني؟ حوالي سنة 145 هـ تسمع خطاب المنصور[1] في أهل الهاشمية؟.

3/ قد نقل غير واحد من الباحثين الشيعة [2] كلمات بعض المستشرقين وردوا عليها تفصيلًا أو اجمالا، ونحن ننقل عنهم

(1) المسعودي: مروج الذهب ومعادن الجوهر3/ 300: ولما أخذ المنصورُ عبدَ الله بن الحسن وإخوته والنفر الذين كانوا معه من أهل بيته صعد المنبر بالهاشمية، فحمد الله وأثنى عليه، وصلى على محمد صلى الله عليه وسلم، ثم قال: يا أهل خراسان، أنتم شيعتنا وأنصارنا، وأهل دعوتنا، ولو بايعتم غيرنا، لم تبايعوا خيرًا منا، إن ولد ابن أبي طالب تركناهم والذي لا إله إلا هو والخلافة فلم نعرض لهم لا بقليل ولا بكثير. فقام فيها علي بن أبي طالب عنه فما أفلح، وحكم الحكمين، فاختلفت عليه الأمة، وافترقت الكلمة، ثم وثب عليه شيعته وأنصاره وثقاته فقتلوه، ثم قام بعده الحسن بن علي عنه فوالله ما كان برجل، عُرِضت عليه الأموال فقبلها، ودسَّ إليه معاوية إني أجعلك وليّ عهدي، فخلعه وانسلخ له مما كان فيه، وسلمه إليه، وأقبل على النساء يتزوج اليوم واحدة ويطلق غدًا أخرى، فلم يزل كذلك حتى مات على فراشه.

(2) نقل بعض كلماتهم المرحوم العلامة هاشم معروف الحسني في كتابه سيرة الأئمة الاثني عشر والمرحوم العلامة باقر القرشي في كتابه حياة الإمام الحسن، وغيرهما. وننقل هذه العبارات من كتاب الإمام الحسن للبدري من ص 47 وما بعدها.

ما ذكروه من كلمات أولئك المستشرقين لكي يتبين للقارئ العزيز أن مجرد الكتابة بالانكليزية أو الفرنسية أو الالمانية لا يعني أنها علمية ولا أنها غير منحازة، وأن تقديم لقب (دكتور) لشخص لا يعني سلامة كلامه من الخطل الفكري بل تعمد قلب الحقائق، فإن بعض هذه الكلمات تخالف ما يشبه البديهيات والمسلمات في التاريخ، والتي يعرفها كل من نظر فيه!.

وسننقل ما ذكره العلامة المعاصر السيد سامي البدري حيث أفرد لها فصلًا خاصًا في كتابه الإمام الحسن في وجه الانشقاق الأموي، ورد على تلك الكلمات بما يناسبها.

تُرّهات لامنس: قال هذا الراهب اليسوعي المتعصب[1] في ترجمة الإمام الحسن الزكي عليه السلام «الحسن أكبر أبناء علي من فاطمة بنت رسول الله... ويلوح أن الصفات الجوهرية التي كان يتصف بها الحسن هي الميل إلى الشهوات والإفتقار إلى النشاط والذكاء. ولم يكن الحسن على وفاق مع أبيه وإخوته عندما ماتت فاطمة ولما تجاوز الشباب، وقد أنفق خير سني شبابه في الزواج

(1) نقل البدري في كتابه الإمام الحسن / 47 قول عبد الرحمن بدوي في حقه وهو أعرف به، في موسوعته عن المستشرقين، لامنس: مستشرق بلجيكي، وراهب يسوعي شديد التعصب ضد الإسلام، يفتقر افتقارًا تامًا إلى النزاهة في البحث والأمانة في نقل النصوص وفهمها. ويعد نموذجًا سيئًا جدًا للباحثين في الإسلام من بين المستشرقين..

والطلاق، فأحصي له حوالي المائة زيجة عدًّا. وأَلصقت به هذه الأخلاق السائبة لقب المِطلاق، وأوقعت عليًّا في خصومات عنيفة. واثبت الحسن كذلك انه مبذر كثير السرف فقد اختص كلاّ من زوجاته بمسكن ذي خدم وحشم. وهكذا نرى كيف كان يبعثر المال أيام خلافة عليّ التي اشتد عليها الفقر. وشهد يوم صفين دون ان تكون له فيها مشاركة إيجابية. ثم هو إلى ذلك لم يهتم أي اهتمام بالشؤون العامة في حياة أبيه».

وكنت أريد أن أناقش كلامه فرأيت أن كل سطر فيه من المخاريق ما يحتاج إلى رد، فلا يوجد فيها نقطة تسلم من النقاش وهو أمر يطول! لكن من يقرأ ما سبق من الصفحات سيجد هو بنفسه الرد والجواب عليه لكنه أذكرني قول ذلك العالم الذي توارد عليه الجهلة يسألونه أسئلة سخيفة المعنى فقال: من أين حشرت البهائم عليَّ؟.

وكرر (جرهارد كونسلمان) في كتابه (سطوع نجم الشيعة) كلمات لامنس بقوله: لقد باع (الحسن) المنصب الذي تركه محمد ﷺ لنسله من اجل المال... ويقال انه مات بالسل[1] والهزال.

(1) أين قيل هذا؟ لم يوجد في أي مصدر من مصادر التاريخ! بل هو كذب محض.

وقد حاولت شيعة علي في القرون اللاحقة تجميل صورة هذا الزعيم الضعيف التعس، فقد اجتهدت في جعل الحسن ضمن شهداء المذهب الشيعي، فنشأت لذلك رواية تقول ان الحسن قتل بتدبير معاوية[1]... ولكن من المستبعد ان يكون معاوية ضالعًا في موت الحسن، فمثل هذه الجريمة غير الضرورية لن يقدم بها الخليفة أدرك تمامًا أين الرجل المهم وأين الرجل الذي صار في الظل)

4/ إننا عندما ننظر إلى هذه الكلمات البعيدة عن منطق التحقيق، والمخالفة للحوادث التاريخية، والنابعة غالبًا من الموقف السلبي تجاه النبي ودينه، والرسول وعترته، وهي (شنشنة نعرفها من أخزم) نجدها لا تختلف إلا في الحجم والضخامة عن كلمات المنصور العباسي في خطابه في الهاشمية أو تلك التي أرسلها لحفيد الإمام الحسن، محمد بن عبد الله المعروف بالنفس الزكية والذي كان يخوض معه صراعًا وجوديا، فاستخدم كل ما يملك للقضاء على شخصه

(1) قد نقلنا في موضوع سابق أكثر من 8 مصادر مشهورة، وتركنا عشرات مما ألفه علماء مدرسة الخلفاء ولم نستشهد بكتب الشيعة لهذا الغرض حتى لا يأتي مثل هذا (!) ليقول حاولت الشيعة برواياتها. فراجع ما ذكرناه عن الطبقات الكبرى لابن سعد وأنساب الأشراف للبلاذري، ومقاتل الطالبيين للأصفهاني، والبدء والتاريخ للمقدسي والاستيعاب لابن عبد البر، وشرح النهج لابن أبي الحديد، ومرآة الزمان لسبط بن الجوزي وتهذيب الكمال للمزي، وكلها مصادر لا ترتبط بالإمامية.

وشخصيته، ولم يكتف به كفرد وإنما عدا على والده وأعمامه وأهل بيته فسجنهم حتى ماتوا كما ذكرنا ذلك في موضوع آخر! ولم يكتف بالتعدي على شخصية النفس الزكية بل تسلق أخزاه الله ليتعدى على أمير المؤمنين علي عليه السلام، والحسن بن عليّ عليه السلام جد (النفس الزكية)، والحسين بن عليّ عليه السلام، كل ذلك من أجل التحكم والتسلط.

فأعاد هؤلاء المستشرقون صياغة تلك الكلمات الناشئة من عداوة صارخة وزادوا عليها من عندهم بعض البهارات، فأنتجت هذه الطبخة الضارة.

5/ وهنا عندما نكون ـ كمسلمين لا كشيعة فقط ـ بالخيار بين أن نأخذ ما قاله رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وعلي أمير المؤمنين عليه السلام عن الإمام الحسن المجتبى، وبين ما قاله ذلك الحاكم الطاغية، أو المستشرقون الغرباء المجانبون للإسلام والمعادون له، عن الإمام لن يتوقف مسلم ـ إن كان مسلمًا حقيقة ـ أن يأخذ بما قاله الرسول العظيم ووصيه الكريم. وقد مرَّ علينا في صفحات سابقة بعض ما قاله رسول الله في حق الحسن وأخيه وأنهما سيدا شباب أهل الجنة وأنهما إمامان قاما أو قعدا وأنهما ريحانتاه من الدنيا، وأن الحسن خصوصًا سيد المسلمين، وأنه قد منحه النبي سؤدده وهيبته.

وهكذا كلام أمير المؤمنين عليه السلام في حقه واعتباره علم الحسن كعلم علي عليه السلام من خلال تحويله السائلين على الحسن، بل قوله المشهور فيه «وجدتك أي بني بعضي بل وجدتك كلي»[1] هو فصل الخطاب في منزلة الإمام الحسن من أبيه وما هو عليه من الخصائص في الواقع.

(1) الأندلسي؛ ابن عبد ربه (ت 328): العقد الفريد 3/ 100، والشريف الرضي (ت 406 هـ): نهج البلاغة 3/ 38خطب الإمام علي عليه السلام، وابن شهر آشوب (ت 588 هـ):المناقب 4/ 37 وابن أبي الحديد (ت ح 656 هـ): شرح نهج البلاغة16/ 57، وقد رتبنا المصادر بهذا النحو بحسب الأقدمية التاريخية، لنرى أن ما نقله بعض علماء مدرسة الخلفاء ممن ربما كبر عليهم أن يروا هذه المنزلة للحسن من أبيه، فخففوها بإضافة كلمة (مِنْ) وهي لا معنى لها ولا بلاغة فيها تنسجم مع كلمات الإمام علي فنحن نرى السيوطي (ت 911): جامع الأحاديث 30/ 117 أنه نقل كلمة الإمام هكذا (وجدتك أي بني من بعضي بل وجدتك من كلي) وهكذا صنع المتقي الهندي (ت 975) في كنز العمال 16/ 168 وأنت ترى أن إضافة هذه المنمنات (!) تشوه بلاغة كلمات الإمام ولا تعطي المعنى الذي أراده.

شكر خاص

للأخوات الفاضلات أمجاد عبد العال، أم سيد رضا، أم قاسم، انتصار الرشيد، تراتيل، تراث آل حميد، سلمى آل حمود، فاطمة، ليلى الشافعي، هديل الزبيدي العراق، وللأخوة الفضلاء أبي علي عبد الأمير، وأبي محمد العباد، علي الجمري، المهندس مراد، والمخرج الفاضل أبي حيدر على الجهود الطيبة التي بذلوها حتى جاء الكتاب بصورته الحالية.

أسأل الله سبحانه أن يكرم الجميع بشفاعة كريم أهل البيت عليهم السلام.

المصادر

- بعد القرآن الكريم

حيث أن أكثر المصادر التي تمَّ اعتمادها هي نسخ الكترونية على مواقع أو تطبيقات، فسيتم الإشارة إلى اسم الكتاب والمؤلف والمطبعة بحسب ما هو موجود في تلك المواقع أو التطبيقات، وفي الغالب فقد تمَّ الاعتماد في مصادر الإمامية على الموقع الالكتروني لمكتبة آل البيت عليهم السلام.

https://ablibrary.net/#/.

كما تمَّ الاعتماد في كتب مدرسة الخلفاء غالبًا على تطبيق تراث /https://app.turath.io، وهناك نسخ كتب تمَّ تنزيلها في صفحات أو مواقع مخصصة لهذا الغرض على الانترنت، سيشار إليها.. وسيكتب كاملًا في غير هذه الحالات. ولا يخفى أن قسمًا من معلومات هذه الطبعات قد لا تكون موجودة بالكامل.

- الإربلي؛ علي بن أبي الفتح كشف الغمة في معرفة الأئمة، دار الأضواء ـ بيروت 1405 ـ 1985 م.

- الأصبهاني؛ أبو الفرج علي بن الحسين: مقاتل الطالبيين، ت السيد أحمد صقر، دار المعرفة، بيروت.
- التوحيدي؛ أبو حيان: أخلاق الوزيرين، ت محمد بن تاويت الطنجي، دار صادر ـ بيروت.
- الأمين؛ محسن: أعيان الشيعة، ت حسن الأمين، دار التعارف للمطبوعات ـ بيروت.
- الأميني؛ عبد الحسين النجفي: الغدير، دار الكتاب العربي ـ بيروت 1397 هـ.
- ابن أبي الحديد؛ عبد الحميد: شرح نهج البلاغة، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار احياء الكتب العربية.
- ابن أبي شيبة أبو بكر، عبد الله بن محمد: الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار، ت كمال يوسف الحوت، مكتبة الرشد ـ الرياض.
- ابن أعثم الكوفي؛ أحمد: الفتوح، ت علي شيري، دار الأضواء للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت.
- ابن حبان البُستي؛ محمد بن أحمد: صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، ت شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة ـ بيروت.
- ابن حجر العسقلاني؛ أحمد بن عليّ: فتح الباري شرح صحيح البخاري، دار المعرفة ـ بيروت، 1379 هـ.

- ابن حجر الهيتمي؛ أحمد بن محمد بن عليّ: الصواعق المحرقة على أهل الرفض والضلال والزندقة ت عبد الرحمن بن عبد الله التركي ـ كامل محمد الخراط، مؤسسة الرسالة ـ لبنان.
- ابن خلدون؛ عبد الرحمن بن محمد: تاريخ ابن خلدون، تحقيق: خليل شحادة، دار الفكر، بيروت، 1408 هـ.
- ابن شهرآشوب المازندراني؛ رشيد الدين محمد بن عليّ: المناقب، مؤسسه انتشارات علامة، قم.
- ابن سعد البغدادي؛ محمد بن سعد بن منيع: الطبقات الكبرى، ت إحسان عباس، دار صادر ـ بيروت.
- ابن طاووس الحسني؛ علي بن موسى بن جعفر: إقبال الأعمال، ت جواد القيومي الاصفهاني، مكتب الإعلام الإسلامي.
- ابن عبد البر؛ يوسف بن عبد الله النمري القرطبي: الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ت علي محمد البجاوي، دار الجيل، بيروت.
- ابن عساكر؛ علي بن الحسن بن هبة الله: تاريخ دمشق، تحقيق: عمرو بن غرامة العمروي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع 1415 هـ.
- ابن عساكر؛ علي بن الحسن بن هبة الله: ترجمة الإمام الحسن المجتبى عليه السلام، من تاريخ دمشق، ت الشيخ محمد باقر المحمودي، مؤسسة المحمودي للطباعة والنشر ـ بيروت.

- ابن عنبة؛ أحمد بن عليّ الحسيني: عمدة الطالب الصغرى في نسب آل أبي طالب، ت مهدى رجايى، مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي، قم.
- ابن كثير الدمشقي؛ إسماعيل بن عمر، البداية والنهاية، ت عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع 1418 هـ.
- ابن المغازلي؛ علي بن محمد بن محمد: مناقب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عنه، ت: تركي بن عبد الله الوادعي، دار الآثار ـ صنعاء 1424 هـ ـ 2003 م.
- البخاري؛ محمد بن إسماعيل الجعفي: صحيح البخاري، ت محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة.
- البروجردي؛ السيد حسين الطبطبائي؛ جامع أحاديث الشيعة، المطبعة العلمية ـ قم 1399 هـ.
- البرقي؛ أحمد بن محمد بن خالد: المحاسن، ت السيد جلال الدين الحسيني، دار الكتب الإسلامية ـ طهران.
- البَلَاذُري؛ أحمد بن يحيى بن جابر: جمل من أنساب الأشراف، ت سهيل زكار ورياض الزركلي، دار الفكر ـ بيروت.
- البلداوي؛ وسام: القول الحسن في عدد زوجات الحسن، العتبة الحسينية المقدسة، كربلاء.

- البيهقي؛ أحمد بن الحسين بن عليّ، السنن الكبرى ت محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت.
- التستري؛ محمد تقي: قاموس الرجال، تحقيق وطباعة مؤسسة النشر الإسلامي، قم 1410 هـ.
- التستري؛ محمد تقي: الأخبار الدخيلة، تعليق على أكبر الغفاري، مكتبة الصدوق، طهران.
- الثعالبي؛ عبد الملك بن محمد: يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر، ت مفيد محمد قمحية، دار الكتب العلمية ـ بيروت.
- الحاكم النيسابوري؛ أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد: المستدرك على الصحيحين، ت مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية ـ بيروت.
- الحرّ العاملي؛ محمد بن الحسن: إثبات الهداة بالنّصوص والمعجزات، خرّج أحاديثه: علاء الدّين الأعلمي.
- مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت ـ لبنان.
- الحراني؛ الحسن بن عليّ بن الحسين بن شعبة: تحف العقول عن آل الرسول، مؤسسة النشر الإسلامي (التابعة) لجماعة المدرسين بقم 1404 هـ.
- الحميري؛ عبد الله بن جعفر: قرب الاسناد، مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث 1387 هـ.

- الخراساني؛ محمد واعظ زاده، حياة الإمام البروجردي، المجمع العالمي لأهل البيت عليهم السلام ـ طهران.
- الخزاز القمي؛ علي بن محمد: كفاية الأثر، ت عبد اللطيف الحسيني الخوئي، انتشارات بيدار.
- البدري؛ سامي: الإمام الحسن عليه السلام في مواجهة الانشقاق الأموي، دار الفقه للطباعة والنشر.
- الخوئي؛ أبو القاسم: معجم رجال الحديث، الطبعة الخامسة 1413 هـ.
- الذهبي، محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز: سير أعلام النبلاء، ت شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة 1405 هـ.
- الريشهري؛ محمد: ميزان الحكمة، مؤسسة دار الحديث، قم إيران.
- الساعدي؛ محمد: الحسنيون في التاريخ، مطبعة النجف 1375 (نسخة مصورة عن الكتاب على الانترنت)..
- السبحاني؛ جعفر: بحوث في الملل والنحل، مؤسسة النشر الإسلامي ـ مؤسسة الإمام الصادق ع ـ قم.
- سبط ابن الجوزي؛ يوسف بن قِزْأُوغلي: مرآة الزمان في تواريخ الأعيان، دار الرسالة العالمية، دمشق.

- السِّجِسْتاني؛ سليمان بن الأشعث بن إسحاق: سنن أبي داود، ت محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا.
- آل سيف؛ فوزي: أصحاب النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم، دار المحجة البيضاء، بيروت.
- آل سيف؛ فوزي: أنا الحسين بن عليّ؛ صفحات من السيرة المغيبة عن الأمة، دار المحجة البيضاء، بيروت.
- آل سيف؛ فوزي: من أعلام الإمامية: من الفقيه العماني إلى آقا بزرك الطهراني، دار أطياف للنشر القطيف..
- السيوطي؛ جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر: الدر المنثور في التفسير بالمأثور، دار المعرفة للطباعة والنشر ـ بيروت.
- الشريف الرضي؛ محمد الموسوي: نهج البلاغة خطب الإمام علي، ت صالح الصالح، بيروت 1387 هـ.
- الشيباني الجزري؛ ابن الأثير علي بن أبي الكرم محمد: الكامل في التاريخ، ت عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت ـ لبنان 1417هـ / 1997م.
- الشيباني الجزري؛ ابن الأثير علي بن أبي الكرم محمد: أسد الغابة في معرفة الصحابة، ت علي محمد معوض ـ عادل أحمد عبد الموجود، دار الكتب العلمية بيروت.

- الصدوق؛ محمد بن عليّ بن بابويه: الأمالي، تحقيق: قسم الدراسات الإسلامية ـ مؤسسة البعثة ـ قم.
- الصدوق؛ محمد بن عليّ بن بأبويه: ثواب الأعمال وعقاب الأعمال، مكتبة الشريف الرضي ـ قم.
- الصدوق؛ محمد بن عليّ بن بابويه: الخصال، ت علي أكبر الغفاري، منشورات جماعة المدرسين في الحوزة العلمية قم إيران.
- الصفوري؛ عبد الرحمن بن عبد السلام: نزهة المجالس ومنتخب النفائس، المطبعة الكاستلية ـ مصر.
- الصلابي؛ علي: حياة الحسن بن عليّ عنه، دار التراث الانساني، 2004م.
- الطباطبائي؛ محمد حسين: الميزان في تفسير القرآن، مؤسسة النشر الإسلامي، قم الطباطبائي؛ محمد حسين: حياة ما بعد الموت، العتبة الحسينية المقدسة، كربلاء العراق.
- الطبراني؛ أبو القاسم سليمان بن أحمد: المعجم الكبير، ت حمدي بن عبد المجيد السلف، مكتبة ابن تيمية ـ القاهرة.
- الطبراني؛ أبو القاسم سليمان بن أحمد: أخبار الحسن بن عليّ بن أبي طالب عليه السلام، ت محمد شجاع ضيف الله دار الأوراد ـ الكويت.
- الطبرسي؛ الفضل بن الحسن: تفسير مجمع البيان مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ـ بيروت ـ 1415 هـ.

- الطبرسي؛ أحمد بن عليّ الاحتجاج، ت السيد محمد باقر الخرسان، دار النعمان للطباعة والنشر ـ النجف الأشرف، 1386 ـ 1966 م .
- الطبرسي؛ الشيخ أبو علي الفضل بن الحسن: إعلام الورى بأعلام الهدى، مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث ـ قم 1417 هـ.
- الطبري؛ أبو جعفر محمد بن جرير: تاريخ الطبري = تاريخ الرسل والملوك، دار التراث ـ بيروت 1387 هـ.
- الطوسي؛ الشيخ محمد بن الحسن: تلخيص الشافي، انتشارات المحبين ـ قم.
- الطوسي؛ الشيخ محمد بن الحسن: الغيبة، ت عباد الله الطهراني، مؤسسة المعارف الإسلامية ـ قم المقدسة 1411هـ.
- الطوسي؛ الشيخ محمد بن الحسن: مصباح المتهجد، مؤسسة فقه الشيعة ـ بيروت.
- الطهراني؛ آقا بزرگ: الذريعة، دار الأضواء ـ بيروت.
- العاملي؛ علي الكوراني: جواهر التاريخ (سيرة الإمام الحسن عليه السلام)، دار الهدى.
- العاملي؛ جعفر مرتضى: عاشوراء بين الصلح الحسني والكيد السفياني، المركز الإسلامي للدراسات.
- العاملي؛ جعفر مرتضى: سيرة الحسن في الحديث والتاريخ، المركز الإسلامي للدراسات، بيروت.

- عطاردي؛ الشيخ عزيز الله: مسند الإمام الحسن عليه السلام، عطارد ـ طهران.
- الغروي؛ محمد هادي اليوسفي: موسوعة التاريخ الإسلامي، مجمع الفكر الإسلامي ـ قم.
- الفيض الكاشاني؛ محمد محسن: الوافي. مكتبة الإمام أمير المؤمنين على عليه السلام العامة أصفهان 1406 هـ.
- كُرْد عَلي؛ محمد بن عبد الرزاق بن محمَّد: خطط الشام، مكتبة النوري، دمشق الطبعة: الثالثة، 1403 هـ ـ 1983 م.
- القرشي؛ باقر شريف: حياة الإمام الحسن بن عليّ، دار البلاغة ـ بيروت.
- القرشي؛ باقر شريف: النظام التربوي في الإسلام، دار الكتاب الإسلامي ـ قم.
- القطيفي؛ أحمد آل طوق: رسائل آل طوق القطيفي، تحقيق ونشر شركة دار المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم لإحياء التراث.
- القمي؛ عباس: الأنوار البهية، تحقيق وطباعة مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم.
- الكرباسي؛ محمد صادق محمد: دائرة المعارف الحسينية، المركز الحسيني للدراسات، لندن.

- الكليني؛ محمد بن يعقوب بن إسحاق: الكافي، تعليق علي أكبر الغفاري، دار الكتب الإسلامية طهران إيران 1388 هـ.
- لجنة الحديث في معهد باقر العلوم عليه السلام: موسوعة كلمات الإمام الحسن عليه السلام، دار المعروف 1423هـ.
- المالكي؛ علي بن محمد أحمد (ابن الصباغ): الفصول المهمة في معرفة الأئمة دار الحديث للطباعة والنشر 1422هـ.
- المامقاني؛ الشيخ عبد الله: تنقيح المقال في علم الرجال، المطبعة المرتضوية.
- المجلسي؛ المولى محمد باقر: بحار الأنوار، مؤسسة الوفاء ـ بيروت ـ لبنان 1403هـ.
- المجلسي؛ المولى محمد باقر: مرآة العقول في شرح أخبار آل الرسول، ت رسولي محلاتي، دار الكتب الإسلامية ـ طهران.
- المزي؛ يوسف بن عبد الرحمن بن يوسف: تهذيب الكمال في أسماء الرجال، ت بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة.
- المسعودي؛ علي بن الحسين: مروج الذهب ومعادن الجوهر، منشورات دار الهجرة إيران ـ قم1404هـ.
- معرفة؛ محمد هادي: التفسير الأثري الجامع، مؤسسة التمهيد الثقافية ـ قم.

- المفيد؛ محمد بن محمد بن النعمان العكبري: الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد، تحقيق مؤسسة آل البيت لتحقيق التراث، دار المفيد للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت.
- المفيد؛ محمد بن محمد بن النعمان العكبري: النكت في مقدمات الأصول، ت السيد محمد رضا الحسيني الجلالي، دار المفيد للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت.
- المقدسي؛ المطهر بن طاهر: البدء والتاريخ، مكتبة الثقافة الدينية، بور سعيد.
- المقرّم، السيد عبد الرزاق الموسوي: السيدة سكينة ابنة الإمام الشهيد أبي عبد الله الحسين عليه السلام، دار الأضواء، بيروت.
- آل ياسين؛ راضي: صلح الحسن عليه السلام (لا يوجد في الموقع ذكر دار النشر).

مواقع الكترونية

- موقع الشيخ الادلبي https://idlbi.net/alhasan1
- العويد؛ عبد العزيز: كانوا ملوكا: أشراف الحجاز

https://www.youtube.com/watch?v=8b38gQZ7YpQ

الفهرس

المقدِّمة 5

الإمام الحسن عليه السلام من ميلاده حتى شهادته 10

ولادة الحسن سِبط رسول الله 10

من السنن النبوية في ميلاد الحسن 13

ملاحظة في اسم ابن هارون 16

النبي وأحاديثه في الحسن 16

الحسن في زمان الخلفاء الثلاثة: 22

هل شارك الإمام الحسن عليه السلام في فتوحات الخلفاء؟ 25

الحسن في عهد أبيه المرتضى عليهما السلام. 31

الحسن المجتبى ولي القوم وإمامهم 35

صلح الإمام الحسن مع معاوية 37

ثلاث نظريات في صلح الإمام الحسن عليه السلام 40

1/ وجهة النظر الأموية 41

2/ النظرية العباسية المتطرفة 45

3/ الرؤية الشيعية تجاه الصلح 49

قصة الصلح وشروطه 58

نظرة أخرى في وثيقة الصلح 72

صورة الإمام الحسن المجتبى في أحاديث مدرسة الخلفاء 81

كيف نُعرّف الإمام الحسن عليه السلام 100
الحسن والحسين إمامان قاما أو قعدا 103
خير الناس جدًا وجدة وأبًا وأمًّا 106
الجانب العلمي في حياة الإمام الحسن 110
الإمام الحسن المجتبى وتفسير القرآن 116
1. حديث في منهج فهم القرآن 116
2.حديث في عداوة أعدائهم لهم 119
3. الصلاة على النبي تعليم من الله 120
4. بعض آثار سور القرآن 122
5. من هو الشاهد والمشهود في القرآن؟. 124
مما روى الإمام الحسن عن جده رسول الله 125
مما نقله عن جده المصطفى 126
تفسير التسبيحة الكبرى 136
فوائد الاختلاف للمسجد 137
الحياة الزوجية للإمام الحسن عليه السلام 140
هل من مزيد؟ 143
أرأيت كيف يتم الاستخفاف بالعقول؟ 145
مناقشة الشيخ القرشي للروايات 145
الروايات يفضح بعضها بعضا 150
هل هناك تداخل أو تبديل في الأسماء؟ 151
ماذا عن الروايات الشيعية؟ 153
هل زوجات الإمام الحسن فوق المعدلات الطبيعية؟ 154
لماذا تزوج جعدة بنت الأشعث التي سمته؟. 158
ألقاب الإمام الحسن مدخل لفهم دوره 165

فأوّلها الزكي 167
الثاني كريم أهل البيت 168
ابن رسول الله 171
السيد 175
الأسرة الحسنية وأمجادها في الأمة 179
1/ أحفاد الإمام الحسن عليه السلام في وجه الطغيان 179
في الجانب الأول 179
هل كانوا على منهاج الأئمة؟ 185
الطرف الآخر من بني الحسن 197
2/ الاسر العلمية الحسنية 199
فمن تلك الأسرة كان آل طاووس الحسنيين 199
ومن الأسرة الحسنية: الطباطبائيون 201
3/ الأسرة الحسنية حكومات ودول 208
من أقصى الغرب لأقصى الشرق والجنوب 212
والعجب 214
سيرة الحسن الزكي وتشويه المستشرقين 216
شكر خاص 225
المصادر 226
الفهرس 238